فضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن سالم بن رجاء السحيمي
الأستاذ المشارك بقسم الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

فكر التكفير

قديما وحديثا

وتبرئة اتباع مذهب السلف من الغلو والفكر المنحرف

دار الإمام أحمد

فكر التكفير

قديمًا وحديثًا

وخطورة اتباع مذهب السلف من الغلو والفكر المنحرف

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

الطبعة الأولى لـ : « دار الإمام أحمد »

ويُحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مُجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة خطية من المؤلف

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٥/٧٤٤٦

٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

هاتف: ٢٤١٤٢٤٨ / ٠٠٢٠٢ فاكس: ٦٣٦٥٦٣٨/ ٠٠٢٠٢ محمول: ٠١٠٦٠١٤٩٧٨/ ٠٠٢

E-Mail:Dar_Alemam_Ahmad@yahoo.Com

فكر التكفير

قديماً وحديثاً

وتبرئة اتباع مذهب السلف من الغلو والفكر المنحرف

تأليف

عبد السلام بن سالم بن رجاء السحيمي

الأستاذ المشارك بقسم الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الْحَمد لله، نَحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فقد منَّ الله على أمة نبيه مُحمَّدﷺ بإكمال دينها، وإتْمام نعمته عليها، ورضاه عنها بالإسلام دينًا، لا يقبل من أحد سواه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

وقال تعالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وهذا لأن الطريق الموصل إلَى الله واحد؛ وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق، واستفتحوا من كل باب فالطرق عليهم مسدودة والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد؛ فإنه متصل بالله موصل إليه"(١).

وقد أمرنا الله عند التنازع بالرد إليه، والرد إليه: هو الرد إلَى كتابه، وأمرنا بالرد إلَى رسوله، والرد إلَى الرسول: هو الرد إليه حال حياته، وإلَى سنته بعد وفاته، قال تعالَى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

فكلمة ﴿شَيْءٍ﴾ هنا نكرة فِي سياق الشرط تعم كل اختلاف فِي الأصول والفروع(٢) ولو لَمْ يكن فِي كتاب الله وسنة رسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولَمْ يكن كافيًا لَمْ يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر الله تعالَى بالرد عند النِّزاع إلَى من لا يوجد عنده فصل النِّزاع(٣).

وقال تعالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

---

(١) التفسير القيم (١٤-١٥).

(٢) قاله الشيخ الشنقيطي -رحمه الله- فِي "أضواء البيان" (١/٣٢٣).

(٣) قاله ابن القيم فِي "إعلام الموقعين" (١/٤٩).

وقال تعالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

فتوعَّد الله من اتبع غير سبيل المؤمنين بنار جهنم وساءت مصيرًا، فدلَّ على أن اتباع سبيل المؤمنين فِي فهم شرع الله واجب، ومُخالفته ضلال، وأولى المؤمنين الذين يَجب اتباعهم: هم أصحاب رسول الله ﷺ.

قال ابن القيم -رحِمه الله-: "وكل من الصحابة منيب إِلَى الله تعالَى فيجب اتباع سبيله؛ وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله"[(١)].

وأثنَى الله على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقد أمر النَّبِي ﷺ باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين، وحذَّر من مُخالفتهم؛ فقال: «**عليكم بسنتِي وسنة الْخُلفاء الراشدين الْمَهديين، تَمسكوا بِها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(٢)].

ولابد للمسلم أن يَجمع بين أمرين هُما: الإخلاص لله وحسن الاتباع لِما كان عليه النَّبِي ﷺ، فقد قال النَّبِي ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين**

(١) "إعلام الموقعين" (٤/١٢٠).

(٢) رواه أحْمَد فِي "المسند" (٤/١٢٦)، وأبو داود (٥/١٣)، والترمذي مع "عارضة الأحوذي" (٧/٤٣٨).

فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة واحدة فِي الجنة، وثنتان وسبعون فِي النار. قيل: يا رسول الله! مَنْ هم؟ قال: هم الجماعة، وإنه سيخرج فِي أمتِي أقوام تَجارى بِهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب[1] بصاحبه لا يبقى منهم عرق ولا مفصل إلا دخله»[2].

وفِي رواية: **«ما أنا عليه اليوم وأصحابِي»**.

فدلت هذه النصوص وغيرها: على وجوب اتباع الكتاب والسنة، ووجوب اتباع سبيل المؤمنين، أي: فِي فهم السلف الصالِح للكتاب والسنة.

يقول الإمام أحْمَد -رحِمه الله-: "أصول أهل السنة عندنا: التمسك بِما كان عليه أصحاب النَّبِي ﷺ، والاقتداء بِهم، وترك البدع"[3].

وقال ابن القيم -رحِمه الله-: "فمن أنشأ أقوالاً وأسس قواعد بِحسب فهمه وتأويله؛ لَمْ يَجب على الأمة اتباعها، ولا التحاكم إليها حَتَّى تُعرض على ما جاء به الرسول ﷺ، فإن طابقته ووافقته وشهد لَها بالصحة؛ قُبلت حينئذٍ، وإن خالفته؛ وجب ردها واطِّراحها ..."[4].

وهذا لأنه متقرر عند الأئمة من السلف الصالِح أن أقوال الناس وأعمالَهم

---

(١) **الكَلَب**: داء يعرض للإنسان من عض الكَلْب الكَلِب فيصيبه شبه الجنون، فلا يعض أحدًا إلا كَلِب، وتعرض له أعراض رديئة، انظر: "النهاية" لابن الأثير (١٩٥/٤).

(٢) رواه أبو داود حديث رقم (٤٥٩٧)، وأحمد فِي "المسند" (١٢/٣)، والحاكم فِي "المستدرك" (١٢٨/١-١٢٩)، وقد صححه الألبانِي فِي "الصحيحة" (٢٠٤/١).

(٣) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي (١٥٦/١).

(٤) "زاد المعاد" (٢٨/١).

توزن بالنص والإجْماع، فمن وافق نصًّا أو إجْماعًا قُبل منه، ومن خالف واحدًا منهما؛ رُدَّ عليه كائنًا من كان.

إذا عُلم هذا؛ فإن من أبواب الدين الَّتِي عظمت فيها الفتنة والْمِحنة، وطاشت فيها الأحلام، وكثر فيها الافتراق، وتشتت فيها الأهواء والآراء: **"التكفير، والتبديع، والتفسيق"**.

ولقد سار أهل السنة والجماعة السائرون على منهج السلف الصالِح فِي هذا الباب على التفصيل: وهو أن أهل البدع والمعاصي ليسوا على درجة واحدة.

فمنهم: من هو مقطوع بتكفيره كمن أتى بقول أو فعل مكفِّر، وتَمت فِي حقه شروط التكفير وانتفت موانعه.

ومنهم: من لا يُحكم بكفره لانتفاء ذلك فِي حقه.

ولَمْ يكن من منهج السلف تكفير من لا يستحق التكفير من المسلمين من أهل الكبائر، وهم -أعنِي: السلف- لا يكفِّرون أحدًا من أهل البدع، أو يفسِّقونه إلا بدليل، ويُحذِّرون أعظم التحذير من التبديع والتفسيق لأحد إلا بدليل ويَعُدُّون ذلك من فعل أهل البدع.

وهم يفرقون بين التكفير أو التفسيق المطلقين -كالتكفير أو التفسيق بالأفعال، أو لبعض فرق أهل البدع على وجه الإجْمال- وبين تكفير المعين فيقولون: ليس كل من قال، أو فعل الكفر أو الفسق يكون كافرًا أو فاسقًا،

حَتَّى تثبت الحجة بذلك[١]، وكل ذلك اتباعًا للنصوص الشرعية الَّتِي تُحذر من ذلك أشد التحذير:

ومنها: ما فِي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بِها أحدهُما، فإن كان كما قال، وإلاَّ رجعت عليه»**[٢].

وفِي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»**[٣].

وقال ﷺ: **«من رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله»**[٤].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أخوف ما أخاف عليكم: رجل قرأ القرآن حَتَّى إذا رأيت بَهجته عليه، وكان ردءًا للإسلام؛ انسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك، قلت: يا نبِي الله! أيهما أولَى بالشرك: الرامي أو المرمي؟ قال: بل الرامي»**[٥].

وقد سار على هذا المنهج -وهو عدم تكفير المسلم الذي لا يستحق

---

(١) وسيأتي الكلام عن هذه المسألة مفصَّلاً.

(٢) البخاري فِي الصحيح برقم (٥٧٥٢)، ومسلم فِي الصحيح برقم (٦٠).

(٣) البخاري فِي الصحيح برقم (٤٨)، ومسلم فِي الصحيح برقم (٦٤).

(٤) رواه الطبرانِي من حديث هشام بن عروة، وصححه الألبانِي كما فِي "صحيح الجامع الصغير" (١٢٦٩).

(٥) رواه البخاري فِي "التاريخ" برقم (٢٩٧)، وابن حبان برقم (٨١)، وحسَّنه الألبانِي فِي "الصحيحة" برقم (٣٢٠١).

التكفير- صحابة رسول الله ﷺ، والتابعون والأئمة من بعدهم، ومنهم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

ثُمَّ مَنْ جاء بعدهم كشيخ الإسلام وتلاميذه، ثُمَّ مَنْ جاء بعدهم كشيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده، ثُمَّ عُلماء السنة المعاصرون أمثال: ابن باز، وابن عثيمين، والألبانِي -رحِمهم الله-، وسَماحة المفتِي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، وغيره من كبار علماء هذه البلاد اتباعًا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأشهر من عُرف قديمًا بالتكفير: هم الخوارج الذين حكموا بالكفر على من لا يستحقه من المسلمين، وخرجوا على أولياء أمورهم، وصاروا شرًّا ومِحنة على الإسلام والمسلمين.

وما زال الفكر التكفيري يَمضي بقوة فِي أوساط شباب الأمة منذ أن اختلقته الخوارج الحرورية، لا يرعوي إلا فِي فترات بزوغ منهج أهل السنة وتألق عقيدة سلف الأمة.

ولا أكون مبالغًا فِي القول أنه سبب كثرة كاثرة من البلايا والرزايا الَّتِي مُنيت بِها الأمة فِي ماضي الزمان وحاضره، وما هذه التفجيرات المدمرة والسيارات المفخخة والاغتيالات الغاشِمة والمذابح الماكرة للمصلين بل للشيوخ والأئمة، ما هذا كله وغيره من فواجع أضرمت القلب وأَمَرَّت العيش إلا ثَمرة بشعة من ثَمرات الفكر التكفيري وعواقبه ولواحقه.

ومِمَّا يأخذ الْمَرء فِي شعاب الْهُموم وأودية الأحزان: ما نراه من بعض المنتسبين

لِمعاقل أهل السنة مِمَّن تسرَّب بعض مسائل هذا الفكر إليهم[١]؛ بل صاروا يؤلِّفون فيه، ويدعون إليه، ويقذفون بالإرجاء والتعطيل والعلمنة من لَمْ يتبدل فكره ببعض العواطف والمتغيِّرات، ولَمْ يثنه عن أصول أهل السنة الحماسة والسياسة[٢].اهـ.

ولا ريب أن هذا الوصف نعيشه اليوم، ومن تأمل هذه الجماعات الثائرة على دولِها هنا وهناك يَجدها لا تكاد تقاتل أمة كافرة، ولو كانت ألد الأعداء كاليهود، بل هم طول عمرهم يثيرون الفتن فِي البلاد المسلمة، ويريقون دماء أهلها، وعدوهم الكافر آمن بل جاثِم على ديار المسلمين لا يُهيجه أحد، ولذلك لَما خرج من بلادهم لَحقوه، بل يلعنون الكفار، ولا يكاد يهنأ لَهم عيش إلا فِي بلاد الكفار.

فانظر رءوس التكفير اليوم فلن تَجدهم إلا فِي بلاد الكفر، قال تعالَى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج:١٨][٣].اهـ.

---

(١) فتجد بعضهم يتنقص شيخ الإسلام ابن تيمية، وتَجد بعضهم يتنقص دعوة الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة، ويتنقص بعض كتب أئمة الدعوة، وللأسف أن بعض هؤلاء هم من أهل هذه البلاد!! وما ذاك إلا لإبعاد تُهمة التكفير والإرهاب عن متبوعيهم من الجماعات الحزبية المتأثرة بفكر الخوارج وإلصاق التهمة بالمنهج الحق الذي سلكته هذه البلاد -حكامًا وعلماء- اتباعًا لِما كان عليه النَّبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

(٢) من كلام الدكتور خالد العنبري فِي كتاب: "هزيْمة الفكر التكفيري".

(٣) من كلام الشيخ عبد المالك أحمد رمضاني الجزائري فِي كتابه: "تَخليص العباد من وحشية أبِي القتاد الداعي إلَى قتل النساء وفلذات الأكباد" (ص ١١٠).

لقد ابتليت الأمة بِجماعات جعلت الأمة حقل تَجارب للوصول إلَى السلطة باسم الإسلام، فهي تبدأ ضعيفة متسترة حَتَّى إذا التف حولَها عدد من الشباب المندفع تسوقه العاطفة والحماس؛ سعت بتهور لتغيير الْمُجتمع، سلاحها: فهمها للحاكمية والجاهلية والجهاد.

ثُمَّ ما تلبث أن تَخرج من المعركة مثخنة بالجراح مُخَلِّفة وراءها أعدادًا من الشباب بين قتيل وطريد وأسير، كل ذلك فِي سبيل أحلام وشعارات يلوح بِها قادة التنظيم، وهكذا دواليك تستمر المأساة، وتنتقل التجربة الكارثية من بلد مسلم إلَى آخر، وهذه الحالة سببها الفقر المدقع فِي الفقه الشرعي[١].

قلت: ومن هذه الجماعات: جَماعة الإخوان المسلمين بتوجهاتِها الثلاث: البنائية، والقطبية، والسرورية، فإنَّها تُعتبر حاضنًا للفكر التكفيري، وأُمًّا للجماعات الحزبية المعاصرة[٢][٣].

---

(١) من مقال للدكتور سليمان الضحيان نقله عنه الشيخ الفاضل سعد الحصين فِي مقال له نُشر بِجريدة الوطن عدد (٨٢٧) ١/ذو القعدة/١٤٢٣هـ.

وأضيف إلى ما ذكره الدكتور سليمان سببًا آخر: وهو اتباع الهوى الذي جعلهم يُحرفون النصوص الشرعية ومعانيها الصحيحة.

(٢) **يقول علي عشماوي فِي التاريخ السري لِجماعة الإخوان المسلمين:** "فِي البداية فإنني أعتبر أن الإخوان أُمُّ التنظيمات الإسلامية فِي العالَم العربِي؛ لأنَّها أقدمها، وهي الَّتِي فرَّخت بقية التنظيمات بعد ذلك، وبداية الانْحرافات جاءت من الإخوان أنفسهم".اهـ. (ص ٤).

(٣) ومع أن الإخوان قد قدِّمت لَهم النصائح العديدة من العلماء، إلا أن ذلك لَمْ يُجد شيئًا، يقول العشماوي: ووقف الإخوان المسلمون يرفعون شعارهم الشهير بين الجماعات والهيئات الإسلامية: "دعونا نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا =

لكن الكثير من الناس لا يعرف الخوارج إلا فِي حال قتالِهم للمسلمين، ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله-: "وكذلك الخوارج لَما كانوا أهل سيف وقتال؛ ظهرت مُخالفتهم للجماعة حين كانوا يقتلون الناس، وأما اليوم فلا يعرفهم أكثر الناس"[(١)].

هذا فِي زمن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله- أي: أن أكثر الناس لا يعرفون الخوارج بصفاتِهم المعروفة عند أهل العلم حَتَّى يظهر أمرهم بِمباشرتِهم لقتال المسلمين، فكيف لو رأى شيخ الإسلام ما نَحن فيه اليوم من اغترار فئام كثيرة بأفعال وأقوال خوارج هذا العصر؛ بل وتَمجيد البعض لَهم، وإطلاق الأوصاف المبجلة عليهم، واغترار البعض مِمَّا لا علم عنده ببعض ما يُظهرون من العبادات مع الغفلة عن حقيقة معتقد الخوارج.

وقد تفطَّن أئمة الإسلام لذلك؛ فقال الإمام أبو بكر الآجري: "فلا ينبغي لِمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان الإمام أو جائرًا، فخرج وجَمع جَماعته وسلَّ سيفه، واستحل قتال المسلمين؛ فلا ينبغي أن يُغتر بقراءته، ولا بطول قيامه فِي الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بِحسن ألفاظه فِي

=

فيه" وهو شعار يُحاولون به الإمساك بِموقع الريادة وتوجيه دفة الأمور لصالِحهم، دون محاولة الوقوف لتصحيح المسار، أو تلافي السلبيات أو تقويْم الانْحراف الذي استفحل أمره فِي مَجال الحركة الإسلامية حَتَّى أصبحت توصم بالعنف والإرهاب فِي كل بلاد الدنيا، وكان سبب هذا كله: وقوع الكثيرين إما فِي إفراط شديد، وإما فِي تفريط مُخل. اهـ. المصدر السابق الصفحة نفسها.

(١) "النبوات" (ص ١٩٣).

العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج"[١].

ونَحن نرى اليوم الْهَجمة الشرسة على بلادنا السعودية -حرسها الله- وعلى علمائها وأئمة دعوتِها من قِبَل صنفين من الناس: صنف كفار، وهذا غير مستغرب منهم، وصنف مِمَّن ينتسب للجماعات الإسلامية الَّتِي تسمي نفسها جهادية -والوصف الصحيح لَها: أنَّها خارجية "من الخوارج"- فقد شرقت بِما عليه بلادنا[٢] من نعمة عظيمة، وأعظمها: الدعوة إلَى التوحيد وحقوقه ومكملاته، والتحذير مِمَّا ينقضه أو ينقصه، وتَحكيم الشريعة، وما تنعم به من أمن وأمان، وما عليه علماؤها من تَمسُّك بالإسلام على هدي السلف الصالِح فلم يرضوا بِما نَحن فيه فأخذوا يؤلبون على دولة التوحيد، ويرمون مناهجها بأنَّها تغذي الإرهاب، وصاروا يلصقون التُّهم بأئمة دعوتِها من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده[٣]، والطعن فِي أتباع مذهب السلف، وركبوا الصعب والذلول

---

(١) "الشريعة" للآجري (١/٣٤٥).

(٢) وأسلافهم الخوارج قد شرقوا بِخلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما فلم يرضوا عن خلافتهما، فكيف يرضى الأتباع عمن كان دونَهما؟!

(٣) وللأسف أن بعض المتأثرين بدعوة الإخوان فِي بلدنا هم مِمَّن يتهم علماء الدعوة بالغلو والتشدد ويدعي الإصلاح والوسطية؛ فأي إصلاح يريدون، وأي وسطية ينشدون؟! إن لَمْ يكن الإصلاح والوسطية وفق ما عليه أهل السنة والجماعة السائرون على منهج السلف، فهي ليست دعوة إصلاح ولا وسطية، وإنَّما هي دعوى من الدعاوى الكثيرة لاسيما فِي هذا العصر.

فِي سبيل إحياء سنن الخوارج وإلصاقها بالسلفية الحقة، وإضفاء الشرعية على الأعمال الإرهابية، وتسميتها جهادية.

لِذا فقد قمت بِجمع هذا المؤلف وسَميته:

« فكر التكفير قديمًا وحديثًا وتبرئة اتباع

مذهب السلف من الغلو والفكر المنجرف »

ليظهر جليًّا الْمُحق من المبطل، والمتبع من المبتدع، والمهتدي من الضال؛ ليحيا من حيَّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

وقد ذكرت فيه:

- وسطية الإسلام.
- مسميات أهل السنة والجماعة.
- مذهب السلف هو المذهب الحق.
- لِماذا كان الحق مع أهل السنة والجماعة؟
- الأصل الذي سار عليه أهل السنة والجماعة فِي: "التكفير والتبديع والتفسيق" من عصر أصحاب النَّبيﷺ إلَى اليوم.
- جواب الشيخ الألبانِي فِي مسألة التكفير.
- موافقة الشيخ ابن باز للألبانِي فِي جوابه.
- تعليق الشيخ ابن عثيمين على كلام الشيخين.

- تَحذير سَماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ من الدعوات الَّتِي تُكَفِّر الْمُجتمعات المسلمة.

- مقال الشيخ صالِح بن فوزان الفوزان حول الأحداث الأخيرة فِي الرياض الَّتِي قام بِها المعتدون الخارجون عن حكم الإسلام.

- بيان هيئة كبار العلماء فِي التكفير والتفجير.

- فكر التكفير قديْمًا، وهو ما عليه الخوارج المتقدمون.

- التنظيم لإقامة الدولة عند الخوارج مُمثَّلاً بالخوارج الإباضية.

- فكر التكفير حديثًا، وهو ما عليه الجماعات الحزبية المتأثرة بفكر الخوارج.

- توجهات جَماعة الإخوان المسلمين والَّتِي تتضمن:

- الخروج عن السنة والخروج على الولاة.

- أهم الْمَلحوظات على جَماعة الإخوان المسلمين وفق التوجه البنائي.

- أهم الْمَلحوظات على جَماعة الإخوان المسلمين وفق التوجه القطبِي.

- أهم الْمَلحوظات على جَماعة الإخوان المسلمين وفق التوجه السروري.

- كيف نشأ وتغلغل فكر الإخوان فِي بلادنا؟

- التنظيم السري للإخوان المسلمين.

- بعض المناهج والخطط الَّتِي رسَمها قادة الإخوان المسلمين لأتباعهم من أجل السير عليها لإيْجاد الدولة المزعومة، منقولة من كتبهم ومؤلفاتِهم ومقالاتِهم، وهي شبيهة بِخطط الخوارج المتقدمين.

- استعمالُهم العنف إذا لَمْ يتحقق لَهم ما خططوا له.

- نَماذج من كلام بعض قادة ورموز ومفكري جَماعة الإخوان المسلمين وبعض من تأثر بِهم، يتضح منه المخالفة للسنة والخروج على الحكام المسلمين:

١- حسن البنا.

٢- أبو الأعلى الْمَودودي.

٣- سيد قطب.

٤- مُحمَّد قطب.

٥- صلاح الصاوي.

٦- مُحمَّد أحْمَد الراشد.

٧- عبد الرَّحْمَن عبد الخالق.

٨- عبد الله علوان.

٩- يوسف القرضاوي.

١٠- فتحي يكن.

١١- أبو قتادة الفلسطينِي.

١٢- أيْمن الظواهري.

١٣- أسامة بن لادن.

- اتِّهامهم لعلماء السنة بالقصور فِي فهم فقه الواقع، ودعواهم العلم بِهذا الفقه مع تكذيب الواقع لَهم.

- نقد لبعض مؤلفاتِهم الَّتي تؤصِّل لِمذهب الخوارج بطرق ماكرة.

- نقد للإخوان ونصيحة لَهم من أحد قادتِهم الْمُجربين.

- أقوال علماء السنة فِي جَماعة الإخوان المسلمين.

- وأخيرًا: ماذا يريد الإخوان المسلمون: هل يريدون الدين، أم يريدون الدولة؟

- ثُمَّ ختمت الكتاب بـــ "كلمة حق من عالِم جزائري" بعنوان: "شرق الحركيين ببلاد التوحيد".

وأختم المقدمة فأقول: "ومع أن الدعوة السلفية[١] هي أبعد ما يكون عن التكفير والتبديع والتفسيق بغير دليل، وهي أبعد ما يكون عن الغلو والتطرف؛ إلا أن هذه الدعوة المباركة أُلصق بِها ما ليس فيها، ونُسب إليها من ليس على منهاجها مِمَّا شوَّه جَمالَها، وغيَّر حقيقتها، ونفَّر منها، وزهَّد الناس فيها.

وأن من أبرز العوامل الَّتي كانت سببًا فِي ذلك: هو وجود الجماعات الإسلامية الحزبية المعاصرة المتأثرة بفكر الخوارج؛ لكون بعض رموز وقادة ومفكري هذه الجماعات قد يوافقون المنهج السلفي فِي بعض الطروحات والتوجهات[٢]، بل قد يتكلم بعضهم باسم السلفية وباسم أهل السنة والجماعة[٣] وهم ليسوا كذلك، مِمَّا جعل الأمر يلتبس على الكثير من الناس الذين قد تَخفى عليهم

---

(١) الحقة لا المدعاة؛ لأن هناك من يدعي السلفية ويتسمى بِها وهو ليس كذلك.

(٢) وإن كانوا يُخالفون فِي الكثير من العقيدة والمنهج.

(٣) وسيأتِي ما يدل على ذلك فِي ثنايا هذا الكتاب.

الحقيقة ظنًّا منهم أن هذه الجماعات سلفية[١] أو على الفكر الوهابِي[٢] كما يَحلو للبعض تسميتها بذلك.

وإنك لتعجب مِمَّن يسمي الجماعات الحزبية بالجماعات السلفية الجهادية، وكيف تكون سلفية وهي مُخالفة لَها فِي العقيدة والمنهج؟! وكيف تكون جهادية، والمعنَى الشرعي الصحيح للجهاد منتفٍ عن هذه الجماعات لعدم توفر الشروط الصحيحة للجهاد فِي هذه الجماعات، وإن العبرة هي بالحقائق والمعانِي لا بالألفاظ والمسميات؟! لذا يَجب التنبه للخلط والتضليل الموجود فِي الساحة الإسلامية اليوم.

ويَجب العمل على تصفية الإسلام مِمَّا أُلصق به مِمَّا ليس منه، وتربية النشء المسلم على الإسلام الحق المستقى من النبع الصافِي: كتاب الله وسنة رسولهﷺ وفق فهم سلف الأمة، والذود عن هذا الدين، وإظهاره بالمظهر اللائق به"[٣]. اهـ.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا مُحمَّد، وعلى آله وصحبه أجْمَعين.

وكتب

عبد السلام بن سالم السحيمي

العاشر من شهر الله المحرم عام ١٤٢٥هـ

---

(١) كما نسمع فِي الإذاعات، ونقرأ فِي بعض الكتب والْمَجلات.

(٢) حيث توصف بعض الجماعات التكفيرية اليوم -من قِبَل من لا علم عنده- بأنَّها على الفكر الوهابِي.

(٣) من كتاب: "كن سلفيًّا على الجادة" (ص ٧).

وسطية الإسلام

لقد بعث الله نبيه مُحمَّدًا ﷺ رحْمة للناس: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وجعل أمته أمةً وسطًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة:١٤٣]. أي: عدولاً لا يَميلون عن الحق لا إلَى غلوٍّ ولا إلَى جفاء، بل يتوسطون ويعتدلون؛ إذ دين الإسلام قد نَهى عن الغلو والجفاء، وأمر بالتوسط والاعتدال فِي الأمور كلها.

وإن من أبرز سِمات هذا الدين: العدل والإنصاف وعدم الظلم والحكم بالقسطاس المستقيم.

وإن خير من يُمثل الوسطية فِي الأقوال والأعمال والمعتقدات -الوسطية الَّتِي جاء بِها الإسلام- خير من يُمثلها: هم أهل السنة والجماعة الذي تَمثلوا الإسلام فِي جَميع أمورهم اقتداءً بالنَّبِي ﷺ وخلفائه الراشدين، اتباعًا للكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة فهم أولَى الناس دخولاً فِي هذه الوسطية.

وإن كل معنًى من معانِي الوسطية ثبت لِهذه الأمة فلأهل السنة والجماعة منه الحظ الأوفر والنصيب الأعلى؛ وما ذاك إلاَّ لأنَّهم الأنْموذج الأمثل للأمة

الَّتِي جعلها الله أمة وسطًا، وأخبر أنَّها خير أمة أُخرجت للناس؛ إذ هم الطائفة الوحيدة الَّتِي حققت المتابعة الْمَحضة لكتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، بِخلاف غيرهم من فرق وطوائف الأمة.

فإنه ما من فرقة ولا طائفة إلاَّ ولَها من الأقوال والاعتقادات ما يُخالف كتاب الله وسنة رسوله[١]؛ لذلك كان أهل السنة خير فرق هذه الأمة، وأوسط طوائفها، فهم الطائفة المنصورة، وهم "الفرقة الناجية"[٢]، وهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله-: "وسط فِي النِّحل كما أن ملة الإسلام وسط فِي الملل"[٣].

(١) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: "والحق الخالص الذي لا باطل فيه مع أهل السنة والجماعة، وهذا معروف بالتتبع فِي كثير من العقائد والأصول". انظر: طريق الوصول إلَى العلم المأمول (ص ٢٢).

(٢) انظر: "وسطية أهل السنة بين الفرق" (ص ٢٨٧).

(٣) الفتاوى (٤/ ١٤٠).

مسميات أهل السنة والجماعة

ومن الْمَعلوم: أن أهل السنة والجماعة هم أصحاب رسول الله ﷺ، وهم التابعون لَهم بإحسان، ومن سار على منهجهم وسلك طريقتهم إلَى يوم الدين، ولَمْ يتسمَّ أهل السنة والجماعة بِهذا الاسم -"أهل السنة والجماعة"- إلا بعدما ظهرت البدع، وتعددت فرق الضلال وأخذ كلٌّ يدعو إلَى بدعته وهواه، مع انتسابِهم فِي الظاهر إلَى الإسلام.

من هنا كان لابد لأهل الحق أن يُعرفوا بأسْماء تُميِّزهم عن غيرهم من أهل الابتداع والانْحراف فِي العقيدة؛ فظهرت حينئذٍ أسْمَاؤهم الشرعية المستمدة من النصوص الشرعية، فمن أسْمَائهم: "أهل السنة"، و"أهل السنة والجماعة"، و"الفرقة الناجية"، و"الطائفة المنصورة"، و"أهل الحديث والأثر".

ولكن لَمَّا تسمَّت بعض الطوائف المبتدعة بأهلِ السنة وهم ليسوا على معتقد أهل السنة والجماعة؛ من هنا تسمَّى أهل السنة والجماعة بـــ"السلفيين"، وأطلقوا على دعوتِهم "الدعوة السلفية"، فقيَّدوا اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالِح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان مِمَّن عُرف بتمسكه بالسنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة والتحذير منها.

وقد أمرنا الله باتباع الصحابة، واقتفاء أثرهم، وسلوك منهجهم، قال تعالَى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥].

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "وكل من الصحابة منيب إلَى الله فيجب اتِّباع سبيله، وأقواله واعتقاداته: من أكبر سبيله، والدليل على أنَّهم منيبون إلَى الله تعالَى: أن الله قد هداهم، وقد قال: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣]"[(١)].

وقد رضي الله عن الصحابة وعمن تبعهم بإحسان، قال تعالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة:١٠٠].

فليس من الابتداع فِي شيء أن يتسمى أهل السنة والجماعة بـ"السلفيين"؛ إذ إن مصطلح السلف يساوي تَمامًا مصطلح أهل السنة والجماعة، ويدرك ذلك بتأمل اجتماع كل من المصطلحين فِي حق الصحابة: فهم السلف الصالِح، وهم أهل السنة[(٢)]، فكما يصح لنا القول: "سنِّي" نسبة إلَى أهل السنة، يصح لنا القول: "سلفي" نسبة إلَى السلف لا فرق[(٣)].

---

(١) "إعلام الموقعين" (٤/١٢٠).

(٢) انظر: "موقف أهل السنة من أهل البدع" (ص ٦٣).

(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

مذهب السلف هو المذهب الحق

وإنه بعد وجود الفرق وحصول الافتراق أصبح مدلول السلف منطبقًا على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج طبقًا لفهم الصحابة والقرون المفضلة، ويكون هذا المصطلح "السلف" مرادفًا للأسْماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة، وأن الدعوة إلَى اتباع السلف، أو الدعوة السلفية إنَّما هي دعوة إلَى الإسلام الحق وإلَى السنة الْمَحضة، ودعوة إلَى العودة إلَى الإسلام كما أُنزل على النَّبي ﷺ وتلقَّاه عنه أصحابه الكرام.

ولا شك أن هذه الدعوة: دعوة حق، والانتساب إليها حق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه أو اعتزى إليه، بل يَجب قبول ذلك منه؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا"[1].

وقد كان لأئمة الإسلام من أهل السنة الأثر الكبير فِي الدعوة إلَى السنة، والعودة إلَى طريقة السلف ومنهجهم والاقتداء بِهم، ومن هؤلاء الأئمة: مالك، والشافعي، وأحْمَد، وأبو حنيفة وابن خزيْمَة، والبربَهاري وابن أبِي عاصم،

---

(١) "مَجموع الفتاوى" (٤/١٤٩).

والأصبهانِي، والآجري، وغيرهم.

ثُمَّ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه: كابن القيم، وابن عبد الْهَادي، وابن كثير، والذهبِي.

ثُمَّ شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده، مِمَّا أدى إِلَى ظهور اتِّجاه سلفي على مر التاريخ، يستقي أسس دينه وعقيدته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالِح، ويقاوم كل تيار بدعي يَخرج عن هذه الأسس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله- بعدما ذكر خطأ معتقدات وأقوال بعض الطوائف الضالة المنتسبة للإسلام، يقول: وهذه الأمور كلها إذا تدبرها المؤمن بعقله؛ تبيَّن له أن مذهب السلف هو المذهب الحق الذي لا عدول عنه، وأن من خالفهم لزمه فساد معلوم بصريح المعقول وصحيح المنقول[1] كسائر ما يلزم الأقوال المخالفة لأقوال السلف والأئمة، والله أعلم[2].

---

(١) وهذا ما نراه واضحًا فِي مناهج الجماعات الحزبية المعاصرة، حَتَّى وإن ادَّعى بعضها أنه على معتقد أهل السنة والجماعة، أو أنَّها على المذهب السلفي؛ إذ العبرة بالحقائق والمعانِي لا بالألفاظ والدعاوى.

(٢) "مَجموع الفتاوى" (٧/٥٨٥).

ولماذا كان الحق مع أهل السنة والجماعة

قال الشيخ بكر أبو زيد فِي "حكم الانتماء إلَى الفرق والأحزاب والْجَماعات الإسلامية" (ص ٢١):

"لَما حصلت تلك الفرق منتسبة إلَىٰ الإسلام منشقة عن العمود الفقري للمسلمين؛ ظهرت ألقابُهم الشرعية المميزة لِجماعة المسلمين لنفي الفرق والأهواء عنهم، سواءً ما كان لَهم من الأسْماء ثابتًا لَهم بأصل الشرع: الجماعة، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أو بواسطة التزامهم بالسنن أمام أهل البدع، ولِهذا حصل لَهم الربط بالصدر الأول، فقيل لَهم: "السلف"، "أهل الحديث"، "أهل الأثر"، "أهل السنة والجماعة".

وهذه الألقاب الشريفة تُخالف أي لقب كان لأي فرقة كانت من وجوه:

الأول: أنَّها نسب لَمْ تنفصل -ولو للحظة- عن الأمة الإسلامية منذ تكوينها على منهاج النبوة، فهي تَحوي جَميع المسلمين على طريقة الرعيل الأول ومن يُقتدَى بِهم فِي تلقي العلم، وطريقة فهمه، وبطبيعة الدعوة إليه، وضرورة انْحصار الفرقة الناجية فِي "أهل السنة والجماعة" وهم أصحاب هذا المنهج، وهي لا تزال باقية إلَى يوم القيامة أخذًا من قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتِي**

منصورة على الْحَق».

الثانِي: أَنَّها تَحوي كل الإسلام: الكتاب والسنة، فهي لا تَختص برسم يُخالف الكتاب والسنة زيادةً أو نقصًا.

الثالث: أَنَّها ألقاب منها ما هو ثابت بالسنة الصحيحة، ومنها ما لَمْ يبرز إلاَّ فِي مواجهة أهل الأهواء والفرق الضالة لرد بدعتهم، والتميز عنهم، وإبعاد الخلط بِهم ولِمنابذتِهم، فلما ظهرت البدعة تَميَّزوا بـــ"السنة"، ولَما حُكِّم الرأي تَميَّزوا بـــ"الحديث والأثر"، ولَما فشت البدع والأهواء فِي الخلوف تَميَّزوا بـــ"هدي السلف" وهكذا ..

الرابع: أن عقد الولاء والبراء والموالاة والمعاداة لديهم هو على الإسلام لا على رسم باسم معيَّن، ولا على رسم مُجرد، إنَّما هو الكتاب والسنة فحسب[1].

الْخَامس: أن هذه الألقاب لَمْ تكن داعية لَهم للتعصب لشخص دون رسول الله ﷺ.

السادس: أن هذه الألقاب لا تفضي إلَى بدعة، ولا معصية، ولا عصبية لشخص معيَّن، ولا لطائفة معيَّنة" اهـ.

(١) وفق فهم السلف.

الأصل الذي سار عليه أهل السنة والجماعة من صحابة رسول الله ﷺ إلى اليوم

أن الأحكام الأصولية والفروعية لا تتم إلاَّ بأمرين: هُما وجود الشروط، وانتفاء الْمَوانع[١]:

قلت: وهذا أصل عظيم فِي جَميع أحكام الشرع، سواء كانت أُصولاً أم فروعًا لابد من وجود شروطها وانتفاء موانعها، فلو وُجِد الشرط لكن كان هناك مانع لَمْ يصح الحكم، من ذلك مثلاً: آيات الوعيد فِي حق من ارتكب أمورًا مُحرمة فهو أهل لِما جاء فِي النصوص من الوعيد، لكن قد يكون هناك مانع يَمنع من العقاب كالتوبة، أو استغفار المؤمنين، أو المصائب[٢]، أو غير ذلك من مكفرات الذنوب.

ومن هذا الأصل: التكفير والتبديع والتفسيق، "وهو باب قد عظمت فيه الفتنة والْمِحنة، وطاشت فيه الأحلام، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء"[٣].

---

(١) "شرح القواعد السعدية" (ص ٨٩).

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) انظر: "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" (٢٣٧/١).

وموقف أهل السنة والجماعة السائرين على منهج السلف الصالِح من تكفير أهل البدع والعقائد الفاسدة: هو التفصيل[١]:

وهو أن أهل البدع ليسوا على درجة واحدة، فمنهم: من هو مقطوع بتكفيره كمن أتى بقول، أو فعل مكفر، وتَمت فِي حقه شروط التكفير، وانتفت موانعه.

ومنهم: من لا يُحكم بكفره لانتفاء ذلك فِي حقه[٢].

ثُمَّ إن القول فِي تكفير أهل البدع والتكفير عمومًا مبنِي على أصلين عظيمين:

أحدهُما: دلالة الكتاب والسنة على أن القول أو الفعل الصادر من الْمَحكوم عليه موجب للتكفير.

وثانيهما: انطباق هذا الحكم على القائل المعيَّن أو الفاعل المعيَّن، بِحيث

---

(١) وهناك قول يرى نفي التكفير نفيًا عامًّا عن أحد من أهل القبلة، فلا يُكفّر أحد من أهل القبلة، وقول يرى تكفير أهل البدع تكفيرًا مطلقًا، وأنّهم كلهم كفار خارجون عن الإسلام، وكلا القولين مُجانب للصواب، مُخالف للأدلة الشرعية، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله- خطأ من نسب هذين القولين لأحد من أئمة السلف، وأن الصواب: هو التفصيل، وهو القول الحق عن أئمة السلف. انظر: "مَجموع الفتاوى" (٣٣٧/٧-٣٤٠).

(٢) انظر: "مَجموع الفتاوى" (٣٥٢/٣-٣٥٤، ٤٩٧/١٢-٤٩٨)، و"شرح العقيدة الطحاوية" (٣٣٨-٣٤٠)، والدرر السنية (١٠٠/١، ٢٣٤، ٤٠/٣، ٤٣٤/١٠)، وانظر الكلام على هذه المسألة وافيًا فِي الكتاب القيم: "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" للأخ الفاضل الشيخ الدكتور: إبراهيم بن عامر الرحيلي (١٦٣/١-٢٣٥)، وانظر بيان هيئة كبار العلماء فِي دورته التاسعة والأربعين بتاريخ ١٤١٩/٤/٢هـ حول التكفير والتفجير.

تتم شروط التكفير فِي حقه، وتنتفي الموانع[١].

وهذان الأصلان أيضًا ينطبقان على الشخص عند الحكم عليه بالابتداع أو الفسق، وهو دلالة الكتاب والسنة على أن القول أو الفعل الصادر من الْمَحكوم عليه بدعة، وكون القائل المعيَّن أو الفاعل المعيَّن تَمت فِي حقه شروط التبديع، وانتفت موانعه[٢].

وعلى هذا سار أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وعليه سار الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وكذلك من جاء بعدهم من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والذهبِي، وابن كثير، ثُمَّ شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده إلَى عصرنا الحاضر، ومنهم أئمة الإسلام فِي هذا العصر الحاضر: ابن باز، وابن عثيمين، والألبانِي -رحِمهم الله- ثُمَّ علماء هذه البلاد السعودية، ومنهم: هيئة كبار العلماء.

---

(١) انظر: "مَجموع الفتاوى" (٣/٣٥٢-٣٥٤، ١٢/٤٩٧-٤٩٨)، و"شرح العقيدة الطحاوية" (٣٣٨-٣٤٠)، والدرر السنية (١/١٠٠، ٢٣٤، ٣/٤٠، ١٠/٤٣٤)، وانظر الكلام على هذه المسألة وافيًا فِي الكتاب القيم: "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" للأخ الفاضل الشيخ الدكتور: إبراهيم بن عامر الرحيلي (١/١٦٣-٢٣٥). وانظر بيان هيئة كبار العلماء فِي دورته التاسعة والأربعين بتاريخ ١٤١٩/٤/٢هـ حول التكفير والتفجير.

(٢) انظر: "مَجموع الفتاوى" (٣/٣٥٢-٣٥٤، ١٢/٤٩٧-٤٩٨)، و"شرح العقيدة الطحاوية" (٣٣٨-٣٤٠)، والدرر السنية (١/١٠٠، ٢٣٤، ٣/٤٠، ١٠/٤٣٤)، وانظر الكلام على هذه المسألة وافيًا فِي الكتاب القيم: "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" للأخ الفاضل الشيخ الدكتور: إبراهيم بن عامر الرحيلي (١/١٦٣-٢٣٥). وانظر بيان هيئة كبار العلماء فِي دورته التاسعة والأربعين بتاريخ ١٤١٩/٤/٢هـ حول التكفير والتفجير.

وسأذكر جواب الشيخ الألباني فِي مسألة التكفير الَّتِي ابتلي بِها المسلمون فِي هذا العصر، وأعقبه بتقريظ الشيخ عبد العزيز بن باز لِهذا الجواب وموافقته له، وكذلك تقريظ الشيخ ابن عثيمين -رحِمه الله- لكلام الشيخين.

ثُمَّ تَحذير سَماحة المفتِي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ من الدعوات الَّتِي تكفِّر الْمجتمعات المسلمة، ثُمَّ مقال الشيخ صالِح الفوزان فِي الأحداث الَّتِي وقعت فِي مدينة الرياض مؤخرًا، ثُمَّ بيان هيئة كبار العلماء فِي هذه البلاد فِي التكفير والتفجير؛ ليتضح للجميع أَنَّهم ساروا على ما سار عليه النَّبِي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان من أئمة الهدى.

وأن الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة من بعده لَمْ يأتوا بِجديد بالنسبة للعقيدة؛ إذ الجديد فيها بدعة، وإنَّما أحيوا ما اندرس من أمر الإسلام فأحيوا السنة، وأماتوا البدعة، وعادوا بالناس فِي أمر عقيدتِهم ودينهم إلَى ما كان عليه النَّبِي ﷺ وأصحابه وما عليه سلف الأمة، فرحمهم الله جَميعًا.

جواب الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني
- رحمه الله -

سؤال: فضيلة الشيخ، لا يَخفى عليكم ما احتوته الساحة الأفغانية فِي ذلك الوقت من الجماعات والفرق الضالة الَّتِي كثرت فِي ذلك الحين فِي صفوفها، والَّتِي استطاعت -وللأسف- أن تبث أفكارها الخارجة عن منهج السلف الصالِح فِي شبابنا السلفي الذي كان يُجاهد فِي أفغانستان، ومن هذه الأفكار: تكفير الحكام، وإحياء السنن المهجورة؛ كالاغتيالات -كما يدَّعون-.

والآن وبعد رجوع الشباب السلفي إلَى بلادهم بعد الجهاد؛ قام بعضهم ببث هذه الآراء والشُّبه بين الشباب فِي مُجتمعاتِهم، وعلمنا أنه قد حصل بينكم وبين أحد الإخوان مناقشة طويلة فِي مسألة التكفير، ولرداءة التسجيل لِهذه المناقشة نود من فضيلتكم البيان فِي هذه المسألة، وجزاكم الله خيرًا.

الْجَواب: إنَّ الحمد لله، نَحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن مسألة التكفير عمومًا -لا للحكام فقط؛ بل وللمحكومين أيضًا- هي فتنة عظيمة قديْمَة، تبنتها فرقة من الفرق الإسلامية القديْمة، وهي المعروفة بـــ"الخوارج".

والخوارج طوائف مذكورة فِي كتب الفرق، وبعضها لا تزال موجودة الآن باسم آخر وهي الإباضية، وهؤلاء الإباضية كانوا إلَى عهد قريب منطوين على أنفسهم ليس لَهم نشاط دعوي كما يقال اليوم، ولكن منذ بضع سنين بدءوا ينشطون وينشرون بعض الرسائل وبعض العقائد الَّتِي هي عين عقائد الخوارج القدامى، إلا أنَّهم يتسترون بِخصلة من خصال الشيعة ألا وهي التقية.

فهم يقولون: نَحن لسنا بالخوارج، وأنتم تعلمون جَميعًا أن الاسم لا يُغير من حقائق المسميات إطلاقًا، وهؤلاء يلتقون -فِي جُملة ما يلتقون- مع الخوارج فِي تكفير أصحاب الكبائر، فالآن يوجد فِي بعض الجماعات الذين يلتقون مع دعوة الحق فِي اتباع الكتاب والسنة، ومع الأسف الشديد فإن البعض من الدعاة أو المتحمسين قد يقع فِي الخروج عن الكتاب والسنة ولكن باسم الكتاب والسنة.

*** والسبب فِي هذا يعود إلَى أمرين اثنين فِي فهمي ونقدي:**

أحدهُما هو: ضحالة العلم وقلة التفقه فِي الدين.

والأمر الآخر -وهو مهم جدًّا-: أنَّهم لَمْ يتفقهوا بالقواعد الشرعية، والَّتِي هي أساس الدعوة الإسلامية الصحيحة، الَّتِي يُعَدُّ كل من خرج عنها من تلك

الفرق المنحرفة عن الجماعة الَّتي أثنَى عليها رسول الله ﷺ في غير ما حديث؛ بل والَّتي ذكرها ربنا ﷻ، وبيَّن أن من خرج عنها يكون قد شاق الله ورسوله، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

فإن الله -لأمر واضح جدًّا عند أهل العلم- لَمْ يقتصر على قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ... نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ...﴾. وإنَّما أضاف إلَى مشاقة الرسول اتباع غير سبيل المؤمنين، فقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

فاتباع سبيل المؤمنين أو عدم اتباع سبيلهم أمر هام جدًّا إيْجابًا وسلبًا، فمن اتَّبع سبيل المؤمنين؛ فهو النَّاجي عند رب العالَمين، ومن خالف سبيل المؤمنين؛ فحسبه جهنم وبئس المصير.

من هنا ضلت طوائف كثيرة جدًّا -قديْمًا وحديثًا-؛ لأنَّهم لَمْ يكتفوا بعدم التزام سبيل المؤمنين حسب، ولكن ركبوا عقولَهم واتبعوا أهواءهم في تفسير الكتاب والسنة، ثُمَّ بنوا على ذلك نتائج خطيرة جدًّا، خرجوا بها عما كان عليه سلفنا الصالِح -رضوان الله تعالَى عليهم جَميعًا-.

وهذه الفقرة من الآية الكريْمَة: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. أكدها -عليه الصلاة والسلام- تأكيدًا بالغًا في غير ما حديث نبوي صحيح.

وهذه الأحاديث -الَّتي سأورد بعضًا منها- ليست مَجهولة عند عامة المسلمين -فضلاً عن خاصتهم- لكن الْمَجهول فيها: هو أنَّها تدل على ضرورة

التزام سبيل المؤمنين فِي فهم الكتاب والسنة ووجوب ذلك وتأكيده.

وهذه النقطة يسهو عنها ويغفل عن ضرورتِها ولزومها كثير من الخاصة، فضلاً عن هؤلاء الذين عُرفوا بـــ"جَماعة التكفير"، أو بعض أنواع الجماعات الَّتِي تنسب نفسها للجهاد، وهي فِي حقيقتها من فلول التكفير.

فهؤلاء وأولئك قد يكونون فِي دواخل أنفسهم صالِحين ومُخلصين، ولكن هذا وحده غير كافٍ ليكون صاحبه عند الله ﷻ من الناجين المفلحين.

*** إذ لابد للمسلم أن يَجمع بين أمرين اثنين:**

- صدق الإخلاص فِي النية لله ﷻ.
- وحسن الاتباع لِما كان عليه النَّبِي ﷺ.

فلا يكفي إذن أن يكون المسلم مُخلصًا وجادًّا فيما هو فِي صدده من العمل بالكتاب والسنة والدعوة إليهما؛ بل لابد بالإضافة إلَى ذلك من أن يكون منهجه منهجًا سويًّا سليمًا وصحيحًا مستقيمًا؛ ولا يتم ذلك على وجهه إلا باتباع ما كان عليه سلف الأمة الصالِحون -رضوان الله تعالَى عليهم أجْمَعين-.

فمن الأحاديث الْمَعروفة الثابتة الَّتِي تؤصل ما ذكرت -وقد أشرت إليها آنفًا-: حديث الفرق الثلاث والسبعين، ألا وهو قوله -عليه الصلاة والسلام-: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتِي على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها فِي النار إلا واحدة.** قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **الْجَماعة»**[1].

---

(١) رواه ابن ماجه برقم (٣٩٩٢)، وصححه الألبانِي فِي "السلسلة الصحيحة" برقم (٢٠٣).

وفي رواية: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(١)].

فنجد أن جواب النَّبي ﷺ يلتقي تَمامًا مع الآية السابقة: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. فأول ما يدخل فِي عموم الآية هم أصحاب الرسول ﷺ.

فلم يكتف الرسول ﷺ فِي هذا الحديث بقوله: «**ما أنا عليه ...**». -مع أن ذلك قد يكون كافيًا فِي الواقع للمسلم الذي يفهم حقًّا الكتاب والسنة-؛ ولكنه -عليه الصلاة والسلام- يطبق تطبيقًا عمليًّا قوله ﷻ فِي حقه ﷺ أنه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

فمن تَمام رأفته وكمال رحْمته بأصحابه وأتباعه: أن أوضح لَهم -صلوات الله وسلامه عليه- أن علامة الفرقة الناجية: أن يكون أبناؤها وأصحابُها على ما كان عليه الرسول -عليه الصلاة والسلام- وعلى ما كان عليه أصحابه من بعده.

وعليه؛ فلا يَجوز أن يقتصر المسلمون عامة والدعاة خاصة فِي فهم الكتاب والسنة على الوسائل المعروفة للفهم؛ كمعرفة اللغة العربية، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك؛ بل لابد من أن يرجع قبل ذلك كله إلَى ما كان عليه أصحاب النَّبي ﷺ؛ لأنَّهم -كما تبين من آثارهم ومن سيرتهم- أنَّهم كانوا أخلص لله ﷻ فِي العبادة، وأفقه منَّا فِي الكتاب والسنة، إلَى غير ذلك من الخصال الحميدة الَّتي تَخلَّقوا بِها وتأدبوا بآدابِها.

ويشبه هذا الْحَديث تَمامًا -من حيث ثَمرته وفائدته-: حديث الخلفاء الراشدين،

---

(١) رواه أحمد فِي "المسند" برقم (١١٧٩٨)، وابن ماجه برقم (٣٩٩٣)، ونَحوه الترمذي برقم (٢٦٤١).

المروي فِي السنن من حديث العرباض بن سارية -رضي الله تعالَى عنه- قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وَجِلَت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: كأنَّها موعظة مودِّع فأوصنا يا رسول الله. قال: **أوصيكم بالسمع والطاعة، وإن ولِّي عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الْخُلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ...**»[1]. وذكر الحديث.

والشاهد من هذا الْحَديث: هو معنَى جوابه على السؤال السابق؛ إذ حض ﷺ أمته فِي أشخاص أصحابه أن يتمسكوا بسنته، ثُمَّ لَمْ يقتصر على ذلك؛ بل قال: «**وسنة الْخُلفاء الراشدين من بعدي**».

فلابد لنا -والحالة هذه- من أن ندندن دائمًا وأبدًا حول هذا الأصل الأصيل؛ إذا أردنا أن نفهم عقيدتنا، وأن نفهم عبادتنا، وأن نفهم أخلاقنا وسلوكنا.

ولا مَحيد عن العودة إلَى منهج سلفنا الصالِح لفهم كل هذه القضايا الضرورية للمسلم، حَتَّى يتحقق فيه -صدقًا- أنه من الفرقة الناجية.

ومن هنا ضلت طوائف قديْمة وحديثة حيث لَمْ يتنبَّهوا إلَى مدلول الآية السابقة، وإلَى مغزى حديث سنة الخلفاء الراشدين، وكذا حديث افتراق الأمة، فكان أمرًا طبيعيًّا جدًّا أن ينحرفوا كما انْحرف من سبقهم عن كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومنهج السلف الصالِح.

ومن هؤلاء الْمُنحرفين: الْخَوارج قدماء ومُحدثين.

---

(١) رواه أبو داود فِي سننه، كتاب السنة، باب فِي لزوم السنة برقم (٤٦٠٧).

فإن أصل فتنة التكفير في هذا الزمان -بل منذ أزمان-: هو آية يدندنون دائمًا حولَها؛ ألا وهي قوله تعالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]. فيأخذونَها من غير فهوم عميقة، ويوردونَها بلا معرفة دقيقة.

ونَحن نعلم أن هذه الآية الكريْمة قد تكررت وجاءت خاتِمتها بألفاظ ثلاثة، وهي: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

فمن تَمام جهل الذين يَحتجون بِهذه الآية باللفظ الأول منها فقط: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: أنَّهم لَمْ يلمُّوا على الأقل ببعض النصوص الشرعية -قرآنًا أم سنة- الَّتِي جاء فيها ذكر لفظة: "الكفر" فأخذوها -بغير نظر- على أنَّها تعنِي: الخروج من الدين، وأنه لا فرق بين هذا الذي وقع فِي الكفر، وبين أولئك المشركين من اليهود والنصارى وأصحاب الملل الأخرى الخارجة عن ملة الإسلام.

بينما لفظة: "الكفر" فِي لغة الكتاب والسنة لا تعنِي -دائمًا- هذا الذي يدندنون حوله، ويُسلِّطون هذا الفهم الخاطئ المغلوط عليه.

فشأن لفظة: ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ -من حيث إنَّها لا تدل على معنًى واحد- هو ذاته شأن اللفظين الآخرين: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. فكما أن من وُصف أنه ظالِم أو فاسق لا يلزم بالضرورة ارتداده عن دينه، فكذلك من وُصف بأنه كافر؛ سواء بسواء.

وهذا التنوع فِي معنَى اللفظ الواحد هو الذي تدل عليه اللغة، ثُمَّ

الشرع الذي جاء بلغة العرب -لغة القرآن الكريْم-.

فمن أجل ذلك كان الواجب على كل من يتصدى لإصدار الأحكام على المسلمين -سواءً كانوا حكامًا أم مَحكومين- أن يكون على علم واسع بالكتاب والسنة، وعلى ضوء منهج السلف الصالِح.

والكتاب والسنة لا يُمكن فهمهما -وكذلك ما تفرع عنهما- إلا بطريق معرفة اللغة العربية وآدابِها معرفة دقيقة.

فإن كان لدى طالب العلم نقص فِي معرفة اللغة العربية، فإن مِمَّا يساعده فِي استدراك ذلك النقص: الرجوع إِلَى فهم من قبله من الأئمة والعلماء وبِخاصة أهل القرون الثلاثة المشهود لَهم بالخيرية.

ولنرجع إلى الآية: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾. فما المراد بالكفر فيها؟ هل هو الخروج عن الملة أو أنه غير ذلك؟

فأقول: لابد من الدقة فِي فهم هذه الآية، فإنَّها قد تعنِي: الكفر العملي؛ وهو الخروج بالأعمال عن بعض أحكام الإسلام.

ويساعدنا فِي هذا الفهم حبر الأمة وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي أجْمَع المسلمون جَميعًا -إلا مَنْ كان مِن تلك الفرق الضالة- على أنه إمام فريد فِي التفسير.

فكأنه طرق سَمعه يومئذٍ ما نسمعه اليوم تَمامًا؛ من أن هناك أُناسًا يفهمون هذه الآية فهمًا سطحيًّا من غير تفصيل، فقال ﷺ: «ليس الكفر الذي تذهبون إليه»، و: «إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة»، و: «هو كفر دون

كفر»[1][2].

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٢/٣١٣)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وانظر: كتاب "قرة العيون في تصحيح تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ رواية ورعاية" تأليف الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي.

(٢) **وقد قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في تعليقه على كلام الشيخ الألباني:** "احتج الألباني بهذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذلك غيره من العلماء الذين تلقوه بالقبول؛ لصدق حقيقته على كثير من النصوص، فقد قال النَّبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**». ومع ذلك فإن قتاله لا يُخرج الإنسان من الملة لقوله تعالَى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾... إلَى أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:٩-١٠]. لكن لَما كان هذا لا يرضي هؤلاء المفتونين بالتكفير صاروا يقولون: هذا الأثر غير مقبول، ولا يصح عن ابن عباس، فيقال لَهم: كيف لا يصح وقد تلقاه من هو أكبر منكم وأفضل وأعلم بالحديث، وتقولون: لا يُقبل؟!

فيكفينا أن علماء كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم وغيرهما تلقوه بالقبول، ويتكلمون به، وينقلونه، فالأثر صحيح، ثُمَّ هب أن الأمر كما قلتم أنه لا يصح عن ابن عباس؛ فلدينا نصوص أخرى تدل على أن الكفر قد يُطلق ولا يراد به الكفر المخرج عن الملة، كما في الآية المذكورة، وكما في قوله ﷺ: «**اثنتان في الناس هُما بِهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**». وهذه لا تُخرج عن الملة بلا إشكال، لكن كما قال الشيخ الألباني -وفقه الله- في أول كلامه: قلة البضاعة من العلم، وقلة فهم القواعد الشرعية العامة هي الَّتي توجب هذا الضلال.

ثَم شيء آخر نضيفه إلَى ذلك: وهو سوء الإرادة الَّتي تستلزم سوء الفهم؛ لأن الإنسان إذا كان يريد شيئًا لزم من ذلك أن ينتقل فهمه إلَى ما يريده، ثُمَّ يُحرف النصوص على ذلك، وكان من القواعد المعروفة عند العلماء أنَّهم يقولون: "**استدل ثُمَّ اعتقد، ولا تعتقد ثُمَّ تستدل فتضل**".

=

ولعله يعنِي بذلك: الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ، ثُمَّ كان من عواقب ذلك: أنَّهم سفكوا دماء المؤمنين، وفعلوا فيهم ما لَمْ يفعلوا بالمشركين؛ فقال: ليس الأمر كما قالوا أو كما ظنوا، وإنَّما هو كفر دون كفر.

هذا الجواب المختصر الواضح من ترجمان القرآن فِي تفسير هذه الآية هو الحكم الذي لا يُمكن أن يفهم سواه من النصوص الَّتِي أشرت إليها قبل.

ثُمَّ إن كلمة "الكفر" ذُكرت فِي كثير من النصوص القرآنية والحديثية، ولا يُمكن أن تُحمل -فيها جَميعًا- على أنَّها تساوي الخروج من الملة، من ذلك مثلاً: الحديث المعروف فِي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالَى عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**».

فالكفر هنا هو المعصية، الَّتِي هي الخروج عن الطاعة، ولكن الرسول -عليه الصلاة والسلام- وهو أفصح الناس بيانًا بالغ فِي الزجر، قائلاً: «... **وقتاله كفر**»[1].

ومن ناحية أخرى: هل يُمكن لنا أن نفسر الفقرة الأولَى من هذا الحديث

=

فالْمُهم أن الأسباب ثلاثة:

الأولَى: قلة البضاعة من العلم الشرعي.

الثانية: قلة الفقه فِي القواعد الشرعية العامة.

الثالثة: سوء الفهم المبنِي على سوء الإرادة.

(١) رواه البخاري في الصحيح برقم (٤٨)، ومسلم في الصحيح برقم (٦٤).

-«**سباب المسلم فسوق**»- على معنَى الفسق المذكور فِي اللفظ الثالث ضمن الآية السابقة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾؟

والْجَواب: أن هذا قد يكون فسقًا مرادفًا للكفر الذي هو بِمعنَى: الخروج عن الملة، وقد يكون الفسق مرادفًا للكفر الذي لا يعنِي الخروج عن الملة، وإنَّما يعنِي ما قاله ترجمان القرآن أنه كفر دون كفر.

وهذا الحديث يؤكد أن الكفر قد يكون بِهذا المعنَى؛ وذلك لأن الله ﷻ قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٩]. إذ قد ذكر ربنا ﷻ هنا الفرقة الباغية الَّتِي تقاتل الفرقة الْمُحقة المؤمنة، ومع ذلك فلم يَحكم على الباغية بالكفر، مع أن الحديث يقول: «... **وقتاله كفر**».

إذن فقتاله كفر دون كفر، كما قال ابن عباس فِي تفسير الآية السابقة تَمامًا.

فقتال المسلم للمسلم بغي واعتداء، وفسق وكفر، ولكن هذا يعنِي: أن الكفر قد يكون كفرًا عمليًّا وقد يكون كفرًا اعتقاديًّا.

من هنا جاء هذا التفصيل الدقيق الذي تولَّى بيانه وشرحه الإمام -بِحق- شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله- وتولَّى ذلك من بعده تلميذه البار ابن قيم الجوزية؛ إذ لَهما الفضل فِي التنبيه والدندنة على تقسيم الكفر إِلَى ذلك التقسيم، الذي رفع رايته ترجمان القرآن بتلك الكلمة الجامعة الموجزة.

فابن تيمية -يرحْمه الله- وتلميذه وصاحبه ابن قيم الجوزية يدندنان

دائمًا حول ضرورة التفريق بين الكفر الاعتقادي والكفر العملي، وإلا وقع المسلم من حيث لا يدري فِي فتنة الخروج عن جَماعة المسلمين، الَّتِي وقع فيها الخوارج قديْمًا، وبعض أذنابِهم حديثًا.

* **وخلاصة القول:** إن قوله ﷺ: «**... وقتاله كفر**». لا يعنِي -مطلقًا-: الخروج عن الملة.

والأحاديث فِي هذا كثيرة جدًّا، فهي -جَميعًا- حجة دامغة على أولئك الذين يقفون عند فهمهم القاصر للآية السابقة، ويلتزمون تفسيرها بالكفر الاعتقادي.

فحسبنا الآن هذا الحديث؛ لأنه دليل قاطع على أن قتال المسلم لأخيه المسلم هو كفر، بِمعنَى: الكفر العملي، وليس الكفر الاعتقادي.

فإذا عدنا إلَى "جماعة التكفير" -أو من تفرع عنهم-، وإطلاقهم على الحكام -وعلى من يعيشون تَحت رايتهم بالأولَى، وينتظمون تَحت إمرتِهم وتوظيفهم- الكفر والردة، فإن ذلك مبنِي على وجهة نظرهم الفاسدة، القائمة على أن هؤلاء ارتكبوا المعاصي فكفروا بذلك.

ومن جُملة الأمور الَّتِي يفيد ذكرها وحكايتها: أننِي التقيت مع بعض أولئك الذين كانوا من "جَماعة التكفير" ثُمَّ هداهم الله ﷻ.

فقلت لَهم: هأنتم كفَّرتُم بعض الحكام، فما بالكم تكفِّرون أئمة المساجد، وخطباء المساجد، ومؤذنِي المساجد، وخَدَمة المساجد؟ وما بالكم تكفِّرون أساتذة العلم الشرعي فِي المدارس وغيرها؟

قالوا: لأن هؤلاء رضوا بِحكم هؤلاء الحكام الذين يَحكمون بغير ما أنزل الله.

فأقول: إذا كان هذا الرضا رضًا قلبيًّا بالحكم بغير ما أنزل الله؛ فحينئذٍ ينقلب الكفر العملي إلَى كفر اعتقادي، فأي حاكم يَحكم بِغير ما أنزل الله وهو يرى ويعتقد أن هذا هو الحكم اللائق تبنيه فِي هذا العصر، وأنه لا يليق به تبنيه للحكم الشرعي المنصوص فِي الكتاب والسنة؛ فلا شك أن هذا الحاكم يكون كفره كفرًا اعتقاديًّا وليس كفرًا عمليًّا فقط، ومن رضي ارتضاءه واعتقاده؛ فإنه يلحق به.

ثُمَّ قلت لَهم: فأنتم أولاً لا تستطيعون أن تَحكموا على كل حاكم يَحكم بالقوانين الغربية الكافرة -أو بكثير منها-، أنه لو سئل عن الحكم بغير ما أنزل الله؛ لأجاب: بأن الحكم بِهذه القوانين هو الحق والصالِح فِي هذا العصر، وأنه لا يَجوز الحكم بالإسلام؛ لأنَّهم لو قالوا ذلك لصاروا كفارًا -حقًّا- دون شك ولا ريب.

فإذا انتقلنا إلَى الْمَحكومين -وفيهم العلماء والصالِحون وغيرهم-، فكيف تَحكمون عليهم بالكفر بِمجرد أنَّهم يعيشون تَحت حكم يشملهم كما يشملكم أنتم تَمامًا؟ ولكنكم تُعلنون أن هؤلاء كفار مرتدون، والحكم بِما أنزل الله هو الواجب، ثُمَّ تقولون معتذرين لأنفسكم: إن مُخالفة الحكم الشرعي بِمجرد العمل لا يستلزم الحكم على هذا العامل بأنه مرتد عن دينه!

وهذا عين ما يقوله غيركم، سوى أنكم تزيدون عليهم -بغير حق-

الحكم بالتكفير والردة.

ومن جُملة المسائل الَّتي توضح خطأهم وضلالَهم: أن يقال لَهم: متى يُحكم على المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمَّدًا رسول الله -وقد يكون يصلي- بأنه ارتد عن دينه؟

أيكفي مرة واحدة؟

أو أنه يَجب أن يُعلن أنه مرتد عن الدين؟!

إنَّهم لن يعرفوا جوابًا، ولن يهتدوا صوابًا، فنضطر إلَى أن نضرب لَهم المثل التالِي، فنقول:

قاضٍ يَحكم بالشرع، هكذا عادته ونظامه، لكنه فِي حكومة واحدة زلَّت به القدم فحكم بِخلاف الشرع، أي: أعطى الحق للظالِم وحرمه المظلوم، فهذا -قطعًا- حكم بغير ما أنزل الله، فهل تقولون بأنه كَفَرَ كُفرَ ردة؟

سيقولون: لا؛ لأن هذا صدر منه مرة واحدة.

فنقول: إن صدر نفس الحكم مرة ثانية، أو حكم آخر، وخالف الشرع أيضًا، فهل يكفر؟

ثُمَّ نكرر عليهم: ثلاث مرات، أربع مرات، متَى تقولون: إنه كفر؟! لن يستطيعوا وضع حدٍّ بتعداد أحكامه الَّتي خالف فيها الشرع، ثُمَّ لا يكفِّرونه بِها.

فِي حين يستطيعون عكس ذلك تَمامًا، إذا عُلمَ منه أنه فِي الحكم الأول استحسن الحكم بغير ما أنزل الله -مستحلاً له- واستقبح الحكم الشرعي، فساعتئذٍ يكون الحكم عليه بالردة صحيحًا، ومن المرة الأولَى.

وعلى العكس من ذلك: لو رأينا منه عشرات الحكومات فِي قضايا متعددة خالف فيها الشرع، وإذا سألناه: لماذا حكمت بغير ما أنزل الله ﷻ؟ فرد قائلاً: خفت وخشيت على نفسي، أو ارتشيت مثلاً؛ فهذا أسوأ من الأول بكثير، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نقول بكفره، حَتَّى يُعرب عمَّا فِي قلبه بأنه لا يرى الحكم بِما أنزل الله ﷻ، فحينئذٍ فقط نستطيع أن نقول: إنه كافر كفر ردة.

* **وخلاصة الكلام**: لابد من معرفة أن الكفر -كالفسق والظلم- ينقسم إلَى قسمين:

- كفر وفسق وظلمٌ يُخرج من الملة، وكل ذلك يعود إلَى الاستحلال القلبِي.

- وآخر لا يُخرج من الملة؛ يعود إلَى الاستحلال العملي.

فكل المعاصي -وبِخاصة ما فشا فِي هذا الزمان من استحلال عملي للرِّبا، والزنا، وشرب الخمر، وغيرها-، هي من الكفر العملي، فلا يَجوز أن نكفِّر العصاة المتلبسين بشيء من المعاصي لِمجرد ارتكابِهم لَها، واستحلالِهم إياها عمليًّا، إلا إذا ظهر -يقينًا- لنا منهم -يقينًا- ما يكشف لنا عمَّا فِي قرارة نفوسهم أنَّهم لا يُحرِّمون ما حرم الله ورسوله اعتقادًا؛ فإذا عرفنا أنَّهم وقعوا فِي هذه المخالفة القلبية؛ حكمنا حينئذٍ بأنَّهم كفروا كفر ردة.

أما إذا لَمْ نعلم ذلك فلا سبيل لنا إلَى الحكم بكفرهم؛ لأننا نَخشى أن نقع تَحت وعيد قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بِها أحدهُما**»[1].

---

(١) رواه مسلم فِي الصحيح برقم (٦٠)، والبخاري فِي الصحيح برقم (٥٧٥٢).

والأحاديث الواردة فِي هذا المعنَى كثيرة جدًّا، أذكر منها حديثًا ذا دلالة كبيرة، وهو فِي قصة ذلك الصحابِي الذي قاتل أحد المشركين، فلما رأى هذا الْمُشرك أنه صار تَحت ضربة سيف المسلم الصحابِي؛ قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فما بالاها الصحابِي فقتله، فلما بلغ خبره النَّبِي ﷺ أنكر عليه ذلك أشد الإنكار، فاعتذر الصحابِي بأن المشرك ما قالَها إلا خوفًا من القتل، وكان جوابه ﷺ: «**هلاَّ شققت عن قلبه؟!**». أخرجه البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

إذن الكفر الاعتقادي ليس له علاقة أساسية بِمجرد العمل إنَّما علاقته الكبرى بالقلب.

ونَحن لا نستطيع أن نعلم ما فِي قلب الفاسق، والفاجر، والسارق، والزانِي، والمرابِي ... ومن شابَههم، إلا إذا عبَّر عما فِي قلبه بلسانه، أما عمله فينبئ أنه خالف الشرع مُخالفة عملية.

فنحن نقول: إنك خالفت، وإنك فسقت، وإنك فجرت، لكن لا نقول: إنك كفرت وارتددت عن دينك، حَتَّى يظهر منه شيء يكون لنا عذر عند الله ﷻ فِي الحكم بردته، ثُمَّ يأتِي الحكم المعروف فِي الإسلام عليه؛ ألا وهو قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»[1].

ثُمَّ قلت -وما أزال أقول- لِهؤلاء الذين يدندنون حول تكفير حكام المسلمين:

هبوا أن هؤلاء الحكام كفار كفر ردة، وهبوا -أيضًا- أن هناك حاكمًا

---

(١) رواه البخاري فِي صحيحه برقم (٦٩٢٢).

أعلى على هؤلاء، فالواجب -والْحَالة هذه- أن يُطبق هذا الْحَاكم الأعلى فيهم الحد.

ولكن الآن: ماذا تستفيدون أنتم من الناحية العملية إذا سلَّمنا -جدلاً- أن هؤلاء الحكام كفار كفر ردة؟! ماذا يُمكن أن تصنعوا وتفعلوا؟!

إذا قالوا: ولاء وبراء؛ فنقول: الولاء والبراء مرتبطان بالموالاة والمعاداة -قلبية وعملية- وعلى حسب الاستطاعة، فلا يشترط لوجودهما إعلان التكفير وإشهار الردة.

بل إن الولاء والبراء قد يكونان فِي مبتدع، أو عاصٍ، أو ظالِم.

ثُمَّ أقول لِهؤلاء: هاهم هؤلاء الكفار قد احتلوا من بلاد الإسلام مواقع عدة، ونَحن -مع الأسف- ابتلينا باحتلال اليهود لفلسطين.

فما الذي نستطيع نَحن وأنتم فعله مع هؤلاء حَتَّى تقفوا أنتم -وحدكم- ضد أولئك الحكام الذين تظنون أنَّهم من الكفار؟!

هلاَّ تركتم هذه الناحية جانبًا، وبدأتم بتأسيس القاعدة الَّتي على أساسها تقوم قائمة الحكومة المسلمة، وذلك باتباع سنة رسول الله ﷺ الَّتي ربَّى أصحابه عليها، ونشَّأهم على نظامها وأساسها.

نذكر هذا مرارًا، ونؤكده تكرارًا: لابد لكل جَماعة مسلمة من العمل بِحق لإعادة حكم الإسلام، ليس فقط على أرض الإسلام، بل على الأرض كلها، وذلك تَحقيقًا لقوله -تبارك وتعالَى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف:٩]. وقد جاء فِي بعض بشائر

الأحاديث النبوية أن هذه الآية ستتحقق فيما بعد.

فلكي يتمكن المسلمون من تَحقيق هذا النص القرآنِي والوعد الإلَهي؛ فلابد من سبيل بيِّن وطريق واضح، فهل يكون ذلك الطريق بإعلان ثورة على هؤلاء الحكام الذين يظن هؤلاء أن كفرهم كفر ردة؟ ثُمَّ مع ظنهم هذا -وهو ظن غالط خاطئ- لا يستطيعون أن يعملوا شيئًا.

إذن؛ ما هو المنهج؟ وما هو الطريق؟

لا شك أن الطريق الصحيح: هو ما كان رسول الله ﷺ يدندن حوله، ويذكِّر أصحابه به فِي كل خطبة: «**وخير الْهَدي هدي مُحمَّد ﷺ**»[1].

فعلى المسلمين كافة -وبِخاصة منهم من يهتم بإعادة الحكم الإسلامي- أن يبدءوا من حيث بدأ رسول الله ﷺ، وهو ما نوجزه نَحن بكلمتين خفيفتين: "التصفية والتربية".

ذلك لأننا نعلم حقائق ثابتة وراسخة يغفل عنها -أو يتغافل عنها- أولئك الغلاة، الذين ليس لَهم إلا إعلان تكفير الحكام، ثُمَّ لا شيء.

وسيظلون يعلنون تكفير الْحكام، ثُمَّ لا يصدر منهم -أو عنهم- إلا الفتن والْمِحن!!

والواقع فِي هذه السنوات الأخيرة على أيدي هؤلاء -بدءًا من فتنة الْحَرم المكي، إلَى فتنة مصر وقتل السادات، وأخيرًا فِي سوريا، ثُمَّ الآن فِي مصر والجزائر-

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٨٦٧).

منظور لكل أحد: هدر دماء من المسلمين الأبرياء بسبب هذه الفتن والبلايا، وحصول كثير من الْمِحن والرزايا.

كل هذا بسبب مُخالفة هؤلاء لكثير من نصوص الكتاب والسنة، وأهمها قوله تعالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

إذا أردنا أن نقيم حكم الله فِي الأرض -حقًّا لا ادعاءً- هل نبدأ بتكفير الحكام ونَحن لا نستطيع مواجهتهم، فضلاً عن أن نقاتلهم؟ أم نبدأ -وجوبًا- بِما بدأ به الرسول -عليه الصلاة والسلام-؟!

لا شك أن الجواب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..﴾.

ولكن؛ بِماذا بدأ رسول الله ﷺ؟

من المتيقن عند كل من اشتم رائحة العلم: أنه ﷺ بدأ بالدعوة بين الأفراد الذين كان يظن فيهم الاستعداد لتقبُّل الحق، ثُمَّ استجاب له من استجاب من أفراد الصحابة -كما هو معروف فِي السيرة النبوية-؛ ثُمَّ وقع بعد ذلك التعذيب والشدة الَّتِي أصابت المسلمين فِي مكة، ثُمَّ جاء الأمر بالهجرة الأولَى والثانية، حَتَّى وطد الله ﷻ الإسلام فِي المدينة المنورة، وبدأت هناك المناوشات والمواجهات، وبدأ القتال بين المسلمين وبين الكفار من جهة، ثُمَّ اليهود من جهة أخرى ... هكذا.

إذن؛ لابد أن نبدأ نَحن بتعليم الناس الإسلام الحق، كما بدأ الرسول -عليه الصلاة والسلام- لكن لا يَجوز لنا الآن أن نقتصر على مُجرد التعليم

فقط، فلقد دخل فِي الإسلام ما ليس منه، وما لا يَمت إليه بصلة، من البدع والْمُحدثات مِمَّا كان سببًا فِي تَهدم الصرح الإسلامي الشامخ.

فلذلك كان الواجب على الدعاة أن يبدءوا بتصفية هذا الإسلام مِمَّا دخل فيه.

هذا هو الأصل الأول: "التصفية".

وأما الأصل الثاني: فهو أن يقترن مع هذه التصفية تربية الشباب المسلم الناشئ على هذا الإسلام المصفى.

ونَحن إذا درسنا واقع الجماعات الإسلامية القائمة منذ نَحو قرابة قرن من الزمان، وأفكارها ومُمارساتِها؛ لوجدنا الكثير منهم لَمْ يستفيدوا -أو يفيدوا- شيئًا يُذكر، برغم صياحهم وضجيجهم بأنَّهم يريدونَها حكومة إسلامية، مِمَّا سبَّب سفك دماء أبرياء كثيرين بِهذه الحجة الواهية، دون أن يُحققوا من ذلك شيئًا.

فلا نزال نسمع منهم العقائد المخالفة للكتاب والسنة، والأعمال المنافية للكتاب والسنة، فضلاً عن تكرارهم تلك الْمُحاولات الفاشلة المخالفة للشرع.

وختامًا أقول: هناك كلمة لأحد الدعاة -كنت أتَمنَّى من أتباعه أن يلتزموها وأن يُحققوها- وهي: "أقيموا دولة الإسلام فِي قلوبكم تُقم لكم على أرضكم".

لأن المسلم إذا صحح عقيدته بناءً على الكتاب والسنة؛ فلا شك أنه بذلك ستصلح عبادته، وستصلح أخلاقه، وسيصلح سلوكه ... إلخ.

لكن هذه الكلمة الطيبة -مع الأسف- لَمْ يعمل بِها هؤلاء الناس، فظلوا يصيحون مطالبين بإقامة الدولة المسلمة ..... لكن دون جدوى، ولقد صدق فيهم -والله- قول الشاعر:

ترجو النجاة ولَمْ تسلك مسالكها إن السفينة لا تَجري على اليبس

لعل فيما ذكرت مقنعًا لكل منصف، ومنتهًى لكل متعسف، والله المستعان[1].

❀❀❀

(١) وانظر كتاب "فتاوى الأئمة فِي النوازل المدلهمة" (ص ٢٠٤-٢٢١) نقلاً عن كتاب "فتنة التكفير" (ص ٤٤).

تقريظ سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز
- رحمه الله -

الْحَمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بِهداه.

أما بعد:

فقد اطلعت على الجواب المفيد الذي تفضَّل به صاحب الفضيلة الشيخ مُحمَّد ناصر الدين الألبانِي -وفقه الله- المنشور فِي صحيفة المسلمون، الذي أجاب به فضيلته من سأله عن: "تكفير من حكم بغير ما أنزل الله من غير تفصيل".

فألفيتها كلمة قيمة أصاب فيها الحق، وسلك فيها سبيل المؤمنين، وأوضح -وفقه الله- أنه لا يَجوز لأحد من الناس أن يُكفِّر من حكم بغير ما أنزل الله بِمجرد الفعل من دون أن يعلم أنه استحل ذلك بقلبه، واحتج بِما جاء فِي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن غيره من سلف الأمة.

ولا شك أن ما ذكره فِي جوابه فِي تفسير قوله تعالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

و: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

و: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧]. هو الصواب.

وقد أوضح أن الكفر كفران: أكبر وأصغر، كما أن الظلم ظلمان، وهكذا الفسق فسقان: أكبر وأصغر.

فمن استحل الحكم بغير ما أنزل الله، أو الزنا، أو الربا، أو غيرها من الْمُحرمات الْمُجمع على تَحريْمها؛ فقد كفر كفرًا أكبر، وظلم ظلمًا أكبر، وفسق فسقًا أكبر.

ومن فعلها بدون استحلال: كان كفره كفرًا أصغر، وظلمه ظلمًا أصغر، وهكذا فسقه؛ لقول النَّبِي ﷺ فِي حديث ابن مسعود ﷺ: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**[1].

أراد بِهذا ﷺ الفسق الأصغر، والكفر الأصغر، وأطلق العبارة تنفيرًا من هذا العمل المنكر.

وهكذا قوله ﷺ: **«اثنتان فِي الناس هُما بِهم كفر: الطعن فِي النسب، والنياحة على الميت»**. أخرجه مسلم فِي صحيحه[2].

وقوله ﷺ: **«لا ترجعوا بعدي كفارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض»**.

---

(١) تقدم تَخريْجه.

(٢) رواه مسلم برقم (٦٧).

أخرجه البخاري ومسلم من حديث جرير ﷺ[١]، والأحاديث فِي هذا المعنَى كثيرة.

فالواجب على كل مسلم -ولاسيما أهل العلم-: التثبت فِي الأمور، والحكم فيها على ضوء الكتاب والسنة وطريق سلف الأمة، والحذر من السبيل الوخيم الذي سلكه الكثير من الناس لإطلاق الأحكام وعدم التفصيل.

وعلى أهل العلم أن يعتنوا بالدعوة إلَى الله سبحانه بالتفصيل، وإيضاح الإسلام للناس بأدلته من الكتاب والسنة، وترغيبهم فِي الاستقامة عليه، والتواصي والنصح فِي ذلك مع الترهيب من كل ما يُخالف أحكام الإسلام.

وبذلك يكونون قد سلكوا مسلك النَّبِي ﷺ، ومسلك خلفائه الراشدين وصحابته المرضيين فِي إيضاح سبيل الحق، والإرشاد إليه، والتحذير مِمَّا يُخالفه، عملاً بقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

وقوله سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

وقول النَّبِي ﷺ: **«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»**[٢].

---

(١) البخاري برقم (١٢١).

(٢) رواه مسلم برقم (١٨٩٢).

وقوله ﷺ: «من دعا إلَى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلَى ضلالة كان عليه من الإثْمِ مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»(١).

وقول النَّبي ﷺ لعليٍّ ﷺ لَما بعثه إلَى اليهود فِي خيبر: «ادعهم إلَى الإسلام وأخبرهم بِما يَجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأَنْ يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النَّعم». متفق على صحته(٢).

وقد مكث النَّبي ﷺ فِي مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلَى توحيد الله، والدخول فِي الإسلام بالنصح والحكمة والصبر والأسلوب الحسن، حَتَّى هدى الله على يديه وعلى يد أصحابه من سبقت له السعادة، ثُمَّ هاجر إلَى المدينة -عليه الصلاة والسلام- واستمر فِي دعوته إلَى الله سبحانه هو وأصحابه ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة، والصبر والجدال بالتِي هي أحسن، حَتَّى شرع الله له الجهاد بالسيف للكفار، فقام بذلك -عليه الصلاة والسلام- هو وأصحابه ﷺ أكمل قيام؛ فأيدهم الله ونصرهم وجعل لَهم العاقبة الحميدة.

وهكذا يكون النصر وحسن العاقبة لِمن تبعهم بإحسان وسار على نَهجهم إلَى يوم القيامة.

والله المسئول أن يَجعلنا وسائر إخواننا فِي الله من أتباعهم بإحسان، وأن يرزقنا وجَميع إخواننا الدعاة إلَى الله البصيرة النافذة والعمل الصالِح، والصبر

---

(١) مسلم برقم (٢٥٧٤).

(٢) البخاري برقم (٣٠٠٩)، ومسلم برقم (٢٤٠٦).

على الحق حَتَّى نلقاه سبحانه، إنه ولِي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحمَّد وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلَى يوم الدين[1].

(١) انظر: فتاوى الأئمة فِي النوازل المدلهمة.

تعليق العلامة الشيخ محمد العثيمين -رحمه الله-
على كلمتي الألباني وابن باز

الذي فُهم من كلام الشيخين: أن الكفر لِمن استحل ذلك، وأما من حكم به على أنه معصية مُخالفة؛ فهذا ليس بكافر؛ لأنه لَمْ يستحله، لكن قد يكون خوفًا، أو عجزًا، أو ما أشبه ذلك.

*** وعلى هذا فتكون الآيات الثلاث منَزلة على أحوالٍ ثلاث:**

١- من حكم بغير ما أنزل الله بدلاً عن دين الله؛ فهذا كفر أكبر مُخرج عن الملة؛ لأنه جعل نفسه مُشَرِّعًا مع الله ﷻ؛ ولأنه كاره لشريعته.

٢- من حكم به لِهوًى فِي نفسه، أو خوفًا عليها، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يكفر، ولكنه ينتقل إلَى الفسق.

٣- من حكم به عدوانًا وظلمًا -وهذا لا يتأتَّى فِي حكم القوانين، ولكن يتأتَّى فِي حكم خاص، مثل أن يَحكم على إنسان بغير ما أنزل الله لينتقم منه فهذا يقال: إنه ظالِم؛ فَتُنَزَّل الأوصاف على حسب الأحوال.

ومن العلماء من قال: إنَّها أوصاف لِموصوف واحد، وأن كل كافر ظالِم، وكل كافر فاسق، واستدلوا بقوله تعالَى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وبقوله تعالَى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [السجدة:٢٠]. وهذا هو الفسق الأكبر.

ومهما كان الأمر فكما أشار الشيخ الألبانِي -رحِمه الله- أن الإنسان ينظر ماذا تكون النتيجة؟ ليست المسألة نظرية، لكن المهم التطبيق العملي ما هي النتيجة؟[1].

* **وقال -رحِمه الله- جوابًا على سؤال:**

من سوء الفهم: قول من نسب لشيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال: إذا أُطلق الكفر، فإنَّما يُراد به كفرًا أكبر، مستدلاً بِهذا القول على التكفير بآية: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]. مع أنه ليس فِي الآية أنَّ هذا هو الكفر.

وأما القول الصحيح عن شيخ الإسلام: فهو تفريقه -رحِمه الله- بين "الكفر" المعرف بـــ"ال" وبين "كفر" منكرًا؛ فأما الوصف فيصلح أن نقول فيه: "هؤلاء كافرون"، أو"هؤلاء الكافرون"؛ بناءً على ما اتصفوا به من الكفر الذي لا يُخرج من الملة، ففرق بين أن يوصف الفعل، وأن يوصف الفاعل.

وعليه، فإنه بتأويلنا لِهذه الآية على ما ذُكر: نَحكم بأن الحكم بغير ما أنزل الله ليس بكفر مُخرج عن الملة، لكنه كفر عملي؛ لأن الحاكم بذلك خرج عن الطريق الصحيح، ولا يُفرَّق فِي ذلك بين الرجل الذي يأخذ قانونًا

---

(١) فتاوى الأئمة فِي النوازل المدلهمة (ص ٢٢٦-٢٢٧) نقلاً عن كتاب كيف نعالِج واقعنا الأليم.

وضعيًّا من قِبَل غيره ويُحكِّمه فِي دولته، وبين من ينشئ قانونًا ويضع هذا القانون؛ إذ المهم هو: هل هذا القانون يُخالف القانون السماوي أم لا؟[1].

❀❀❀

(١) فتاوى الأئمة فِي النوازل المدلهمة (ص ٢٢٧)؛ نقلاً عن كتاب فتنة التكفير، إعداد علي حسن أبو لوز.

تحذير سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ من الدعوات التي تكفر المجتمعات المسلمة وتدعو إلى الخروج على الأئمة

قال سَماحته فِي رده على سؤال فِي درسه بالْمَسجد الْحَرام فِي كيفية التعامل مع من ينتهج هذا النهج.

قال: "إن الكثير مِمَّن اعتنق هذا الفكر هم جهلة، غُرِّر بِهم لقلة علمهم وبصيرتِهم؛ فقبلوا هذه الآراء التكفيرية من قِبَل فئة اتَّخذوا هذا النهج لتحقيق غاياتِهم المشبوهة، فجاءوا بِهذه الأفكار؛ ليخدعوا بِها قليلي العلم والفهم والبصيرة؛ ولكن الواجب على كل إنسان يعرف من يعتقد هذا المعتقد: أن يذكِّره بالله ويبيِّن له بطلان معتقده ومنهجه.

فإن ارتدع وعاد إِلَى رشده فهذا المطلوب، وإن استمر فِي باطله ولَمْ ينْزجر، فلا يترك هؤلاء يفسدون على شبابنا دينهم، ففكرة التكفير خطيئة سيئة، ويوجد وراءها من يريدون الإضرار بالأمة فيسلكون كل سبيل ليحققوا أغراضهم.

فأنصح إخوانِي بالحذر من الدعوات الَّتِي تكفِّر الْمُجتمعات المسلمة، وتدعو إِلَى الخروج على الأئمة، وحَمل السلاح على المسلمين، كما أنني

أنصح من يفتِي هؤلاء بأن يتقي الله فِي نفسه، ويتقي الله فِي عباده المسلمين، ويتقي الله فِي الْمُجتمعات المسلمة، وليعلم أن هذه الجادَّة جادَّة أهل البدع.

فالسلف الصالِح أبعد وأسلم عن هذه الجادة الخاطئة؛ بل كانوا يَحثون على السمع والطاعة والصبر على الأئمة حَتَّى وإن جاروا أو ظلموا، وينهون عن الخروج على الأئمة حقنًا لدماء المسلمين، وجَمعًا لكلمتهم، وتوحيدًا لصفهم، فاتقوا الله فِي المسلمين، واحذروا سخط الله وعقابه، ومن لَمْ يتب من هؤلاء المفتين -بغير علم-، فيجب على أهل الإسلام الحذر والتحذير منهم، والبعد عنهم، وقى الله المسلمين الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن"[1].

(١) فتاوى الأئمة فِي النوازل المدلهمة (ص ١٩٨-١٩٩) نقلاً عن جريدة عكاظ العدد (٦٧٦) بتاريخ (١٤٢٤/٦/٤هـ).

مقال فضيلة الشيخ
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الْحَمد لله، والصلاة والسلام على نبينا مُحمَّد وآله وصحبه.

وبعد:

فلا شك أن توفر الأمن مطلب ضروري، والإنسانية أحوج إليه من حاجتها إلَى الطعام والشراب، ولذا قدَّمه إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- فِي دعائه على الرزق فقال: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة:١٢٦]. لأن الناس لا يَهنئون بالطعام والشراب مع وجود الخوف، ولأن الخوف تنقطع معه السبل الَّتِي بواسطتها تُنقل الأرزاق من بلد لآخر، ولذلك رتَّب الله على قطَّاع الطرق أشد العقوبات، فقال: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٣].

ومجاء **الإسلام بحفظ الضروريات الخمس**: وهي الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، ورتَّب حدودًا صارمة فِي حق من يعتدي على هذه الضرورات، سواء كانت هذه الضرورات لِمسلمين أو معاهدين، فالكافر المعاهد له ما للمسلم،

وعليه ما على المسلم، قال النَّبي ﷺ: «**من قتل معاهدًا؛ لَمْ يرح رائحة الجنة**»[١].

وقال تعالَى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة:٦].

وإذا خاف المسلمون من المعاهدين خيانة للعهد؛ لَمْ يَجز لَهم أن يقاتلوهم حَتَّى يُعْلِموهم بإنْهاء العهد الذي بينهم، ولا يفاجئوهم بالقتال بدون إعلام، قال تعالَى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨].

*** والذين يدخلون تَحت عهد المسلمين من الكفار ثلاثة أنواع:**

- **المستأمن**: وهو الذي يدخل بلاد المسلمين بأمان منهم لأداء مهمة، ثُمَّ يرجع إلَى بلده بعد إنْهائها.

- **والمعاهد**: الذي يدخل تَحت صلح بين المسلمين والكفار، وهذا يؤمَّن حَتَّى ينتهي العهد الذي بين الفئتين، ولا يَجوز لأحد أن يعتدي عليه، كما لا يَجوز له أن يعتدي على أحد من المسلمين.

- **والذمي**: الذي يدفع الجزية للمسلمين، ويدخل تَحت حكمهم.

والإسلام يكفل لِهؤلاء الأنواع من الكفار: الأمن على دمائهم وأموالِهم وأعراضهم، ومن اعتدى **عليهم** فقد خان الإسلام، واستحق العقوبة الرادعة.

والعدل واجب **مع المسلمين ومع الكفار، حَتَّى لو لَمْ** يكونوا **معاهدين**

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٢٩٩٥).

أو مستأمنين أو أهل ذمة، قال تعالَى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ [المائدة:٢].

وقال تعالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٨].

والذين يعتدون على الآمن: إما أن يكونوا خوارج، أو قطَّاع طرق، أو بغاة، وكل هذه الأصناف الثلاثة يُتخذ معه الإجراء الصارم الذي يوقفه عند حدِّه، ويكفّ شره عن المسلمين والمستأمنين والمعاهدين وأهل الذمة.

فهؤلاء الذين يقومون بالتفجير فِي أيِّ مكان، ويتلفون الأنفس المعصومة، والأموال الْمُحترمة -لمسلمين أو معاهدين- ويرمِّلون النساء، ويتمون الأطفال، هم من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦].

ومن العجيب: أنَّ هؤلاء المعتدين الخارجين على حكم الإسلام يسمُّون عملهم هذا جهادًا فِي سبيل الله، وهذا من أعظم الكذب على الله؛ فإنَّ الله جعل هذا فسادًا ولَمْ يَجعله جهادًا، ولكن لا نعجب حينما نعلم أنَّ سلف هؤلاء من الخوارج كفَّروا الصحابة، وقتلوا عثمان وعليًّا رضي الله عنهما وهُما من الخلفاء الراشدين، ومن العشرة المبشرين بالجنة، قتلوهما وسَمَّوا هذا جهادًا فِي سبيل الله، وإنَّما هو جهاد فِي سبيل الشيطان، قال تعالَى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء:٧٦].

ولا يُحمَّل الإسلام فعلهم هذا كما يقول أعداء الإسلام -من الكفار والمنافقين-: إنَّ دين الإسلام دين إرهاب. ويَحتجون بفعل هؤلاء الْمُجرمين، فإن فعلهم هذا ليس من الإسلام، ولا يقرُّه إسلام ولا دين، إنَّما هو فكر خارجي قد حث النَّبيﷺ على قتل أصحابه، وقال: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**».

ووعد بالأجر الجزيل لِمن قتلهم، وإنَّما يقاتلهم ولي أمر المسلمين؛ كما قاتلهم الصحابة بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

وبعض المنافقين أو الجهال يزعم أنَّ مدارس المسلمين هي الَّتي علَّمتهم هذا الفكر، وأنَّ مناهج التدريس تتضمن هذا الفكر المنحرف، ويطالبون بتغيير مناهج التعليم.

ونقول: إنَّ أصحاب هذا الفكر لَمْ يتخرجوا من مدارس المسلمين، ولَمْ يأخذوا العلم عن علماء المسلمين؛ لأنَّهم يُحرِّمون الدراسة فِي المدارس والمعاهد والكليات، ويَحتقرون علماء المسلمين، ويُجهِّلونَهم، ويصفونَهم بالعمالة للسلاطين، ويتعلمون عند أصحاب الفكر المنحرف[1] وعند حدثاء

---

(١) وقد اعترف طائفة من الذين تبنوا الفكر المنحرف وخُدعوا به أنَّهم لَمْ يتلقوه من مناهج التعليم الَّتي تدرس فِي بلدنا، وإنَّما أخذوا تلك الأفكار عن أصحاب الفكر المنحرف من شواذ الْمُجتمعات الذين يلتقون بِهم هنا وهناك، وقد بثت وسائل الإعلام المختلفة تلك التصريْحَات والاعترافات.

وممَّن اعترفوا بتأثرهم به: أبو مُحمَّد المقدسي، وأبو قتادة، وكتاب ظلال القرآن لسيد قطب، والاعترافات لَمْ تدع مَجالاً للشك أن مناهجنا -ولله الحمد- بريئة كل البراءة =

الأسنان، سفهاء الأحلام، من أمثالِهم كما جهَّل أسلافهم علماء الصحابة وكفَّروهم.

والذي نرجوه بعد اليوم: أن يلتفت الآباء لأبنائهم، فلا يتركوهم لأصحاب الأفكار الهدامة يوجهونَهم إلَى الأفكار الضالة، والمناهج المنحرفة، ولا يتركوهم للتجمعات المشبوهة، والرحلات الْمَجهولة، والاستراحات الَّتِي هي مراتع لأصحاب التضليل، ومصائد للذئاب المفترسة، ولا يتركوهم يسافرون خارج المملكة وهم صغار السن.

وعلى العلماء أن يقوموا بالتوجيه السليم، وتعليم العقائد الصحيحة فِي المدارس والمساجد ووسائل الإعلام حَتَّى لا يدعوا فرصة لأصحاب الضلال الذين يَخرجون فِي الظلام، وعند غفلة المصلحين.

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالِح، وصلى الله على نبينا مُحمَّد وآله وصحبه[1].

=

من تلك الأفكار الفاسدة، وأنَّها تُعلِّم الخير، وحسن المعتقد والسلوك، وتَحث على لزوم الجماعة، ووجوب السمع والطاعة. اهـ. من كلام الشيخ صالِح الفوزان، نُشر بِجريدة الجزيرة العدد (١١٤٣٤) بتاريخ ١٤٢٤/١١/٢٦هـ.

(١) فتاوى الأئمة فِي النوازل المدلهمة (ص ٢٢٨-٢٣٢) نقلاً عن جريدة الرياض، الخميس ١٤٢٤/٣/٢١هـ.

بيان من هيئة كبار العلماء في التكفير والتفجير

الْحَمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بِهداه.

أما بعد:

فقد درس مَجلس هيئة كبار العلماء -فِي دورته التاسعة والأربعين- المنعقدة بالطائف ابتداءً من تاريخ (١٤١٩/٤/٢هـ) ما يَجري فِي كثير من البلاد الإسلامية وغيرها، من التكفير والتفجير، وما ينشأ عن ذلك من سفك الدماء، وتَخريب المنشآت.

ونظرًا إلَى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم؛ فقد رأى الْمَجلس إصدار بيان يوضِّح فيه حكم ذلك؛ نصحًا لله ولعباده، وإبراءً للذمة، وإزالة للَّبس فِي المفاهيم لدى من اشتبه عليه الأمر.

فنقول -وبالله التوفيق-:

أولاً: التكفير حكم شرعي، مرده إلَى الله ورسوله، فكما أن التحليل

والتحريْم والإيْجاب إلَى الله ورسوله، فكذلك التكفير.

وليس كل ما وُصِفَ بالكفر من قول أو فعل، يكون كفرًا أكبر مُخرجًا عن الملة.

ولَمَّا كان مرد حكم التكفير إلَى الله ورسوله؛ لَمْ يَجز أن نكفِّر إلا من دلَّ الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة؛ فلا يكفي فِي ذلك مُجرد الشبهة والظن؛ لِما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة.

وإذا كانت الحدود تُدرأ بالشبهات -مع أنَّ ما يترتب عليها أقل مِمَّا يترتب على التكفير- فالتكفير أولَى أن يُدرأ بالشبهات.

ولذلك حذَّر النَّبي ﷺ من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: «**أيّما امرئٍ قال لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بِها أحدهُما إن كان كما قال، وإلاَّ رجعت عليه**»[1].

وقد يرد فِي الكتاب والسنة ما يُفهم منه أنَّ هذا القول، أو العمل، أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتَّصف به؛ لوجود مانع يَمنع من كفره.

وهذا الحكم كغيره من الأحكام الَّتِي لا تتم إلا بوجود أسبابِها وشروطها وانتفاء موانعها، كما فِي الإرث، سبب القرابة -مثلاً- وقد لا يرث بِها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يُكره عليه المؤمن، فلا يكفر به.

---

(١) أخرجه البخاري فِي كتاب الأدب، باب: مَنْ كفَّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث رقم (٦١٠٤)، ومسلم فِي كتاب الإيْمان، باب: بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر، حديث رقم (٦٠).

وقد ينطق المسلم كلمة الكفر؛ لغلبة فرح أو غضب أو نَحوهما؛ فلا يكفر بِها لعدم القصد؛ كما فِي قصة الذي قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك؛ أخطأ من شدَّة الفرح**»(١).

والتسرع فِي التكفير يترتب عليه أمور خطيرة: من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيرها مِمَّا يترتب على الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يُقْدِم عليه لأدنَى شبهة؟!

وإذا كان هذا فِي ولاة الأمور: كان أشد؛ لِما يترتب عليه من التمرد عليهم، وحَمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد.

ولِهذا منع النَّبِي ﷺ من منابذتِهم، فقال: «**إلاَّ أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»(٢).

فأفاد قوله: «**إلاَّ أن تروا**»: أنه لا يكفي مُجرد الظن والإشاعة.

وأفاد قوله: «**كُفْرًا**»: أنه لا يكفي الفسوق ولو كبر، كالظلم، وشرب الخمر، ولعب القمار، والاستئثار الْمُحرم.

وأفاد قوله: «**بواحًا**»: أنه لا يكفي الكفر الذي ليس بواح، أي: صريح ظاهر.

وأفاد قوله: «**عندكم من الله فيه برهان**»: أنَّه لابدَّ من دليل صريح، بِحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة.

---

(١) أخرجه مسلم فِي كتاب التوبة، باب: فِي الحض على التوبة والفرح بِها، حديث رقم (٢٧٤٧).
(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٦٦٤٤)، ومسلم حديث رقم (١٧٠٩).

وأفاد قوله: «من الله»: أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منْزلته فِي العلم والأمانة، إذا لَمْ يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

وجُملة القول: أنَّ التسرع فِي التكفير له خطره العظيم؛ لقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

ثانيًا: ما نَجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتَخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها مُحرمة شرعًا بإجْماع المسلمين؛ لِما فِي ذلك من هتك لِحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لِحرمة الأموال، وهتك لِحرمات الأمن والاستقرار وحياة الناس الآمنين المطمئنين فِي مساكنهم ومعايشهم وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالِح العامة الَّتِي لا غنَى للناس فِي حياتِهم عنها.

وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالَهم، وأعراضهم، وأبدانَهم، وحرَّم انتهاكها، وشدَّد فِي ذلك، وكان من آخر ما بلَّغ به النَّبِي ﷺ أمته فقال فِي خطبة حجة الوداع: «**فإنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا فِي شهركم هذا فِي بلدكم هذا إلَى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى، حديث رقم (١٧٤١)، ومسلم في كتاب القسامة والمُحاربين، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم (١٦٧٩).

وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام: ماله، وعرضه، ودمه**»(١).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**اتقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٢).

وقد توعَّد الله سبحانه من قتل نفسًا معصومة بأشدِّ الوعيد، فقال سبحانه في حق المؤمن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣].

وقال سبحانه في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]. فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قُتِلَ خطأً فيه الدية والكفارة، فكيف إذا قُتل عمدًا؟! فإنَّ الجريْمة تكون أعظم، والإثْم يكون أكبر.

وقد صحَّ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**من قتل معاهدًا لَمْ يَرح رائحة الجنة**»(٣).

ثالثًا: إنَّ الْمَجلس إذ يبيِّن حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وخطورة إطلاق ذلك؛ لِما يترتب عليه من شرور وآثار، فإنَّه يعلن للعالَم: أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأنَّ ما يَجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات، والمرافق العامة والخاصة، وتَخريب للمنشآت: هو عمل إجرامي والإسلام بريء منه،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب: تَحريْم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، حديث رقم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب: تحريْم الظلم، حديث رقم (٢٥٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب: إثْم من قتل معاهدًا بغير جرم، حديث رقم (٣١٦٦).

وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنَّما هو تصرُّف من صاحب فكر منحرف وعقيدة ضالة، فهو يَحمل إثْمه وجرمه، فلا يُحتسب عملُهُ على الإسلام ولا على المسلمين المهتدين بِهدي الإسلام المعتصمين بالكتاب والسنة، المتمسكين بِحبل الله المتين، وإنَّما هو مَحض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة، ولِهذا جاءت نصوص الشريعة بتحريْمه، مُحذِّرة من مصاحبة أهله.

قال تعالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٥].

والواجب على جَميع الْمسلمين فِي كل مكان: التواصي بالحق، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتِي هي أحسن، كما قال الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

وقال النَّبِي ﷺ: «**الدين النصيحة**. قلنا: لِمن؟ قال: **لله، ولكتابه، ولرسوله،**

ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[١].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى**»[٢]. والآيات والأحاديث فِي هذا المعنَى كثيرة.

ونسأل الله سبحانه بأسْمائه الحسنَى، وصفاته العلا، أن يكف البأس عن جَميع المسلمين، وأن يوفق جَميع ولاة أمور المسلمين إلَى ما فيه صلاح العباد والبلاد، وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بِهم دينه، ويُعلي بِهم كلمته، وأن يُصلح أحوال المسلمين جَميعًا فِي كل مكان، وأن ينصر بِهم الحق؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحمَّد وآله وصحبه.

هيئة كبار العلماء

رئيس المجلس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

محمد بن إبراهيم بن جبير	**راشد بن صالح بن خنين**
صالح بن محمد اللحيدان	**د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان**
عبد الله بن عبد الرحمن الغديان	**عبد الله بن سليمان المنيع**
حسن بن جعفر العتمي	**عبد الله بن عبد الرحمن البسام**

(١) أخرجه مسلم فِي كتاب الإيْمان، باب: بيان أن الدين النصيحة (٢/٢٢٨)، حديث رقم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري فِي كتاب الأدب، باب: رحْمة الناس والبهائم، حديث رقم (٦٠١١)، ومسلم فِي كتاب البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، حديث رقم (٢٥٨٦).

محمد بن صالح العثيمين — محمد بن عبد الله السبيل

ناصر بن حمد الراشد — عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

عبد الرحمن بن حمزة المرزوقي — محمد بن سليمان البدر

د/ عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

د/ بكر بن عبد الله أبو زيد — محمد بن زايد آل سليمان.

د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي — د/ صالِح بن عبد الرحمن الأطرم

د/ عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان[1].

(١) نقلاً عن كتاب فتاوى الأئمة فِي النوازل المدلهمة (ص ١٨٩-١٩٦).

فكر التكفير قديمًا

إنَّ التاريخ الإسلامي فِي مُختلف عصوره شهد الكثير من القلاقل والفتن من بعض من ينتسب إلَى الإسلام مِمَّن لَمْ يُحقق المعنَى الصحيح للإسلام، وإنَّ مِنْ أبرز مَنْ أثار الفتن والمشاكل للمسلمين: "فرقة الخوارج" وهم الذين خرجوا على ولي الأمر عثمان ﷺ، ونتج عن خروجهم قتله ﷺ.

ثُمَّ فِي خلافة علي ﷺ زاد شرهم، وانشقوا عليه وكفَّروه، وكفَّروا الصحابة؛ لأنَّهم لَمْ يوافقوهم على مذهبهم، وهم يَحكمون على من خالفهم فِي مذهبهم أنه كافر، فكفَّروا خيرة الخلق وهم صحابة رسول الله ﷺ؛ لأنَّهم لَمْ يوافقوهم على ضلالِهم.

ومذهب الْخَوارج: أنَّهم لا يلتزمون بالسنة والجماعة، ولا يطيعون ولِي الأمر، ويرون الخروج عليه من الدين[1]، عكس ما أمر الله به من قوله تعالَى:

---

(١) لِمعرفة مذهب الخوارج، انظر: "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" لأبِي الحسن الأشعري (١/١٦٧-٢٠٧)، و"الفَرْق بين الفِرَق" (٧٣-٧٤)، و"البرهان فِي فرق عقائد أهل الأديان" (١٧)، و"الْمِلل والنحل" (١/١١٤) وما بعدها، و"مَجموع الفتاوى" (١٩/٨٩ وما بعدها).

وقد عرَّف الشهرستانِي الخوارج: "بأن كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

فطاعة ولِي أمر المسلمين من الدين، والخوارج لا يرون ذلك كما هي حال بعض الثورات اليوم، فالخوارج يرون تفريق جَماعة المسلمين، وشق عصا الطاعة، ويرون أن مرتكب الكبيرة كافر، ومرتكب الكبيرة هو الزانِي، والسارق، وشارب الخمر، والمرابِي، ويرون أنه كافر فِي حين أنَّ أهل الحق -أهل السنة والجماعة- يرون أنه مسلم ناقص الإيْمَان، والسبب الذي أوقع الخوارج فِي التكفير هو أنَّهم ليس عندهم فقه؛ لأنَّهم اشتدوا فِي العبادة والصلاة والصيام وتلاوة القرآن وعندهم غيرة شديدة لكنهم لا يفقهون.

وهذه هي الآفة؛ فالاجتهاد فِي العبادة والورع لابد أن يكون مع الفقه فِي الدين والعلم، ولِهذا وصفهم رسول الله ﷺ لأصحابه بأن الصحابة يَحقرون صلاتَهم إلَى صلاتِهم، وعبادتَهم إلَى عبادتِهم، ثُمَّ قال ﷺ: «**يَمرقون من الدين كما يَمرق السهم من الرمية**»[(١)]. مع عبادتِهم ومع صلاحهم، ومع تَهجدهم وقيام الليل، لكن لَما كان اجتهادهم ليس عن أصل صحيح، ولا على علم صحيح؛ صار ضلالاً وشرًّا عليهم وعلى الأمة[(٢)].

=

الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج فِي أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة فِي كل زمان". "الملل والنحل" (١/١١٤).

(١) أخرجه البخاري فِي صحيحه (٣٦١٠)، ومسلم برقم (١٠٦٤)، قال الإمام أحمد: "صح الحديث فِي الخوارج من عشرة أوجه". وخرَّج البخاري طائفة منها.

(٢) انظر: "لَمحة عن الفرق الضالة" للشيخ العلامة صالِح الفوزان (ص ٣١-٣٧).

ومِمَّا عُرف به الخوارج أَنَّهم يقاتلون المسلمين دائمًا فقتلوا عثمان، وقتلوا علي بن أبِي طالب، وقتلوا الزبير بن العوام، وقتلوا خيار الصحابة، وما زالوا يقتلون المسلمين.

يقول الشيخ العلامة صالِح الفوزان: "وواجب على المسلمين فِي كل عصر إذا تَحققوا من وجود هذا المذهب الخبيث أن يعالِجوه بالدعوة إلَى الله أولاً، وتبصير الناس بذلك، فإن لَمْ يَمتثلوا قاتلوهم دفعًا لشرهم"[1].

(١) المصدر السابق (ص ٣٧)، وقد قال الشيخ صالِح الفوزان -حفظه الله- مبينًا حقيقة الخوارج، ومزيلاً اللبس الحاصل فِي فهم البعض من عدم التكفير مطلقًا، ولو لِمن يستحقه.
قال: "أقول بِهذه المناسبة: لَما كانت حقيقة الخوارج أَنَّهم يكفِّرون من المسلمين من ارتكب كبيرة دون الشرك، فإنه قد وجد فِي هذا الزمان من يطلق هذا اللقب -لقب الخوارج- على من حكم بالكفر على من يستحقه من أهل الردة، ونواقض الإسلام كعبادة القبور، وأصحاب المبادئ الهدامة كالبعثية، والعلمانية وغيرها، ويقولون: أنتم تكفِّرون المسلمين فأنتم خوارج؛ لأن هؤلاء لا يعرفون حقيقة الإسلام، ولا يعرفون نواقضه، ولا يعرفون حقيقة مذهب الخوارج بأنه الحكم بالكفر على من لا يستحقه من المسلمين، وأن الحكم بالكفر على من يستحقه بأن ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام هو مذهب أهل السنة والجماعة".
انظر: فتاوى الأئمة فِي النوازل المدلهمة (ص ٢٤٠) نقلاً عن كتاب: "أضواء من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" لفضيلة الشيخ صالِح الفوزان.

التنظيم لإقامة الدولة عند الخوارج
« ممثلاً بالإباضية »

من خلال قراءة كتاب الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ مُحمَّد يوسف أطفيش (١٢٣٦-١٣٣٢هـ). تأليف عدون جهلان، نَجد أنه فِي الفصل الثانِي من كتابه والذي جعله بعنوان: أنواع الإمامة، "مسالك الدين" من (ص ١٤٨-١٧٥) يقول:

"وخلاصة ما يهدف إليه هذا الأصل "مسالك الدين" هو التخطيط لإقامة دولة إسلامية"....

إلَى أن يقول: "فإن لَمْ يتحقق هذا المطلب بأن عُدمت شروط إقامة الدولة؛ وجب حينئذٍ تصحيح الأوضاع أمرًا بالمعروف ونَهيًا عن المنكر بمختلف الوسائل والأمور المشروعة، فقد يضطر الموقف لإعلان الثورة ضد الجور والفساد، وقد تقتضي الحكمة انتهاج سياسة اللين فِي الخفاء من الإصلاح وتغيير المنكر بالتِي هي أحسن"[١].

وقد ذكر عدون جهلان أنَّ أنواع المسالك أربعة، وهي:

---

(١) (ص ١٥٠)، وانظر: من (ص ١٥٠-١٧٠).

١- الظهور. ٢- الدفاع. ٣- الشراء. ٤- الكتمان.

ثُمَّ بدأ فِي تَحليل هذه المسالك وفق مذهب الخوارج الإباضية فبدأ:

*** أولاً: بِمرحلة الظهور:**

فقال بأن الظهور هو الأصل المأمور به، ويُمثل المرحلة الأولَى من مسالك الدين، وتعتبر أفضل المراحل وأحسنها، وعادة ما تكون هذه المرحلة تتويْجًا للمساعي والجهود للحالات الثلاث: الكتمان، والدفاع، والشراء، وهي الهدف الذي يقاتل ويستشهد فِي سبيله الإباضية، وعند الانتصار تسمى هذه الحالة بالظهور، ويعنِي بِها: قيام حكومة إباضية وفقًا لتعالِيم المذهب الإباضي تسير على منهج الشرع الإسلامي فتنفذ أحكام الله ..، وتَحمل دعوة الإسلام إلَى بلاد الكفر؛ لأن الدولة حينئذٍ تكون قد ظهرت على غيرها بعد أن تكاملت فيها جَميع الوظائف العامة والأساسية، ويكون الْمُجتمع الإسلامي فيها حرًّا مستقلاً ذا سيادة لا تَخضع لأجنبِي بوجه من الوجوه، ولا يستبد به حاكم، ولا يطغى عليه ذو سلطان.

ومرحلة الظهور هذه لا تتحقق إلا بالإمامة الكبرى لإنفاذ حقوق الله وحقوق العباد، ولا يزول إمامها إلا بإحداث فِي الإسلام، أو زوال عقل، أو عدم نفع.

ثُمَّ ذكر الشروط الواجب توافرها لإعلان الظهور وإقامة الدولة.

ثُمَّ ذكر أنه من الملاحظ أن هناك نوعين من الظهور:

الأول: الظهور الكامل حيث تتحقق الإمامة العادلة، مثَّل له بالدولة الرستمية.

والثاني: الظهور الناقص أو الضعيف، وفيه تكون الأمة ظاهرة مستقلة ذات سيادة، لكنها لا تُحقق كل الأهداف المرجوة، ولا تبلغ كمال الظهور، ولا الإمامة العظمى[1].

ثُمَّ ذكر العلاقة بأهل الخلاف فِي مرحلة الظهور، فقال: وهي أن يُدعَوا إلَى ترك ما خالفوا به، فإن أجابوا للطاعة؛ فلهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، أما إذا امتنع منهم عن أداء الواجبات؛ عوقب بِما يرده إلَى سواء السبيل.

*** ثانيًا: مرحلة الدفاع:**

مرحلة الدفاع بعد الظهور أقل مرتبة ودرجة وفضلاً، سُمِّيت بالدفاع لأن المسلمين يشغلهم الدفاع عن أنفسهم ودينهم ومكتسباتِهم عن إقامة الدولة، والظهور على الأعداء.

ويكون المسلمون قد ضعفوا وتَخلفوا عن شرف الظهور لنقص إمكانياتِهم، وقلة عددهم، ويَجب عليهم فِي هذه المرحلة ألاَّ يُهادنوا، بل يصبح الدفاع واجبًا فيلجئون به إلَى اختيار إمام يقود الجماعة لاسترجاع حقوقهم، وتدعى إمامته بإمامة الدفاع.

*** ثُمَّ يذكر أنَّ من موجبات الدفاع ورفع رايته:**

١- مداهمة العدو للأمة، وقد يكون العدو من خارج الدولة، وقد يكون من الداخل.

---

(١) المصدر السابق (١٥٠-١٥٤).

٢- تفشي الفساد، وإشاعة الفاحشة، وكثرة الظلم بسبب انْحراف الإمام عن الجادة، وتَخليه عن الإمامة ... إلخ.

حينئذٍ يُجمع المسلمون على إمام ينصبونه، وتَجري عليه الأحكام الَّتِي تقع فِي حالة كونه إمامًا للظهور، وتَجب عليهم طاعته فيعلنون الدفاع عن الدين والأمة، ويُسمى قائد الثورة إمام الدفاع، له على الأمة الثائرة حق الطاعة والامتثال ما دامت الثورة قائمة، فإذا هدأت واستقرت الأوضاع؛ أصبح واحدًا من أفراد الأمة، تزول إمامته بزوال الثورة فتتجدد له أو لغيره لِحادث.

ثُمَّ ذكر نتائج الدفاع، فقال: "والثورة لا تَهدأ إلا بأحد أمرين: الانتصار، أو الفشل:

أولاً: تنتصر الأمة الثائرة، وترجع الأمور إلَى نصابِها، وتستقيم الأوضاع، وفِي هذه الحالة تَحتمل نتيجتين:

أولاً: تستجيب الدولة الباغية إلَى الرشد، وتنضم إلَى أهل الحق، وفِي كلا الحالين لا يكون لزعيم الثورة حق فِي الإمامة.

ثانيًا: تفشل الثورة، ولا تُحقق أهدافها، وتَحتمل نتيجتين كذلك:

١- يستشهد الثوار عن بكرة أبيهم بعد أن أدوا واجبهم، وهذا مطلب عظيم أجره، ونتيجة مرغوب فيها.

٢- تبقى أقلية من الثوار لا حول لَهم ولا قوة فيختارون بين أمرين: إما الاستراحة وطريق السلم فيدخلون فِي مرحلة الكتمان، وإما تَجديد العزم والدخول فِي مرحلة الشراء.

*** ثالثًا: الشراء:**

يقول أيضًا: "تأتي هذه المرحلة ثالثة من مسالك الدين، تتفق هذه المرحلة مع مرحلة الدفاع من حيث الأهداف المتعلقة بالإطاحة بالسلطان الجائر[١] وكذا المطالبة بتنفيذ أحكام الشريعة، لكن تَختلف وإياها فِي أسلوب التغيير، وطريقة تنفيذ العمليات، حيث يعتمد الشراة فِي تَحركاتِهم على الحيلة والمباغتة والعنف من أجل تغيير المنكر، وتصحيح الأوضاع فِي أوساط الدولة الفاسدة"[٢].

ونقل عن الشيخ يَحيَى معمر (١٩١٥-١٩٧٩) **قوله:** "إن هذا التنظيم يشبه أن يكون شغبًا على دولة ظالِمة مسلمة، أو مسالِمة راضية بالذل حَتَّى لا تطمئن إلَى تنفيذ خططها الجائرة، وقد لا تكون لَها نتائج غير القلق يُخيم على الظالِمين"[٣].

والذين يتولون هذه المهمة يسمون الشراة[٤]؛ لأنَّهم باعوا أنفسهم بالجنة ولشراء أنفسهم من النار، أو لشراء الجنة بأنفسهم، فإنَّ الشراء يُطلق على البيع، قال تعالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٠٧].

---

(١) بِخلاف أهل السنة والجماعة من عدم جواز الخروج على السلطان المسلم، وإن كان جائرًا لِما يترتب على الخروج من مفاسد.

(٢) لاحظ ما ذكره هنا وما قبله، وقارنه بِما يَحصل الآن فِي بعض بلاد المسلمين من فتن وثورات.

(٣) الفكر السياسي عند الإباضية (ص ١٦٠)، وانظر: الإباضية فِي موكب التاريخ (ص ١٤)، الحلقة (١) (ص ٩٤).

(٤) تأويل للنصوص، وحملها على غير ما يَجب أن تُحمل عليه فِي الجهاد المشروع.

وقال فِي آية أخرى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

*** ثُمَّ ذكر شروط مرحلة الشراء:**

ومنها: أن يكون عددهم عند خروجهم أربعين[١]، وأما الشروط أثناء الخروج فذكر أنَّها قاسية، ولا يتقبلها إلا الفدائيون الذين وهبوا حياتَهم لِحياة الأمة.

*** قال: ويُمكن حصرها فِي هذه الشروط:**

١- لا يعود الشراة إلَى ديارهم بعد الخروج إلا فِي حالات استثنائية.

٢- يعتبر العائد إلَى منْزله لِمهمة غريبًا وفِي حكم المسافر.

٣- ألاَّ يستقروا فِي مكان واحد، ولا يركنوا إلَى الراحة؛ لأن مهمتهم تقتضي التنقل الدائم واليقظة المستمرة استعدادًا لِمباغتة العدو فِي كل لَحظة.

٤- ألاَّ يتخلوا عن رسالتِهم حتَّى ينتهي بِهم الأمر إلَى النجاح أو القتل، والقتل أقرب الأمرين لَهم[٢]. وذكر شروطًا أخرى.

ثُمَّ ذكر أهداف الشراة، وقال: "الغاية القصوى الَّتِي خرج من أجلها الشراة تتمثَّل فِي إعلان الثورة ضد الظلم والفساد، وتغيير نظام الحكم إن لَمْ يُحكم الرعية بِمقتضى الشرع، أو كان الحاكم من غير الملة أصلاً؛ حينئذٍ ينشد الشراة أهدافًا مرحلية تكون مطية لبلوغ الْهَدف الأسْمى.

---

(١) يرى سيد قطب أن عدد ٧٠ فردًا يكفي، كما سيأتِي فِي مبحث التنظيم السري والبيعة عند الإخوان المسلمين.

(٢) انظر (ص ١٦٢) نقلاً عن يَحيَى معمر، الإباضية فِي موكب التاريخ (٩٥/١).

* **وتتلخص هذه الأهداف فيما يلي:**

١- قطع المواصلات على السلطة الظالِمة.

٢- هدم قلاع الطغاة وحصونِهم.

٣- الاستيلاء على مَخازن الذخيرة والعتاد.

٤- إثارة الشغب فِي أوساط أجهزة الدولة المتعمرة.

٥- ضرب منافع ومعاقل السلطة الجائرة، وزعزعة هيئتها حَتَّى تشعر الأمة الإسلامية أن هناك قوة روحية أقوى وأشد من القوة المادية الحاكمة الَّتِي وصلت إلَى الحكم[١].

ثُمَّ يذكر أنَّ للشراة مهمة حَتَّى فِي حالة السلم، وتَحت الدولة ... وهي مراقبة السلطة فِي تسيير شئونِها ومتابعة الأئمة وأعوانِهم فِي تنفيذهم لأوامر الله، وإقامة حدوده أنَّهم يَمتحنون الأئمة والعمال، "فيراقبونَهم فِي أعمالِهم، وأخلاقهم، ومعاملاتِهم، ولا يُخفي الشراة نتائج تَحرياتِهم؛ بل يعلنون كل شيء وجدوه فيطلعون الرعية بذلك ...إلخ"[٢].

ونقل عن يَحيَى بن معمر قوله: "والواقع أنَّ نظام الشراء عند الإباضية يشبه -إلَى حد كبير- حركة ثورية مبدؤها مقاومة الظلم إما بالدعوة السلمية، أو بالقوة إن اقتضى الأمر ذلك"[٣].

---

(١) (ص ١٦٢).

(٢) المصدر السابق (ص ١٦٣).

(٣) المصدر السابق (ص ١٦٤)، وانظر: "الإباضية بين الفرق الإسلامية"، لعلي يَحيَى معمر (ص ٢٩٨).

ويقول عدون جهلان نقلاً عن فاروق عمر: "وتتميز هذه الحركة بالتخطيط المسبق لَها، وتنظيماتِها الدقيقة الَّتِي تشبه تنظيمات الأحزاب السرية المعاصرة"[١].

*** رابعًا: الكتمان:**

ويقول عدون جهلان: المرحلة الرابعة من مسالك الدين هي الكتمان، وهي أدنَى درجات الجهاد فِي سبيل الله، وفيها تفتر القوة وتضعف النفوس، فيعجز المسلمون عن رد المظالِم، وإنكار المنكر إلا بالقلب، فترضى الأمة بالواقع، وتستسلم لِحكم الجبابرة، ولا تَجد سبيلاً للثورة ضد الحكم، فيضطر ذوو الغيرة على الدين لكتمان أمرهم، وانعزالِهم بعيدًا عن الْمُجتمع الفاسد، ويوجهون نشاطهم لأمورهم الداخلية.

ويكونون بذلك قد دخلوا مرحلة الكتمان، وهو تنظيم خاص للمجتمع الذي عجز عن إقامة الدولة لعدم توفر الشروط الكافية للظهور، وتَمتاز مرحلة الكتمان بتنظيم جيد يقوم على مبادئ وتعاليم دقيقة تدل على قدرة الإباضية على التنظيم ...

إلَى أن يقول: كما تدل مرحلة الكتمان على النضج السياسي، فالكتمان لا يعنِي السكوت وعدم الحركة، إنَّما هو مرحلة إعداد لاستلام السلطة"[٢].

---

(١) "الفكر السياسي عند الإباضية" (ص ١٦٤)، وانظر: "التاريخ الإسلامي فِي القرن العشرين" لفاروق عمر (ص ٤٠).

(٢) "الفكر السياسي عند الإباضية" (ص ١٦٤)، وانظر: "نشاط الحركة الإباضية فِي المشرق العربِي" لِمحمد طالب (ص ٢٩٢).

* **ثُمَّ ذكر أنه فِي مرحلة الكتمان يتركز النشاط على جانبين:**

الأول: التنظيم الداخلي للمجتمع فِي الْمَجال الدينِي والاجتماعي والتربوي والاقتصادي.

الثانِي: العلاقات الخارجية للمجتمع بغيره من الطوائف[١].

وذكر أن الْمُهم فِي هذه المرحلة: التركيز على إنشاء الجمعيات والمؤسسات الخيرية الَّتِي تتكفل بإرشاد الناس وتَهذيب نفوسهم، وتربية النشء تربية دينية، ونشر الوعي الدينِي بين طبقات الشعب، ... والتعاون بالمساعدات المادية والمعنوية عن طريق الحملات التطوعية لصالِح البلدة والْمُجتمع، فهي على سبيل المثال -التعاون على بناء المشاريع الخيرية العامة- مثل: المدارس، والمساجد، والنوادي، والسدود، والتعاون على إقامة الأعراس، والتعاون على تعليم النشء وتربيتهم وتوجيههم.

ثُمَّ ذكر أنَّهم يتشكلون على عدة تنظيمات، ومن عدة حلقات، والحلقة تتألف من اثنَي عشر عضوًا، لكلٍّ مهامه الخاصة، وقد يرتفع عدد الأعضاء إلَى أكثر من ذلك حسبما تتطلبه الحاجة الدينية والاجتماعية.

أما شروط الأعضاء فكثير؛ أهمها: أن يكون المرشح إباضيًّا متفانيًا فِي خدمة مذهبه واتباعه، وأن يكون حافظًا للقرآن الكرِيْم زاهدًا فِي الدنيا، وإذا تَحدد الشخص جُعِلَ له رقيب ليراقب سلوكه وتصرفاته[٢].

---

(١) المصدر السابق (ص ١٦٥).

(٢) "الفكر السياسي عند الإباضية" (ص ١٦٩)، وانظر: "التنظيمات السياسية والإدارية" لعوض مُحمَّد خليفات (ص ١٥).

وذكر تنظيمات أخرى لعدد من الأوجه والنشاطات الَّتي يقوم بِها المرتبطون بالتنظيمات[١].

وفيما يلي خلاصة لِمسالك الدين حسبما رسَمها وأوردها صاحب الفكر السياسي (ص ١٧٥):

	الظهور	الدفاع	الشراء	الكتمان
الهدف	إقامة الدولة العادلة	الدفاع عن الدين ومحاربة الفساد	الثورة ضد الحكم الجائر	المحافظة على الدين وإصلاح المجتمع
دليل المشروعية	﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾	أدلة مشروعية التقيّة
الشرط الموجب	توفر القوة الكافية في العدد والعدة	انتشار الفساد أو ظهور عدو	تسلط حاكم جائر أو مستعمر كافر	أقلية ضعيفة في دولة مخالفة
نوع السلطة	إمام منتخب وحكومة عادلة	إمام ينعزل بانتهاء الحرب	قائد مؤقت ينتصر أو يموت	سلطة اجتماعية "نظام العزابة"
أسلوب العمل	تسييس الرعية وإنفاذ أحكام الشرع	المجابهة بالقوة بعد النصح والتحذير	الثورة عند الظلم أو المراقبة في السلم	النشاط الديني والتربوي والاجتماعي
الإمكانيات	السلاح والعلم والمال والرجال	السلاح والرجال	ما يحتاج إليه الفدائي من قوة الإيمان	العلماء والمؤسسات الثقافية والاجتماعية

(١) انظر: "الفكر السياسي عند الإباضية" (ص ١٦٩-١٧٤).

وأنا لست بصدد الرد على هذه المسالك، وبيان مُخالفتها للشرع، فهي فِي الجملة تدخل فيما يسميه العلماء: الشرع المبدَّل، والذي يدخل فيه -أعنِي: فِي الشرع المبدَّل- الكذب على الله ورسوله، أو على الناس، ويدخل فيه الأحاديث الموضوعة، والتأويلات الفاسدة، والأقيسة الباطلة، والبدع الْمُحدثة.

وإنَّما المقصود من إيراد هذه المسالك هو لبيان أنَّ بعض الجماعات الحزبية المعاصرة جعلت هذه المسالك أو بعضها طريقًا لَها ومسلكًا تتبعه لتحقيق غاياتِها، وقد يكون بعبارات وأساليب مُختلفة الألفاظ لكنها متفقة معها فِي المعانِي، مع عدم الإشارة إلَى أنَّ هذه الطرق مِمَّا ابتدعه الخوارج ورسَموه لأنفسهم.

ومِمَّا يلاحظ: أن الخوارج الإباضية سلكوا مسلك التقية عند الروافض على عكس ما كان عليه الخوارج الأولون.

ثُمَّ إن هذا المسلك -وهو التقيَّة- صار سُلَّمًا يعبر عليه المتأثرون بالجماعات الحزبية المخالفة لمنهج السلف الصالِح من أجل تَحقيق غاياتِهم، وسيتضح ذلك جليًّا عند ذكر مسالك بعض الجماعات الدعوية الحزبية المعاصرة، ومنها جَماعة الإخوان المسلمين على مُختلف توجهاتِها.

فهي كما يقول علي عشماوي أحد قادة الإخوان المسلمين: "إن الإخوان كانت أُمُّ التنظيمات الإسلامية فِي العالَم العربِي؛ لأنَّها أقدمها وهي الَّتِي فرَّخت بقية التنظيمات بعد ذلك، وبداية الانْحرافات جاءت من داخل الإخوان أنفسهم".اهـ كلامه فِي التاريخ السري لِجماعة الإخوان المسلمين (ص ٣-٤).

فكـر التكفيـر حديثـًا

عرفنا مِمَّا تقدم فكر الخوارج المتقدمين، وكيف أنه ألحق الضرر الفادح بالمسلمين عبر العصور المختلفة، فهو فكر إرهابِي مدمر مُخالف لِحقيقة الدين الإسلامي الصحيح.

وإن المتأثر بِهذا الفكر يصعب منعه من تنفيذ مآربه لشدة ضلاله وانْحرافه، والتاريخ خير شاهد، وقد عانت بعض البلاد الإسلامية من بعض من تأثر بِهذا الفكر كما حصل فِي مصر، ثُمَّ الجزائر، وأخيرًا فِي البلاد السعودية، ذهب ضحية ذلك الكثير من الأبرياء.

وإن من أسباب هذه الأعمال الإرهابية: هو تأثر بعض أبناء هذه البلدان بالفكر التكفيري الخارجي نسبة "للخوارج".

وإنَّ من أسباب وجود هذا الفكر فِي هذا العصر: هو وجود الكثير من المؤلفات المعاصرة، والَّتِي اتَّخذت مسميات عديدة، وأساليب متنوعة، لكنها فِي النهاية إنَّما هي خلاصة للفكر الخارجي التكفيري.

وهذه المؤلفات تتبع لفكر جَماعات إسلامية ذات تنظيمات سرية، وتتسم دعوتُها بالتكتم والخفاء والتلون وعدم إظهار حقيقة أمرها.

وإنَّ من أعظم ما ابتلي به الْمُسلمون فِي هذا العصر من هذه الْجَماعات: جَماعة الإخوان المسلمين بتوجهاتِها الثلاث:

- **البنائية**: نسبة لِمؤسس الجماعة حسن البنا.

- **والقطبية**: نسبة لسيد قطب.

- **والسرورية**: نسبة لِمحمد سرور.

والَّتِي يتضمن فكرها الخروج بأسوأ معنييه: الخروج عن السنة، والخروج على الجماعة.

فأما الخروج عن السنة، فإنَّ النَّبِي ﷺ لَما سئل عن الفرقة الناجية قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابِي**»[1].

وأمر باتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين فقال: «**عليكم بسنتِي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ..... وإياكم ومُحدثات الأمور، فإنَّ كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»... الحديث[2].

وهذا الخروج عن السنة ظاهر فِي كتبهم ومؤلفاتِهم ومقالاتِهم، فقد حوت الكثير من المخالفات للسنة والذم لأهلها السائرين على منهج السلف

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٤١)، واللالكائي فِي "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١٤٧)، والآجري فِي "الشريعة" (ص ١٥)، والمروزي فِي "السنة" (ص ٨)، وابن بطة فِي "الإبانة الكبرى" (١٦٥، ٢٦٤)، والحديث صحيح بشواهده.

(٢) رواه أحمد فِي "مسنده" (٤/١٢٦-١٢٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه فِي المقدمة (٣٤)، وغيرهم، وهو حديث صحيح.

الصالِح، كما تضمنت الكثير من البدع والمدح لأصحابِها.

وثانيهما: عدم طاعة ولِي الأمر المسلم، والخروج عليه، وتَهييج العامة والغوغاء ضده فِي كل بلد وجدت لَهم فيه دعوة، وتأويل النصوص الَّتِي تأمر بطاعة ولِي الأمر المسلم، أو تَحث على لزوم الجماعة، ولزوم ما كان عليه النَّبِي ﷺ وأصحابه بأن لَها معنيين عن السلف -هكذا زعموا-:

الأول: أنَّ الجماعة هم الذين فِي طاعة من اجتمعوا على تأميره، وهو الإمام الموافق للكتاب والسنة، وهذا هو المعنَى الحسي للجماعة، وأحيانًا يسمى السياسي.

الثانِي: أنَّ الجماعة هم من كان على ما كان عليه النَّبِي ﷺ وأصحابه، سواءً وجد الإمام أو لَمْ يوجد، وهذا المعنَى العلمي أو الروحي للجماعة[1].

ثُمَّ قالوا: ومن ثَمَّ فليس للمسلمين اليوم جَماعة ولا إمام بالمعنَى الحسي[2].

ولذا قالوا: فليس للمسلمين اليوم جَماعة ولا إمام بالمعنَى الحسي، مع علمهم

---

(١) كتاب: "الثوابت والْمتغيرات" للدكتور صلاح الصاوي (ص ١٩).

(٢) انظر: كتاب "كيف الأمر إذا لَمْ تكن جَماعة، دراسة حول الجماعة والجماعات" للدكتور/ عبد الحميد هنداوي (ص ٥١)، وانظر: كتاب "جَماعة المسلمين مفهومها، وكيفية لزومها" للدكتور/ صلاح الصاوي، وكتاب "أهل السنة والجماعة معالِم الانطلاقة الكبرى" لِمحمد عبد الهادي المصري، وكتاب "الطريق إلَى جَماعة المسلمين" لِحسن مُحمَّد علي جابر، فهي تؤصِّل لِهذه المعانِي، ومعظم كتابات الإخوان تدور حول هذا، بِحيث يرون أنه لا توجد دولة مسلمة، وبالتالِي لابد من إيْجاد هذه الدولة المسلمة الَّتِي تَحكم جَميع المسلمين.

بوجود الدولة السعودية الَّتِي تطبق الشرع، ووجود دول إسلامية أخرى يصعب الجزم بكفر ولاتِها، ولكن من أجل التمويه والخداع، وليسلموا من هذا المأزق أوَّلوا النصوص وحرَّفوها على أن الدولة المعتبرة فقط هي دولة الخلافة أو الدولة الَّتِي يعلن ولِي أمرها أنه ولِي لِجميع المسلمين، فوقعوا فِي مُخالفات كثيرة؛ منها: تأويل النصوص الشرعية تأويلاً باطلاً، ومنها: مُخالفتهم لإجْمَاع العلماء، ومنها: مُخالفتهم للواقع، وبعضهم كان جريئًا فِي الباطل؛ فحكم بكفر ولاة أمر هذه البلاد وغيرها من بلاد المسلمين، كأبِي قتادة، والمقدسي، ومُحمَّد سرور، وغيرهم.

ولذا يقول الصاوي: "والأصل فِي ذلك كله: أن الحركات الإسلامية اليوم بِمثابة الجيوش الَّتِي ينبغي أن تنتظم فيها الأمة كلها على اختلاف نِحلها ومشارِبها؛ لدفع فتنة الكفر والردة، ودرء خطرهِما عن دار الإسلام، فهي البديل عن الدولة الإسلامية"[(١)].

قلت: وسيأتِي المزيد من الإيضاح لِهذه التأويلات الَّتِي كانت سببًا للخروج عن السنة وعلى أولياء الأمور فِي كثير من البلاد الإسلامية.

وإنَّ من أبرز المؤلفات الَّتِي شحنت بعض الشباب المتدين فِي بلادنا -شحنته بالفكر الخارجي- هي بعض مؤلفات سيد قطب ومن تأثر بفكره مِمَّن جاء بعده مثل مُحمَّد قطب[(٢)]، ومُحمَّد سرور[(٣)]، والترابِي، ومُحمَّد أحمد الراشد -اسم

---

(١) كتاب "الثوابت والمتغيرات"، للدكتور/ صلاح الصاوي (ص ١٩).

(٢) وقد ظهر تأثيره المباشر فِي بعض مؤلفات تلاميذه من أبناء هذه البلاد.

(٣) وهذا كسابقه بل أسوأ.

حركي- وصلاح الصاوي، وعبد الرحمن عبد الخالق، وجَمال سلطان، وغيرهم مِمَّن تأثر بفكرهم من بعض من يسمى بدعاة الصحوة فِي بلادنا.

وإن سيد قطب يُعتبر مِمَّن أحيا فكر الخوارج التكفيري فِي هذا العصر؛ ولِهذا تُعتبر مؤلفاته هي الأخطر؛ لأنَّها المرجع الَّتِي يرجع إليها المتأثرون بِهذا الفكر من أبناء هذه البلاد وغيرها؛ لأنه قلَّ أن تَخلو مكتبة عامة أو خاصة من كتب سيد قطب، بل قلَّ أن توجد مدرسة متوسطة، أو ثانوية للبنين أو البنات إلاَّ وتوجد بِها كتب سيد قطب، وقلَّ أن توجد كلية من الكليات، أو جامعة إلا وتوجد بِها كتب هذا الرجل، بل يُحث الطلاب على الرجوع إليها، والاستفادة منها، وقلَّ أن يوجد من يُحذِّر من الأخطاء الَّتِي حوتْها مؤلفاته، بل إن قادة الجماعات المتطرفة ومنظريها جعلوا كتب سيد هي الأساس الَّتِي يربَّى عليها الشباب.

وهناك إرهاب فكري منظَّم لدى الجماعات الحزبية يتضمَّن مُحاربة كل من ينتقد فكر الجماعات الحزبية عمومًا، وفكر سيد قطب خصوصًا.

وهذه الجماعات بتوجهاتِها الثلاث انتهجت منهجًا يُخالف منهج السلف فِي أبواب من العلم والعمل.

وقبل أن أذكر أمثلة ونَماذج من كلام قادتِها ومنظِّريها سأذكر أولاً ما ذكره الشيخ العلامة أحمد بن يَحيَى النجمي عن مناهج هذه الجماعة فِي كتابه: "الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية" وهو الخبير بِها وبالجماعات الحزبية، وله المؤلفات النافعة والمفيدة فِي العقيدة، والفقه، والدعوة، مع المعرفة الجيدة بالمناهج الدعوية المخالفة لِمنهج أهل السنة والجماعة.

يقول -حفظه الله-:

« جماعة الإخوان المسلمين »[1]

هم أتباع حسن البنا، ومنهجهم عليه ملاحظات أهمها ما يلي:

١- التهاون فِي توحيد العبادة الذي هو أهم شيء فِي الإسلام، ولا يصح إسلام عبد إلا به.

٢- سكوتُهم وإقرارهم للناس على الشرك الأكبر من الدعاء لغير الله، والتطواف بالقبور، والنذر لأصحابِها، والذبح على أسْمَائهم، وما إلَى ذلك.

٣- إنَّ هذا المنهج مؤسسه صوفِي له علاقة بالصوفية، حيث أخذ البيعة عن عبد الوهاب الحصافِي على طريقته الحصافية الشاذلية.

٤- وجود البدع عندهم وتَعَبُّدهم بِها، بل إنَّ مؤسس المنهج يقرر بأنَّ النَّبِي ﷺ يَحضر مَجالس ذكرهم، ويغفر لَهم ما قد مضى من ذنوبِهم فِي قوله:

صلى الإله على النور الـــذي ظهـــرا

للعالَمين ففـــاق الشمس والقـــمـــرا

هذا الْحَبيب مع الأصحاب قد حضرا

وسامح الكل فيما قد مضـــى وجـــرا

---

(١) يقصد: جَماعة الإخوان وفق توجهها البنائي نسبة لِحسن البنا، والذي أسسها على دعوة صوفية فِي مدينة الإسْماعيلية فِي مصر عام (١٣٤٩هـ)، وهو المرشد الأول، وقد توفي عام (١٣٦٨هـ).

٥- دعوته إلَى الخلافة، وهذه بدعة، فإن الرسل وأتباعهم ما كُلِّفوا إلا بالدعوة إلَى التوحيد، قال تعالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

٦- عدم الولاء والبراء عندهم أو ضعفه، ويتبين من ذلك: دعوتُهم للتقريب بين السنة والشيعة، وقول المؤسس: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه"(١).

٧- كراهيتهم لأهل التوحيد وأصحاب الطريقة السلفية، وبغضهم لَهم، ويتبين ذلك من كلامهم فِي الدولة السعودية الَّتي قامت على التوحيد، وتدرس التوحيد فِي مدارسها ومعاهدها وجامعاتِها.

٨- تتبعهم عثرات الولاة والتنقيب عن مثالبهم سواءً كانت صدقًا أو كذبًا، ونشرها بين الشباب الناشئ ليبغضوهم عندهم وليملئوا قلوبَهم حقدًا عليهم.

٩- الحزبية الممقوتة الَّتي ينتمون إليها؛ فيوالون من أجل هذا الحزب ويعادون من أجله.

١٠- أخذ البيعة على العمل للمنهج الإخواني بالشروط العشرة الَّتي ذكرها المؤسس، وهناك ملحوظات أخرى. اهـ كلام الشيخ (ص٥٢)، وهو كلام الخبير بِهم وبمؤلفاتِهم، وأنَّ ما سطروه يدل على صحة جَميع ما ذكره الشيخ -حفظه الله-(٢).

---

(١) ولَمْ يقيدوا ما يعذر فيه بِما كان فِي الفروع دون الأصول، لَمْ يقيدوه لا فِي مؤلفاتِهم ولا فِي واقعهم العملي.

(٢) وانظر: "مذكرات حسن البنا" (ص ٢٢-٢٤)، و"حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه" =

وقال الشيخ أيضًا:

« القطبيون »[١]

هم قوم قرءوا مؤلفات سيد قطب، وأخذوا ما فيها من حق وباطل، فتجدهم يدافعون عن سيد قطب إذا انتقده أحد، ولو كان الحق مع المنتقد، ومعلوم أن سيد قطب ليس من رجال العلم الدينِي، والأصل أنه أديب، ثُمَّ هو يأخذ بالمذهب الأشعري وعنده أخطاء فاحشة وفادحة[٢]، قد تصدى له رجال من أهل العلم فبينوها، فلما بينوها ثارت القطبية عليهم بالنقد والكلام والتجريح فيهم، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

فالأصل أن الرجال يُعرفون بالحق، وليس الحق يُعرف بالرجال، فيجب علينا أن نأخذ بالحق، وأن ندين به لله رب العالَمين، وأن نترك كل من نَهج منهجًا مبتدعًا، ونَجعل أسوتنا رسول الله ﷺ وخلفاءه وأصحابه والتابعين لَهم أئمة الهدى". اهـ. (ص ٥٣)[٣].

=

(ص ٧١-٧٢)، و"قافلة الإخوان المسلمين" (٤٨/١)، و"شهيد الْمِحراب" (ص ٢٣)، و"تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية" (ص ٢٣)، وغير ذلك.

(١) يقصد: أتباع سيد قطب، وهم من نتاج جَماعة الإخوان المسلمين ومِمَّن تولَّد عنهم.

(٢) من أخطرها وأشدها ضررًا على المسلمين: إحياؤه لفكر الخوارج التكفيري، كما سيأتِي فِي الأمثلة من كتبه.

(٣) والتسمية بالقطبية هم سَموا أنفسهم بذلك.

يقول الصاوي فِي كتابه "مدى شرعية الانتماء إلَى الأحزاب والجماعات الإسلامية" (ص ١٧١):

=

ثُمَّ قال الشيخ:

« السرورية »

السرورية: قوم أو حزب ينتمون إلَى مُحمَّد سرور زين العابدين، وهم عندهم شيء من السنة، وشيء من البدعة[١].

*** وأهم الْمُلاحظات عليهم ما يلي:**

١- أنَّهم يقدحون فِي الولاة ويتكلمون فيهم بِما ينتج عنه شر وفتنة وخطورة، والظاهر أنَّهم يكفِّرون الولاة لكن هذا إنَّما هو مأخوذ من لسان حالِهم، ولَمْ يؤخذ من لسان مقالِهم[٢]؛ لأن الطريقة الَّتِي سلكوها هي طريقة الخوارج أو قريبة منها، علمًا بأن النصوص توجب السمع والطاعة لولاة الأمر، وولاتنا فِي هذا البلد مسلمون[٣] -ولله الحمد- يَحكمون بشرع الله،

=

"أما القطبيون فقد قام منهجهم ابتداءً على بلورة قضية التشريع وبيان صلتها بأصل الدين، وبيان أنَّ الخلل الذي تعيشه أنظمة الحكم فِي مُجتمعاتنا المعاصرة ناقض لعقد الإسلام، وهادم لأصل التوحيد، ومعلوم أن الكتب الَّتِي تُمثل هذا الاتِّجاه وتعبر عن منهجه هي كتب الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- فِي مَجال الدعوة والمخاطبة العامة". اهـ.

(١) فخلطوا الحق بالباطل؛ فراج باطلهم على كثير من الناس.

(٢) الشيخ يقصد السرورية فِي بلادنا السعودية، وإلا فمحمد سرور وأتباعه خارج هذه البلاد يصرحون بتكفير ولاة هذه البلاد، وهذا ظاهر فِي كتابات مُحمَّد سرور، والمقدسي، وأبِي قتادة، وغيرهم، مِمَّن أعمى الله بصائرهم، ولَمْ يروا الحق؛ بل ران على قلوبِهم ما صدها عن سبيل الله.

(٣) هذا يؤكد ما سبق أنه يقصد المتأثرين بِمنهج مُحمَّد سرور من أهل بلدنا.

ويقيمون الحدود، فتكفيرهم أو الكلام فيهم الذي يوجب الخروج عليهم ويوجب التمرد عليهم يُعدُّ فسادًا عظيمًا؛ لذلك ينبغي الحذر من أصحاب هذا المنهج، أو التبرؤ منهم، ولاسيما وهم قد تناولوا علماء هذا البلد بالسب والشتم المقذع، واتِّهامهم بالخيانة للدين، وهذا أمر يدل على ما وراءه.

٢- أنَّهم يدعون إلَى الجهاد وليس مرادهم جهاد الكفار، ولكن الظاهر أن مرادهم ضد الدولة[١][٢]، علمًا بأننا لا نبرئ الدولة من الخطأ، ولا ندعي لَها العصمة، ولكن نقول: تَجب طاعتهم ومناصحتهم بطريقة سرية[٣]؛ لأنَّهم مسلمون، والشارع قد منع الخروج على الولاة إلا أن يرى الخارج كفرًا بواحًا معه من الله فيه برهان.

٣- أنَّهم يزعمون أن العلماء فِي هذا البلد لا يفقهون الواقع، ويُرَدُّ عليهم بأن المفتين والقضاة لَمْ يفتوا فِي مسألة واحدة ولَمْ يَحكموا فِي مسألة أيضًا إلا بعد أن يعرفوا واقعها الذي يُحيط بِها من سبب ومناط للحكم[٤] ومؤثرات فيه، ومن

---

(١) وهذا ظاهر فِي طروحات من يسمى بالحركات الجهادية، وسيأتي لذلك أمثلة من كتب الصاوي وغيره.

(٢) ووضح بشكل جلي من قيام أتباع تنظيم القاعدة بالتكفير والتفجير فِي بلدنا، وهذا التنظيم من نتاج فكر الإخوان، لاسيما السرورية والقطبية.

(٣) كما وردت السنة بذلك.

(٤) الذين تكلموا فِي علماء هذه البلاد، واتَّهموهم بعدم فقه الواقع، هم فِي الحقيقة من أبعد الناس عن العلم بالسنة، وعن معرفة فقه الواقع، ومن أجهل الناس، وقد أثبتت الوقائع والواقع جهلهم بِما يدَّعون علمه.

يزعم أنَّ هؤلاء العلماء وهؤلاء القضاة لا يفقهون الواقع فقد ظلم نفسه، وقال ما لا يَجوز له أن يقوله، أما معرفة مكائد الأعداء وما إلَى ذلك فهذه من خصائص الجيش فِي كل بلد[1]. اهـ (ص ٥٤).

❀❀❀

(١) أي: أنَّ ولِي الأمر يتولى أمر ذلك ويَختار من يثق به فِي معرفة هذا الأمر من الجيش أو غيره.

كيف تغلغل فكر الإخوان في بلادنا

من خلال قراءتي لما كُتب حول تغلغل هذا الفكر في بلادنا، ومتَى وكيف تغلغل، فمن أحسن من وجدته كتب في ذلك الدكتور/ مُحمَّد العوين، والأستاذ/ يوسف أبا الخيل، والدكتور/ علي بن سعد الموسى، والشيخ/ عبد المالك أحمد رمضاني، وسأنقل كلام الدكتور مُحمَّد العوين كاملاً مع التعليق عليه في مواضع يسيرة من باب إكمال الفائدة، وأعقبه بنقل بعض ما كتبه الأستاذ يوسف أبا الخيل مع التعليق عليه بما يكمل الفائدة، وكذلك أفعل الشيء نفسه مع كلام الدكتور/ علي، والشيخ/ عبد المالك.

قال الدكتور/ مُحمَّد العوين -مناقشًا الخطاب الإخواني وبعض إشكالاته-[1]:

"كان لحديث صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز الذي أدلَى به لصحيفة "السياسة" الكويتية صدًى واسع جدًّا، وعلى الأخص ما كان يتصل بجماعة "الإخوان المسلمين"، ثُمَّ نشر في "الرياض" في عددها رقم (١٢٥٧٥) بتاريخ ٢٣ رمضان ١٤٢٣هـ، و"الشرق الأوسط" في عددها رقم (٨٧٦٦)، وغيرهما من الصحف.

---

(١) هكذا نشر في جريدة الاقتصادية عدد (٣٣٦٢).

ولأن كلام سُمو الأمير بالتأكيد لَمْ يكن مرضيًا جَماعة الإخوان المسلمين رد المرشد الجديد للجماعة المستشار مأمون الْهُضيبِي[1]، واطلعت على رده فِي موقعهم عبر الإنترنت، وفيه نفي لأي نشاط سياسي، أو تَحزيبِي من أفراد الجماعة فِي المملكة، أو أنَّهم جندوا الشباب السعوديين واستقطبوهم لفكرهم.

ولأن سُمو الأمير نايف -حفظه الله- فتح لنا هذا الباب للدخول بعمق وأناة لفتح هذا الملف الموغل فِي صمته وحذره وخطورته وحساسيته؛ ولأن الأحداث السياسية العالَمية، والحملة على الإرهاب، وزج "الإسلام" دينًا ومبادئ وأخلاقيات فِي هذه الحرب.

فإنه من الخير لنا جَميعًا وعلى الأخص فِي هذه البلاد المستهدفة بِهذه الحملة الشرسة الظالِمة: أن نتصارح ونتكاشف، وأن نتحدث عما كنا لا نستطيع الحديث عنه سابقًا -قبل هذه الأحداث- لأن من كان يلمح بِما يوحي بأي انتقاد خفيف لأي نشاط إسلامي فإنه معرض للنفي والإقصاء والاتِّهام بِمتواليات من الصفات الَّتِي تبدأ بالعلمنة، ورُبَّما تنتهي بالكفر!!

والْحَقُّ: أن حديث الأمير الذي تأخر كثيرًا جدًّا، رُبَّما لِمراعاة أمور كثيرة هو أحوط منا بِها، وأكثر إدراكًا لِحساسيتها وأهميتها، يكشف بِجلاء ودون موارِبة ما كان خافيًا، وما كان الناس هنا فِي المملكة يشعرون بشيء قليل منه، ولكنهم -أعنِي: الناس- لا يستطيعون الجزم، ولو استطاعوا الجزم

---

(١) قد توفي قبل أشهر، وتولى الإرشاد فِي الجماعة الآن مُحمَّد عاكف، وتَخصصه تربية رياضية كما ذكر فِي المقابلة الَّتِي أُجريت معه فِي جريدة "الوطن".

لَما استطاعوا أيضًا فعل شيء له أهمية؛ لأنه شأن يَخص السلطة السياسية والأمنية، رُبَّما استطاع البعض، أو حرص آخرون على أن يُجنبوا أبناءهم مغبة الانْخراط فِي فكر هذه الجماعة، والسير فِي ركابِها، أو الانْخداع بالشعارات الدعوية والإصلاحية البراقة والمعلنة، دون أن يدركوا أن وراء الأكمة ما وراءها!!

يقول الأمير: لكنِّي أقولُها من دون تردد: أن مشكلاتنا وإفرازاتنا كلها -وسَمِّها كما شئت- جاءت من الإخوان المسلمين[١].

ويقول متحدثًا عن استضافة المملكة لكثيرين منهم، مِمَّن هربوا من بلدانِهم نتيجة للاضطهاد والسجون والتعذيب أنَّهم: "لَمْ ينسوا ارتباطاتِهم السابقة، فأخذوا يُجندون الناس وينشئون التيارات، وأصبحوا ضد المملكة"[٢].

---

(١) فلم يُعرف فِي السعودية خلاف بين علمائها ودعاتِها قبل دخول فكر جَماعة الإخوان، ولَمْ يُعرف ما يسمى بدعاة الصحوة أو شباب الصحوة إلا بعد دخول هذا الفكر، ووجود من يَحمل أفكاره داخل بلادنا، وكان الناس عامة، وطلاب العلم خاصة متَى ما أصدر العلماء فتوى، أو توضيح لحكم شرعي فِي نازلة نزلت أو أمر يَحتاج إليه؛ قبلوا ذلك ورحبوا به، ولَمْ يشك أحد منهم فِي صحته، أو يشكك فِي ذلك، حتَّى وجد من يَحمل فكر جَماعة الإخوان، فصار يُخالف العلماء وينتقدهم، بل ويتهمهم بالقصور فِي فهم فقه الواقع، أو يتهمهم بأنَّهم علماء سلطة، أو عليهم ضغوطات ونَحو ذلك، أو يعيشون فِي أبراج عاجية، أو بعيدون عن الشباب، أو علماء حيض ونفاس، وغير ذلك من الألقاب السيئة للتنفير منهم.

(٢) كما حصل فِي حرب الخليج الثانية وغيرها، وكل منصف عرف الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة عرف بُعد هذه الجماعة عن الحق، ومُخالفتها له فِي كثير من الأمور؛ ولذا بيَّن الكثير من علماء السنة مُخالفة هذه الجماعة للحق فِي جوانب عقدية ودعوية وسلوكية كما سيأتي فِي مبحث مستقل -إن شاء الله-.

وحين نعود، لا إلَى الواقع الذي سيسعى الكثيرون إلَى إنكاره؛ بل إلَى المراجع الَّتِي كتبها بعض أفراد هذه الجماعة؛ نَجد الكثير مِمَّا يؤكد حقيقة سعي الجماعة إلَى إنشاء مراكز وشُعَبًا لَها فِي أنْحَاء العالَم كافة، ومن باب أولَى فِي أقطار الوطن العربِي[١].

فهذا "علي عشماوي" آخر قادة التنظيم السري، وأحد المقربين من سيد قطب فِي كتابه "التاريخ السري لِجماعة الإخوان المسلمين" يقول فِي هذا الكتاب فِي الصفحة الثانية والستين: "إن الإخوان فِي السعودية قد اختاروا الشيخ ..[٢] مسئولاً عنهم..".

---

(١) وسيأتي توضيح أكثر لِهذا الأمر.

(٢) هكذا فِي الْمقال، قال العشماوي: "إن الإخوان فِي السعودية قد اختاروا الشيخ مناع القطان مسئولاً عنهم، والإخوان فِي إمارات الخليج اختاروا سعد الدين إبراهيم مسئولاً عنهم".

وقال العشماوي: "وَيجدر بنا أن نعرِّف بكل شخصية من هذه الشخصيات الَّتِي ذكرتُها:

الشيخ مناع القطان: هو أحد إخوان المنوفية، وقد هاجر، وقيل: أنه أول مصري يَجرؤ على تَجنيد سعوديين فِي دعوة الإخوان بالسعودية دون استشارة أحد، حَتَّى إنني حينما عدت من السعودية بعد زيارة لَها عام (١٩٢٤م) استقبلنِي الأخ مُحمَّد هلال فِي المطار، وسألنِي: من المسئول هناك؟ فقلت له: إنَّه الشيخ مناع قطان.

الأخ سعد الدين إبراهيم: أحد الإخوان الذين هربوا من مصر عام (١٩٥٤م) إلَى ليبيا واستقر بِها بعض الوقت، ثُمَّ اتَّجه بعد ذلك إلَى الخليج، حيث عاش مدة طويلة هناك، وانتخبه الإخوان مسئولاً عنهم ..." اهـ. التاريخ السري لِجماعة الإخوان المسلمين (ص ٦٢).

وقال العشماوي (ص ١٠٤): "... خاصة أنَّهم فِي هذه الفترة قد صدر قرار الأخ مناع قطان المسئول عن الإخوان فِي السعودية بفصل الأستاذ "سعيد رمضان" من الجماعة، وكانت هناك مُحاولات من الأستاذ عبد البديع صقر لإعادته مرة أخرى، وكان حوله الكثير من اللغط والأقاويل الَّتِي كان الأولَى البعد عنها والتزام الحذر". اهـ.

ويقول رواية عن سيد قطب بعد أن قرأ خطابًا من الإخوان فِي السعودية: "إن هذا دليل على أنَّهم منظمون جدًّا، وأنَّهم على كفاءة عالية من العمل". (ص ١٠٣-١٠٤).

ولقد كان موقف هذه البلاد كريْمًا -وبعيدًا عن الحسابات المستقبلية الَّتِي يُمكن أن تَحدث من هذه الاستضافة- فقبلت جَميع من ضاقت بِهم ديارهم، واضطهدوا فِي بلدانِهم بسبب اتِّجاهاتِهم السياسية المتقنعة بالدين، فلجأ إلَى المملكة مئات -لا عشرات- من مصر، ومن السودان، ومن سوريا، ومن العراق، وغيرها، وذلك فِي أواخر الستينات الميلادية من القرن الماضي.

وكان الْمُجتمع السعودي فطريًّا وبكرًا وقابلاً لاستزراع كل الاتِّجاهات الَّتِي تنادي بالبحث الإسلامي، ونُهوض المسلمين، وإنشاء المفهومات الفكرية والتأصيلية لِحضارة إسلامية جديدة، ولَمْ يكن له سابق تَجربة عميقة وعنيفة مع دعوات فكرية منظمة يُمكن أن نقول عنها أنَّها نَجحت وأحدثت تأثيرًا بيِّنًا وواضحًا فِي مسيرة الْمُجتمع السعودي، سوى ما كان من تأثُّر مَحدود من بعض الشبان بِما كان يشيع فِي الخمسينات من أفكار واتِّجاهات، كالفكر الاشتراكي، أو البعثي، أو القومي.

ولكنه لَمْ يصل إلَى أن يكون تيارًا اجتماعيًّا له أثره وخطره، وأصح ما يُمكن أن يوصف به كل اتِّجاه من هذه الاتِّجاهات: أنه صدًى لِما يَحدث فِي الدول الْمُجاورة، أو على نطاق العالَم، وأن تأثيره أقرب إلَى أن يكون فرديًّا وشخصانيًّا مَحدودًا لا تيارًا.

وإنَّما كان للمجتمع تَجربة مبكرة مع التشدد، وئدت فِي مهدها على يد -المغفور له بإذن الله- الملك عبد العزيز، حين شذت جَماعة من المتحمسين للدين المندفعين إلَى التشدد والغلو، وأصبحت خطرًا على السلم الاجتماعي، وعلى مستقبل البلاد، وتَحضُّرها إلَى ما لِهذه الجماعة -وهم الإخوان- من طموح سياسي واضح وقوي فِي الوصول إلَى شيء من السلطة، أو المشاركة فيها بفاعلية.

وبعد أن قضى عبد العزيز على فكر جَماعة "الإخوان" فِي أواخر الأربعينات الهجرية، ومطلع الخمسينيات من القرن الهجري الماضي لَمْ يَخرج فكر شبيه بِها إلا مع مطلع القرن الهجري الجديد بفتنة الحرم.

ويَحسن بنا أن نقول: إن الجماعتين نبتتا فِي الداخل، لكن تأثُّر جَماعة الحرم لَمْ يكن خافيًا بالفكر الغالِي القادم من الهند عبر جَماعة "التبليغ"[1] وصلات بعض أعضاء هذه الجماعة بِما كان ينشط من فكر تبليغي -آنذاك- فِي دولة الكويت.

حين قدم إلينا إخوتنا المضطهدون من دول عربية مُجاورة -بعد خصومات شديدة مع دولِهم- عملوا أساتذة ومربين وعمداء وموظفين، واستغلوا طيبة

---

(١) **الذي يظهر لِي**: أن الهنود الذين أثروا فِي جَماعة الحرم ليسوا من التبليغ؛ وإنَّما يتبعون للجماعة الإسلامية القائمة على فكر الشيخ أبِي الأعلى المودودي، وهو فكر غالٍ ثوري، وجَماعة التبليغ وإن كانوا ليسوا على السنة لكن اهتمامهم بالجانب السياسي والثوري أقل بكثير من بقية الجماعات.

ونقاء هذه البلاد وأهلها، ووجدوا أن التربة صالِحة ومناسبة لتقبل كل نشاط يتصل بالدين وسُمُوه ومبادئه وقيمه، ولَمْ يكن لدى الشبان، ومن يتعاطى القراءة والاطلاع أي اهتمام بكتب الفكر الإخوانِي، بل كان السائد هنا قبل نِهاية الستينيات الميلادية، الثمانينيات الهجرية نوعان من المؤلفات والمطبوعات، وهُما الفكر العالَمي والنتاج الأدبِي القصصي العربِي، والكتابات الأدبية العربية لكبار الأدباء فِي مصر ولبنان.

والنوع الثانِي: الكتب الدينية السلفية، من مؤلفات أئمة مذهب أهل السنة والجماعة، ولكن مع تغلغل الرموز الإخوانية المهاجرة فِي الْمُجتمع السعودي، واختلاطها بِجيل الشباب، وحرصها الشديد عليه، واهتمامها به اهتمامًا فاق كل حد؛ لأنه المعول عليه فِي النهوض بِمسئوليات الدعوة الإخوانية، وتَحقيق مطالب هذه الدعوة، والوصول بِها إلَى غاياتِها القصوى، انتشرت كتب هذا الفكر، وأصبحت تُطبع فِي دار المعارف بِمصر -أحيانًا-، أو دار الشروق فِي لبنان، أو دار الطليعة فِي الكويت، أو دار نَهضة مصر بالقاهرة، ورُبَّما ما كان مَمنوعًا فِي قطر عربي نَجده يوزَّع ويُنشر، ويُهدى فِي حالة التفوق الدراسي فِي ختام العام، أو التفوق فِي النشاط للطلبة المميزين فِي المدارس والمعاهد دون تنبه إلَى ما يقود إليه هذا الكتاب، أو تلك الْمَجلة من أثر كبير فِي النفس، ومن نقد صارخ للواقع، ورُبَّما من دعوة ظاهرة حينًا، أو مبطنة حينًا آخر لتغيير هذا الواقع والانقلاب عليه!

خذ مثلاً على ما كان يروج ويوزَّع من كتب هذا الفكر، ومن دعواته إلَى التغيير، وإحداث الانقلاب الإسلامي المزعوم، والسعي إلَى إضفاء صبغة

"الإسلامية" على ما يعتقده الفكر الإخوانِي صوابًا، ونزعها عما لا يعتقده كذلك، بدءًا بالْمُجتمع الإسلامي، وما يضمه من مناشط، وقطاعات وانتهاء بالأدب الإسلامي!

من كتب هذا الفكر مثلاً تلك الَّتي كان الطيبون يُهدونَها لنا فِي ختام العام الدراسي، وكنا نَحفظ صفحات منها دون وعي[1]: "معالِم فِي الطريق" لسيد قطب، و"فِي ظلال القرآن" له أيضًا، و"الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه" لعبد القادر عودة، و"الموسوعة الحركية" لفتحي يكن، و"مذكرات الدعوة والداعية" لِحسن البنا، و"العدالة الاجتماعية فِي الإسلام" لسيد قطب، و"جاهلية القرن العشرين" لِمحمد قطب، و"قبسات من الرسول" له أيضًا، و"طفل من القرية" لسيد قطب، و"ماذا خسر العالَم بانْحطاط العالَم الإسلامي" لأبِي الحسن الندوي، و"الجهاد" لأبِي الأعلى المودودي، و"جهاد الإخوان المسلمين فِي فلسطين" لكامل الشريف، و"ملامح الانقلاب الإسلامي فِي حياة عمر بن عبد العزيز" للدكتور عماد الدين خليل، و"الحجاب" لأبِي الأعلى الْمودودي، و"الحكم فِي الإسلام" له أيضًا، ثُمَّ روايات نَجيب الكيلانِي، وما ماثلها.

ثُمَّ كتب الفكر الحركي الإسلامي الذي يُمنهج للفعل والتغيير، مثل كتب مُحمَّد أحمد الراشد: "المسار"، "المنطلق"، "العوائق"، "البوارق".

وقد بدأ نشاط هذه الجماعة يتغلغل فِي الْمُجتمع من خلال الأنشطة

---

(١) أوافق الدكتور فِي جَميع ما ذكر، وأنا مِمَّن سُلِّم له بعض هذه المؤلفات الَّتي ذكرها، وسُلِّمت لغيري من الزملاء قبلي وبعدي، والَّتي توزَّع فِي ختام كل عام دراسي.

الطلابية الممنهجة والمدروسة بعناية وتَخطيط، فِي المراكز الصيفية، وفِي الْمُخيمات الكشفية وفِي الجوالة "بديلاً للكشافة" وهي لون من التطبيق العملي للجوالة فِي عهد حسن البنا فِي مصر.

وفِي الأناشيد التحريضية الحماسية، وفِي الأمسيات الشعرية الصناجة الصاخبة وفِي الرحلات الطلابية، وفِي اختيار النابهين من الطلبة، ودفعهم إلَى الواجهة، وتبنيهم، والتركيز الشديد عليهم، ومُحاصرة ونفي وإبعاد من لا يؤيد، أو يتفق، أو يعمل ضمن هذا الاتِّجاه عن أي منشط، أو إعادة فِي الجامعة، أو مسئولية إدارية[1].

لقد كنت فِي الجامعة ألحظ هذا الامتداد الواسع والعميق لِهذا الفكر بين أوساط الطلبة، وأرى أن هذا النشاط ليس عفويًّا ولا صدفة ولا نابعًا من خطط المنهج الدراسي، بل هو يهدف إلَى غايات أخرى بعيدة، تأسيسية وتربوية وتنظيمية، يشرف عليه نفر من المنتمين إلَى هذا الفكر مِمَّن يتولون التدريس من بعض أقطار الوطن العربِي، ومِمَّن تأسى بفكرهم من بلادنا مِمَّن هم فِي مرحلة الإعادة، أو الماجستير.

حَتَّى مضت سنوات على نشوء هذه الأنشطة التأسيسية لِهذا الفكر،

---

(١) وهذا ما حصل فِي عدد من الجامعات الإسلامية بإبعاد من لا يَحمل هذا الفكر، أو على الأقل يُعرف بِمخالفته لِهذا الفكر من التمكين فِي الدراسات العليا، وقد كان الشيخ مناع القطان رئيسًا لقسم الدراسات العليا بِجامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلامية، وغيرهم كثير فِي الجامعات السعودية الأخرى، ثُمَّ هم الآن يتفرجون علينا ونَحن نُتَّهم بالإرهاب، مع أنَّهم السبب فِي وجوده لدى بعض أبناء هذه البلاد، بل إن بعضهم صار يطعن فِي مناهجنا وفِي أئمة دعوتنا، ويرميهم بالغلو والفكر المتشدد.

أي: بعد خَمس عشرة سنة من بدء هذا النشاط فِي منتصف الثمانينيات الهجرية إلَى قرب نِهاية القرن؛ بدأت الثمار تؤتِي أكلها وأصبح لِهذا الفكر أنصار، ومن لا يتجه إلَى ما يتجه إليه هذا الفكر من تفسير للقضايا، ومن نَهج دعوي إسلامي مُحاربًا وغير مرضي عنه، ومضيَّقًا عليه، ومعرضًا للفتوى منه بأنه لا ينتمي إلَى هذا الْمُجتمع فكريًّا.

وأصبح من اليسير أن تسمع فِي هذا الْمُجتمع المسلم الفطري المتسامح كلمة: "إسلامية" مطلقًا على منشط، وكأن ثَمَّة ما يَختلف معها اختلافًا بينًا ومصادمًا فِي وجوه الحياة كافة فِي هذه البلاد، وهذه سِمة طارئة غريبة لَمْ نكن نعرفها ولا نلقي لَها بالاً؛ لأن الْمُجتمع كله -بطبيعته- إسلامي ملتزم؛ فليس ثَمة ضرورة لإطلاق الصفة على من لا يَحتاج إلَى تأكيد هذه الصفة فيه؛ لأنه متصف بِها بالضرورة.

وقليلاً من السنوات مرت بعد مطلع هذا القرن الهجري، حَتَّى بدأت الأفكار تنسل إما من عباءة هذا الفكر الحركي التنظيمي الذي يضم فِي تأسيسه الأول ما يسمى بالمكتب السري وأعضائه، وإما أن تنشأ جَماعات أخرى تَختلف معه، وقد تتحارب وتشتد معه فِي الخصام من المنتمين إلَى أنْماط من التفكير الآخر، وفيه ما هو غالٍ وما هو متسامح وفطري.

فرأينا فِي مُجتمعنا الطيب -بعد غزو كتب هذا الفكر وما أحدثه من ردود خارجة عليه- من يُكفِّر، ومن يدعو إلَى الجهاد ضد مسلمين، ومن يَخرج على النظام العام، ومن يورط الْمُجتمع كله فِي إشكالات ومصادمات مع

مُجتمعات أخرى!! الخاسر الوحيد فيها وفِيما تَجر إليه من ويلات هو الإسلام نفسه والْمُجتمع الإسلامي من بعد!

ونقول: إن فكر جَماعة الإخوان هو الذي أنبت العنف ردًّا على ما قوبل به من السلطات السياسية، وإن كان غير مرضي عن هذا العنف، ولا عن الفكر التكفيري الذي نتج عنه من كثير من زعماء الإخوان، بيد أن هذه الزعامات كان عليها أن تدرك أن مواجهة الواقع وقلبه وتغييره ليس سهلاً ولا مقبولاً، ولن يكون -فِي كل الأحوال- مرضيًّا عنه، وسيكون من نتائجه عنف، وعنف مضاد.

وهانَحن نرى الدماء والقتل فِي كل مكان من عالَمنا الإسلامي لإحداث هذا التغيير ولإقامة الدولة الإسلامية المزعومة دماء فِي الجزائر، وفِي مصر، وفِي المملكة، وفِي العقود الماضية فِي دول أخرى، فِي سوريا، وفِي السودان، وفِي تركيا، وفِي غير ذلك من البلدان، لقد كان عنف بعض السلطات السياسية بليغًا وقاسيًا جدًّا مِمَّا دفع كثيرين من الشباب الذين تعرضوا للاضطهاد إلَى نعت الْمُجتمع كله بسلطاته وفئاته بالكفر.

ويقدم عمر التلمساني -أحد زعماء هذا التيار- اعترافه بِهذا فيقول: "... وفِي غمار هذا الهول الشنيع نبتت فكرة التكفير عند بعض الشباب، وراحت تصرفات رجال السجون والمباحث تنمي معنَى التكفير فِي عقول ذلك الشباب الذي يُبَيَّت على تعذيب ويصحو على تعذيب، دونه ما رواه التاريخ لنا عن مَحاكم التفتيش، ورسخت فكرة التكفير فِي ذهن بعض الشباب، وآمنوا بِها فِي اقتناع عجيب، واتسع نطاقها فِي مُحتفل مزرعة ليمان طرة". انظر: "ذكريات لا مذكرات" (ص ١٣) لعمر التلمساني، دار الطباعة والنشر الإسلامي، القاهرة.

إن حسن البنا مؤسس هذه الجماعة سار فِي رؤيته الفكرية إلَى تكوين مُجتمع جديد، واختط لقيام هذا الْمُجتمع أسلوبًا فِي البناء والتنظيم قائمًا مع المناطق والشعب والفروع، واستخدم لذلك أسلوبًا واسعًا تربويًّا وتِجاريًّا وإعلاميًّا، وتضمن فكرة الولاء المطلق القائم على البيعة على السمع والطاعة فِي المنشط والمكره، وعلى السرية، وعلى التنفيذ، وعلى الانتشار، وعلى تكثير الأتباع، وعلى تَحقيق غايات كثيرة، منها: الوصول إلَى القيادة فِي كل قطر، وشاعت وذاعت مصطلحات جديدة أنبتها هذا الفكر: الحاكمية، الجاهلية، الانقلاب الإسلامي، منطلقات العمل الإسلامي، المنهج ...[1].

وفِي ظلال من هذا التحول خرجت الإسلامية من معناها الشامل إلَى معانٍ حركية انقلابية، وتنامت الجماعات المؤيدة الغالية المندفعة المتطرفة مثل: جَماعة التكفير والهجرة، أو جَماعات أخرى منشقة تنحت لَها أنْماط أخرى من التفكير ومناهج العمل.

وقد كان من طبيعة هذا الْمُجتمع[2]: أنه لا يعترض على أي عمل يتزيَّا بزي الدين، فلم يكن يأبه للمناشط المتعددة والمتعاظمة فِي سنوات مد هذا الفكر لدينا بدءًا من منتصف الثمانينات الهجرية إلَى أن بلغ أوجه فِي السنوات العشر الأولَى من القرن الهجري الجديد، إلَى أن جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما أفرزته من تداعيات سياسية عالَمية على الإسلام

(١) وعلى هذا المنهج سار من يسمون بِمرشدي الجماعة من حسن البنا إلَى مُحمَّد عاكف.
(٢) أي: الْمجتمع السعودي.

والمسلمين وعلى أقطار شبه الجزيرة والخليج، وعلى بلادنا على الأخص، فكان لابد من مراجعة دقيقة لنتائج كل التيارات الفكرية الناشطة، وكان تفسير سُمو الأمير نايف -يَحفظه الله- لبعض آثار هذه التيارات خير فاتح لكل الدارسين والمصارحين والْمُحلِّلين.

إن الإسلام بعظمته وسُموه وقيمه الخالدة سيظل -إلى الأبد إن شاء الله- منهج هذه البلاد، ولكن الإسلام البعيد عن التطرف والعنف، الإسلام الذي يَجمع ولا يفرق، يبنِي ولا يهدم، يُحب ويتآلف ويتصل بالعالَم؛ لا يبذر الشقاق والنِّزاع والفاقة والعوز، إسلام بعيد عن الحزبية والغلو والتطرف واحتكار تفسير النص.

مقال الأستاذ يوسف أبا الخيل

يقول: "إن الفكر الجهادي التكفيري -بِجميع أطيافه الذي يشكل إكسير الحياة للجماعات الإرهابية- يرتكز على نقطة مِحورية غاية فِي العمق والتأثير تبرر له شرعية ما يقوم به من قتل، وتدمير، وإزهاق لِحياة الأبرياء.

هذه النقطة الْمُحورية تتصل بنظرته للمجتمع الذي يعيش فيه "حكامًا ومَحكومين" باعتبارهم كفارًا خارجين عن الإسلام ومرتدين[1] عنه، وبالتالِي استحلال دمائهم وأموالِهم تبعًا لتلك النظرة، ولكن هذا الاعتبار يَختلف بالنسبة للتيارات الإسلامية المتشددة المعاصرة من زاوية النظر لكفرية الْمُجتمع، أي: أنَّ الاختلاف يتلخص فِي طريقة الوصول للحكم، أما الحكم نفسه فهو واحد مشترك بينها.

فبينما ينظر فكر الإخوان بنموذجه "القطبِي"[2] إلَى الْمُجتمع عمومًا باعتباره قد ارتد إلَى جاهليته الَّتِي كان عليها قبل الإسلام، وأصبح كافرًا بإرادة كلية جَمعية مشتركة بين الحكام والْمَحكومين؛ إذ لا تابع ولا متبوع

---

(١) سيأتِي ما يدل على ذلك من كتبهم.

(٢) نسبة لسيد قطب.

فالكل سواء، ينظر فكر جَماعة التكفير والهجرة[١] نظرة تكفيرية أخرى؛ إذ يبدأ بالحكام فِي البلاد الإسلامية أولاً باعتبارهم قد ارتدوا على أعقابِهم وكفروا بِما أنزل الله بعدما ارتضوا القوانين الوضعية بدلاً من الحكم بِما أنزل الله.

وطالَمَا -وهذا بيت القصيد- أنَّ الحاكم كافر فمن يتعامل معه فهو كافر مثله حلال الدم والمال، وهكذا كلا الطرفين يصلان لنفس النتيجة مع اختلاف شكلي فقط فِي المرتكزات الَّتِي ينطلقون منها.

ثُمَّ ذكر الأستاذ يوسف الأفكار المستوردة، وخاصة الفكر الإخوانِي بنسخته القطبية، وكما يقول: وأنَّه وفد إلينا مع استضافة رموز الإخوان المسلمين، والذي تغلغل بواسطته رموزه آنذاك فِي كافة مناحي الحياة الفكرية، وخاصة المعاهد والمدارس المتوسطة والثانوية.

وقال الأستاذ يوسف: إن الفكر الإخوانِي تعامل بذكاء مع الفكر السلفي التقليدي المنتشر بقوة وقت وفادة الرموز الإخوانية، فأخفى وأجَّل الفكر الإخوانِي الكثير مِمَّا يؤمن به من أفكار كانت مثار نقده؛ وذلك حَتَّى يكسب ثقته وينضم إليه، أو على الأقل يتم تَحييده حَتَّى لا يقف -أعنِي: الفكر السلفي- حجر عثرة فِي طريقه لبسط نفوذه الفكري.

ولقد آتت السياسة الإخوانية أكلها، ولَمْ تظلم منه شيئًا، وفجَّرت خلالَها الكثير من الأفكار الحركية الَّتِي سيكون لَها أعظم الأثر فيما بعد،

---

(١) هذه الجماعة ارتكزت فِي عملها على فكر سيد قطب، وقد تقدم كلام أهل العلم فِي ضوابط التكفير عمومًا، وفِي الحكم بغير ما أنزل الله خصوصًا.

وتشكلت بعض التيارات الأخرى المتفرعة أصلاً عن الفكر الأصلي والمتوشحة بوشاحه، وتَحت عباءته، مثل التيار السروري الذي تزعمه الإخواني مُحمَّد سرور ابن نايف زين العابدين الذي كان له أثر كبير فِي تشكيل فكر بعض رموز الصحوة فيما بعد[١].

ويقول الأستاذ يوسف أيضًا: "فِي بداية الثمانينات الميلادية حدث تطوران هامَّان جدًّا فِي مسيرة هذا الفكر:

الأول: انتشار الخطاب الصحوي بشكل مكثف، وتشكل رموزه بفكر إخواني واضح، وكان واضحًا للعيان كيف كانت النقلة كبيرة ونوعية فِي أسلوب وطريقة الخطاب الدعوي الذي كان قائمًا على الوعظ والتذكير بالآخرة وحسابها، وتطليق الدنيا وملذاتها على طريقة الفكر السلفي التقليدي الذي كان يرى الحديث بالسياسة ومشاكلها نوعًا من الانغماس بالدنيا لا قيمة له إلَى الفكر الحركي النَّزَّاع بقوة للخوض فِي السياسة من منطلق نوعية الحكم بالبلاد الإسلامية، من منطلق قربه وبُعده عن الحكم بِما أنزل الله.

وقد استطاع الخطاب الصحوي اجتذاب الأتباع بقوة وسرعة، لاسيما مع انتشار الكاسيت لتوفير فرص إضافية لنشر الفكر، والذي كان -أعنِي:

---

(١) وكان يُدرِّس فِي القصيم، ويتجول بين مدن المملكة، ومعظم جلساته تكون سرية، ويقتصر فيها على الخواص من أصحابه، ومِمَّن وثق فيهم ووثقوا فيه، وكتاباته يَجعلها باسم أهل السنة والجماعة، وباسم السلف أحيانًا؛ مِمَّا جعل البعض ينخدع بطروحاته المموهة، وهو الذي شكَّل ما يسميه الأستاذ يوسف: "الفكر السعودي السلفي المعدَّل وراثيًّا بِموجب النسخة القطبية الإخوانية".

أسلوب الكاسيت- شبه معدوم إن لَمْ يكن على قائمة الْمُحرمات بالفكر السلفي التقليدي.

الثاني: المشكلة الأفغانية والدعوة إلَى الجهاد ضد الروس، وقد جاءت فِي أوج تألق الخطاب الصحوي الذي كان له اليد الطولَى فِي بث روح الجهاد لدى شباب الصحوة، لاسيما وأنَّه -أعني: الخطاب الصحوي- قد تشبَّع بفكر الحاكمية، وضرورة الجهاد لرد الْمُجتمع لِحياض الإسلام بعد أن ارتد فِي جاهليته، وإعادة الحاكمية لله وحده بعد أن اغتصبها حكم الطواغيت.

على أرض أفغانستان التقى الفكر السلفي السعودي المعدل وراثيًّا بموجب النسخة الإخوانية القطبية بالتيارات الإسلامية المتشددة الوافدة من أقطار إسلامية مُختلفة، وأبرزها تيار جَماعة التكفير والهجرة بزعامة شكري مصطفى، وكان لذلك أكبر الأثر فِي زيادة التفعيل الفكري الجهادي[1] لدى هؤلاء الذين تشرَّبوا فكر دور العصبة المؤمنة الَّتي تأخذ على عاتقها إعادة مُجتمعاتها من الظلمات إلَى النور، ومن الهدى إلَى الضلال وفق أدبيات كتاب "معالِم فِي الطريق"، و"فِي ظلال القرآن".

وعندما انتهى الجهاد الأفغاني ضد الروس بانسحابِهم من أفغانستان وتَحوَّل الجهاد إلَى صراع سياسي بين إخوة الأمس أعداء اليوم؛ عاد نفر غير قليل من أفراد تلك التيارات إلَى بلدانِهم ومنهم السعوديين بالطبع، وقد

(١) تسميته: جهادي؛ من أجل تزيينه فِي أعين الناس وإلا فهو تكفيري، والخوارج قد سَموا قتالَهم للصحابة جهادًا.

تشكلت عقيدة الجهاد لديهم وفق النظرة التكفيرية الَّتي تَحدَّثت عنها آنفًا، وبالتالِي فقد كانت المهمة الملقاة على عواتقهم لاحقًا تتمثل فِي التعامل وفق تلك النظرة مع من يَحكمون بغير ما أنزل الله وفق تفسيرهم الخاص لِماهية الحكم بغير ما أنزل الله، ومع من يتعامل معهم، ويرضى بِحكمهم".اهـ كلام الأستاذ يوسف أبا الخيل.

وما ذكره الأستاذ يوسف أبا الخيل فِي كيفية نشأة هذا الفكر وتغلغله صحيح، وتَحليله كان صائبًا، إلا أنَّه قد يفهم من كلامه أنَّ الفكر السلفي التقليدي كان فِي خطابه الدعوي قائمًا على التذكير بالآخرة ... إلَى آخر ما قال.

قد يُفهم منه أنَّ الفكر السلفي كان مقصرًا فِي الجوانب السياسية، أو أنَّ الأشرطة قد تكون على قائمة الْمُحرمات لديه، هذا غير صحيح، فالعلماء المتبعون لِمنهج السلف فِي هذه البلاد كانوا يركزون على الجانب العقدي الذي هو أصل الأصول بالدرجة الأولَى.

ثُمَّ يأتِي بعد ذلك الكلام على الواجبات مِمَّا يتعلق بأمر العبادة، وكذلك ما يتعلق بأمر المعاملة بين الناس، ولا يُخلون أحاديثهم ومؤلفاتِهم من وعظ الناس وإرشادهم لتقوية الوازع الدينِي فِي أنفسهم، كما أنَّهم بينوا بالتفصيل حقوق الراعي والرعية، كما بينوا ما يَجب أن تكون عليه السياسة الشرعية، إلا أنَّهم لَمْ يَخوضوا فِي غمار السياسة على وفق ما عليه الساسة فِي هذا العصر؛ لأنَّهم يرون أن ذلك من مهمة ولِي الأمر فله أن يَختار من شعبه ما يراه أهلاً لذلك، وأن منازعته فِي هذا الأمر قد تكون نوعًا من الخروج على ولِي الأمر،

والذي حذَّر منه الشرع؛ ولأن ذلك قد يكون سببًا للفوضى والفتنة؛ ولذا حصلت فتنة التكفير والتفجير لَما خرج بعض الدعاة عن المعانِي الصحيحة للدعوة، وتعلقوا بالسياسة اتباعًا للجماعات الحزبية الحركية -والَّتِي تسمي نفسها جهادية- وتزهّد الناس فِي مناهج العلماء الربانيين الراسخين المتبعين للسلف على الحقيقة لا ادِّعاءً، وهذه الحركات لَمْ تُقم دينًا ولَمْ تُبق دنيا.

مقال الدكتور علي بن سعد الموسى

ومن الكتابات الْجَيدة المتسمة بالدقة المتناهية مع الفهم للواقع والَّتِي شخَّصت تأثير الإخوان فِي السعودية ونكرانهم للجميل: ما كتبه الدكتور/ علي بن سعد الموسى تَحت عنوان: "فِي حديث وزير الداخلية"[1] حيث قال:

كان بودِّي لو كان حديث المشافهة والصراحة الَّتِي تكلم بِها الأمير نايف بن عبد العزيز لصحيفة "السياسة" الكويتية يوم الخميس الماضي منشورًا للعبرة والتأمل فِي صحيفة سعودية ليقرأه كل مواطن ما زال مغيبًا عن بذور المشكلة الَّتِي حيكت بدهاء لشعب كامل وقع ضحية الأفكار المستوردة، تلك الَّتِي أحالتنا إلَى مُختبر للتجارب من قِبَل "الإخوان المسلمين" حين فشلوا فِي تطبيقها فِي بلدانِهم الأصلية.

لوزير الداخلية الحق فِي أن يضع "المبضع" على الجرح، وأن ينشر الأوراق الأمنية الَّتِي ظلت فِي صدره، وأراد إعلانَها بعد أن بلغ السيل الزبى وضاق صدره "الحليم"، ونَحن الذين نتهمه على الدوام بالدبلوماسية المفرطة، ونطالبه بالحديث العلنِي عن "الأورام" الَّتِي تنهش مُجتمعنا، وظل وحده يداريها

(١) جريدة "الوطن"، العدد (٨١٣) السنة الثالثة، السبت (١٧/شوال/١٤٢٣هـ).

بالحسنَى وتغليب حسن الظن.

لا يُمكن لفرد أو جَماعة إسلامية أن تنكر دور السعودية الحاضن الأمين لكل الذين لفظتهم بلدانُهم، وأخرجتهم مُجتمعاتُهم بالإكراه، فمنحهم هذا البلد فرصًا هائلة للعيش الكريْم، وفتح لَهم منابره وجامعاته، مؤملاً فِي كثير منهم أن يَحفظوا هذا الجميل، ومع هذا تبرز الْمُحصلة اللافتة.

السعودية وحدها هي الَّتِي هرب إليها عمر عبد الرحمن وكافأته بالوظيفة، وهي الَّتِي أعطت تأشيرة للحياة لأيْمن الظواهري ليمارس مهنته ومعتقده ونَمط حياته، وهي الَّتِي فتحت جامعتها للشيخ مُحمَّد قطب هاربًا من مُجتمعات تُحاربه بتهمة تاريخ عائلي، وهي الَّتِي أيضًا عمل فيها عبد الله عزام لسنوات طويلة، وبالتأكيد معهم عشرات الرموز الَّتِي قلبت ظهر الْمجن للجميل المتواصل، على الرغم من أنَّها تقرأ كل يوم ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠].

والسعودية حين فعلت هذا -بتغليب النية الطيبة- لَمْ تكن تعلم ما يُخفيه الغيب، ولَمْ تكن -كطبعها- تغوص فِي النوايا والأهداف، وهي لَمْ تؤوهم بكل تأكيد لعجز فِي الوظيفة أو نقص فِي كوادرها الشرعية بقدر ما كان الموقف إنسانيًّا فِي بلد يَختلف فيه المواطن البسيط مع الأمير والوزير، ثُمَّ يذهب إليه فِي اليوم التالِي لتصفية الخلاف بكلمة طيبة عابرة لا أكثر، وفِي بلد يَحمل فيه المواطن إشكالاته بالمشافهة والمصافحة مع الحاكم الأول، وهذا ما لَمْ يكن على الإطلاق فِي الْمُجتمعات الَّتِي جاءت منها هذه القدرات الفكرية

الهاربة إلينا، ولِهذا مارست جَماعة "الإخوان المسلمين" كل أنواع التجييش؛ لأنَّها استخدمت حسابات خاطئة، ولَمْ تدرك الفارق بين مُجتمع وآخر.

هذه هي جَماعات الإخوان المسلمين تتفرج علينا[1] بعد أن صرنا وحدنا داخل "التهمة" الَّتي خرجت منها بكل دهاء، وهكذا نَحن وحدنا نعيش نتيجة التجربة بعد أن صرنا لوحدنا نتحمل تُهمة "الإرهاب" وفق الْمُجتمع السلفي الذي لا علاقة له فِي الأصل بِهذه التهم والأفكار، مارست علينا جَماعة "الإخوان المسلمين" -للأسف الشديد- ما اضطهدت لأجله فِي مُجتمعاتِها، ومررت إلَى شبابنا وجامعاتنا تأثيرها فِي مُحاولة الإيقاع بين الحاكم والشعب فِي بلد يعرف فيه الكبير والصغير أنه يذهب للمحكمة الشرعية فِي القضايا الكبرى كالحدود، وفِي الصغرى مثل حل إشكال مروري، وفِي بلد يستطيع فيه الشخص العادي أن يرفع دعواه على الحكومة أمام القاضي الشرعي فِي ديوان المظالِم، وفِي بلد يعرف الحاكم فيه أن العقد الذي يربطه بالْمَحكوم يتلخص فِي كلمتين فقط هُما: "تطبيق الشريعة".

السعودية بلد مفتوح بدرجة مفرطة، وفيه من الوافدين ما يناهز أرقام المواطنين، ويُخطئ للمرة العاشرة من يظن أننا نستورد "المهنة والتقنية"، فالمسألة أخطر من هذا بكثير، كان بودي لو كان حديث سُمو وزير الداخلية تعميمًا يصل إلَى كل بيت وأسرة تتعرف على رؤية أمنية غاية فِي الخطورة.

---

(١) بل صار أتباعها يشاركون فِي رمي مناهجنا بتغذية الإرهاب، وأئمة دعوتنا بأنَّهم سبب للغلو الذي يوجد لدى بعض شبابنا على طريقة المثل: "رمتني بدائها وانسلت".

كلام الشيخ عبد المالك الجزائري

وقال الشيخ عبد الْمَالك بن أحْمَد رمضانِي الْجَزائري فِي الموضوع نفسه بعدما ذكر بعض أخطاء وضلالات مُحمَّد قطب، ومُحمَّد سرور، وذكر تأثر بعض تلاميذهم من أبناء هذه البلاد بأفكارهما: "وأقول أخيرًا: إنَّ بداية افتتان هؤلاء الشباب بِهذه الأفكار كان سببه وفادتَها عليهم من قِبَل الإخوان المسلمين بعد أن أثاروا زوابع القلاقل فِي أمصارهم، سواءً كانت هذه الإخوانية مصرِية قطبية تكفيرية، أم كانت سورية صوفية -فلما شُرِّد هؤلاء وضُرب عليهم جَميعًا بيد من حديد فروا، ولَجئوا إلَى البلاد الَّتِي يكنون لَها العداء الأكبر ألا وهي الدولة الوهابية كما يسمونَها، واستغلوا فِي ذلك كون هذه الدولة هي الوحيدة فِي العالَم الإسلامي الَّتِي تدعم قضايا المسلمين رسْميًّا كما استغلوا حسن ظن أهلها بِهم ومَحبتهم للمسلمين.

وبدلاً من أن يأخذوا التوحيد الفطري من عجائز نَجد فضلاً عن أن يتعلموه على أيدي علمائها، وبدلاً من أن يَحمدوا الله الذي آواهم ثُمَّ يشكروا لصاحب الدار إكرامه لَهم؛ جعلوا ينشرون أفكارهم المنحرفة بألسنة سحارة، وبسطوا نفوذهم حَتَّى تصدروا الْمَجالس، وتسلموا الإدارات بشهادات غرارة، فما زالوا بأبناء جزيرة التوحيد حَتَّى ربوا منهم أشكالاً

غريبة، منهم أولئك الذين بيَّنا حيرتَهم العقدية آنفًا فِي أصل التوحيد، فماذا بعد العقيدة يا قوم؟!" اهـ. مدارك النظر (١٢١-١٢٢).

وقال أيضًا فِي كتابه: "تَخليص العباد من وحشية أبِي القتاد" (ص١٣٤) **بعدما ذكر بعض أخطاء الْمُتأثرين بفكر الإخوان المسلمين من أبناء بلدنا، قال:** "لقد وقع هؤلاء فريسة دعوة "الإخوان المسلمين" الذين غزوا ديارهم بأفكار لَمْ يكونوا يسمعون بِها، وتلونوا بلونِهم برهة من الزمن، وأعطوهم من ألسنتهم ما ليس فِي قلوبِهم، حَتَّى إذا ذلَّت لَهم الطريق، وآنسوا من بلاد الغربة الرفيق استولدوا بنات أفكارهم فِي أوكارهم؛ فتخرَّج على أيديهم أشكال غريبة عن دعوة علمائهم كهذين اللذين سبق ذكر شيء من إنتاجهما المصنوع على عين "الإخوان" فِي الطعن على الدعوة السلفية". اهـ.

- **قلت:** وبعدما سقت لك أيها القارئ الكريم هذا التصوير الدقيق البليغ عن تغلغل فكر الإخوان فِي بلدنا بقلم الفضلاء المتقدم ذكرهم فِي هذا المبحث؛ فإنني أتساءل: فإلَى متَى يستمر الخداع؟

التنظيم السري والبيعة عند الإخوان المسلمين عمومًا والقطبيين خصوصًا

قال علي عشماوي فِي كتابه "التاريخ السري لِجماعة الإخوان المسلمين" (ص ٩٤، ٩٥، ٩٩): "فِي هذه المرحلة ينبغي على الأفراد المنتظمين للحركة أن ينفصلوا شعوريًّا عن الْمُجتمع، وألاَّ يشاركوا فِي شيء بينهم وبين أنفسهم، ولا يَجهرون بذلك حَتَّى يكتمل نضجهم، وتتم تربيتهم، وتتم توسعة رقعتهم، وزيادة أعدادهم على قدر الإمكان، ثُمَّ تأتِي بعد ذلك مرحلة أخرى، هي مرحلة المفاصلة، وهي: أن يقف رجالات هذه الدعوة "ويفاصلوا" الْمُجتمع، ويقولوا: إن هذه طريقنا، وهذه طريقكم، فمن أراد أن يلحق بنا فهو مسلم، ومن وقف ضدنا فقد حكم على نفسه بالكفر، ولكلٍّ أن يتخذ ما يراه من موقف فِي هذه الحالة.

وحين يفصل الله بين الطرفين بشيء أو بآخر، فإما أن ينصر الله الفئة المؤمنة وتأخذ بزمام الأمور، وإما أن يكون العكس، ويكون فِي قضاء الله أن تُذبح هذه الفئة المؤمنة[1] كما حدث لأصحاب الأخدود الذين "فاصلوا"

---

(١) اقرأ هذا وقارنه فِي المبحث المتقدم بعنوان: "التنظيم لإقامة الدولة عند الخوارج مُمثلاً بالخوارج الإباضية".

قومهم، ثُمَّ قُضي عليهم عن طريق دفنهم فِي الأخدود كما جاء فِي القرآن الكرِيْمِ ...

وإضافة لذلك كان الأستاذ سيد قطب يرى أن للحركة الإسلامية قواعد وأحكامًا فقهية مُختلفة كثيرًا -وفِي كثير من الحالات- عما هو مقرر فِي الفقه الإسلامي العادي، وسَمعنا منه لأول مرة "فقه الحركة" وكان يقول أحكامًا قائمة على فقه الحركة مُخالفة -إلَى حدٍّ ما- الأحكام العامة.

وفِي كتابه الذي لَمْ يُنشر "معالِم فِي الطريق" -الجزء الثانِي- كان يفرد جزءًا كاملاً سَماه: "فقه الحركة"، ولكنه عندما أخذ رأيي فِي نشر هذا الكتاب رجوته ألاَّ ينشره؛ لأنه سيثير انقسامات واختلافات كثيرة، وسيثير الدنيا علينا، وسيقولون: إن سيد قطب قد ابتدع فِي الإسلام بدعة، ووافق على رأيي ولَمْ ينشر الكتاب، ولا أعرف مصيره بعد ذلك.

وقد أخبرنا الأستاذ سيد قطب أن هذه الرؤية قد اتضحت له أثناء وجوده فِي السجن، عندما اعتُقل عام (١٩٥٤)، وحُكم عليه بعشر سنوات قضاها فِي السجن، وكان يتأمل ما حدث ووافقه فِي هذا التأمل الأستاذ "مُحمَّد يوسف حواش" الذي أُعدم فِي أحداث (١٩٦٥) وشاركه فِي الرأي.

وقال: إن الأستاذ "مُحمَّد يوسف حواش" يَجب أن نعتبره الشخص الثانِي بعده، فإذا أصابه مكروه فلنلجأ إليه، وأنه هو -تقريبًا- الفكر نفسه والرأي نفسه والمشورة نفسها ...

تَم الاتفاق على أن يكون ما سبق هو الخط الفكري العام للتنظيم الذي

نَحن بصدده، وأن نبدأ فورًا فِي إعادة تشكيله وصياغة أفكار الناس -الإخوة المنتظمين معنا- حسب ما قال الأستاذ سيد قطب وما رآه، وقد اقترح علينا مَجموعة من الكتب نبدأ بِها، ومنها على سبيل المثال: "هل نَحن مسلمون"، "العدالة الاجتماعية فِي الإسلام"، "معالِم فِي الطريق"، "الغارة على العالَم الإسلامي"، "الاتِّجاهات الاجتماعية فِي الإسلام"، "الاتِّجاهات الوطنية فِي الأدب المعاصر" للدكتور/ مُحمَّد حسين، "العقائد"، "الإسلام فِي طور جديد" للأستاذ البنا، "الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه" للأستاذ عبد القادر عودة.

وكان سيد قطب يرى -بعد أن سألنا عن عدد الأفراد الذين فِي أيدينا وأخبرناه أنَّهم حوالَي الثلثمائة- كان يرى أن سبعين منهم -على الأقل- سيكونون قادة مبرزين، أو إيْجابيين أكثر.

وقال: يَجب أن نبحث عن هؤلاء السبعين، وأن نعمل على إعطائهم جرعات أكثر من الفكر، وأن نبدأ بتدريب هؤلاء تدريبًا خفيفًا حَتَّى يكون ذلك بداية لتأهيلهم فِي أن يكونوا قادة العمل الذي نَحن بصدده فِي المستقبل القريب[1].

تَمت إعادة تشكيل الْمَجموعات، وكانت الْمَجموعة بين ثلاثة إلَى خمسة أفراد، واتفق على أن يكون لكل خمس مَجموعات قائد، وكل قائد على

---

(١) اقرأ هذا وقارنه بِما تقدم فِي مبحث التنظيم عند الخوارج، وتَحديدًا ما يسمى بِمرحلة الشراء؛ لتتضح لك الصورة، أن المسألة هي إحياء لِمذهب الخوارج المتقدمين بالأفكار نفسها، وإنَّما الاختلاف فِي الخطط، وفِي الأسلوب المتبع لتحقيق الهدف.

علاقة مباشرة برئيس المنطقة الَّتي يقوم بالعمل فيها، وبِهذا نتمكن من عزل أي مَجموعات يتم كشفها، أو القبض على أحد أفرادها بتهريب المسئول عن هذه الْمَجموعات، وبِهذا لا يتم كشف التنظيم كله، كما كان يَحدث سابقًا فِي أغلب تنظيمات الإخوة "الهرمية" الَّتي كانت إذا اعتُقل أحد الإخوة يتم الاعتراف على باقي التنظيم، ومعرفة كل أفراده بسهولة شديدة، وبدأ العمل فِي تَجنيد مَجموعات جديدة من الشباب المتحمس للإسلام ..." اهـ.

واقرأ ما كتبه مُحمَّد مُحمَّد بدري فِي مقاله المنشور فِي مَجلة "البيان" عدد (٨٣) الصادر فِي رجب عام (١٤١٥هـ) تَحت عنوان "روح الفريق والمبادرات الذاتية" حيث قال فِي (ص٤٤): "ولا تستطيع أمة من الأمم أن تُحقق أقصى الفعالية فِي الداخل والخارج إلا إذا كان النظام الجماعي هو الذي يسيِّر خطوات أفرادها، ومن هنا كان الواجب الأول لِجميع فصائل العمل الإسلامية المعاصرة هو: بداية مسيرة التعاون من أجل بناء الأمة الإسلامية القوية الَّتي تستطيع مواجهة كل أعدائها، وحَمل رسالتها الحضارية إلَى كل البشرية، تلك الرسالة الَّتي لا يُمكن أن يَحملها فرد أو مَجموعة أفراد، إنَّما تَحملها مَجموعة متعاونة تعمل وفق خطة تكاملية مدروسة تقوم على أساس من روح الفريق والمبادرات الذاتية". اهـ.

وقال مُحمَّد أحْمَد الراشد فِي كتابه "صناعة الحياة" (ص١١٣-١١٦):

"فالدعوة دار لَها داخل وظاهر، فالظاهر يسع كل أمة مُحمَّد، لكن الداخل حرم، وهو مأوى الأشداء الثقات النبلاء الأمناء فقط؛ لأنه موطن

اتِّخاذ القرار، واختيار الخطة والأسرار، وأي تساهل فِي ذلك قد ينتج عنه الانْحراف، ولذلك لن يصل له إلا القديْم الولاء العابد المتواضع ... ولابد من وجود الصفوف الخلفية التربوية حيث أهل النقاء والالتزام، وحيث الثوابت والاستقرار، بل وفِي معظم الأحوال يَجب استتار هذه الصفوف بسبب الضرورات الأمنية حَتَّى فِي الغرب ....

والْحَل الذي هو خير من ذلك كله: أن يبقى مصنع الرجال الخلفي مستترًا لا يَمسه ترخيص ولا إعلان، ولا تبديل ولا تسهيل، وأن يبقى مصدرًا للقرار، وأن تكون هناك واجهة من بعض المقيمين على شكل حزب أو جمعية ... وأهمية القيادة فِي العمل الإسلامي، وأن جودة عمل صناع الحياة لا يلغى دورها، ولابد من طاعتها والصدور عن أمرها ... فهي قلب العمل وأداة الانسجام والتناغم وطريق المناقلة وحزام الربط ... وكل البراهين الشرعية والعقلية كوجوب العمل الجماعي تصدق على وجوب طاعتهم -أيضًا- ووجوب بروزها وشخوصها وسيطرتِها على العمل".

واقرأ ما جاء فِي نشرة مركز بُحوث تطبيق الشريعة الإسلامية عدد (٤) (ص٣٤) **حيث جاء فيها قولُهم**: "إن الجهاد لنصب الإمام، وإقامة الدين، وتَحكيم الشريعة فرض على الكافة فِي هذه الحالة، ولا سبيل إلَى ذلك مع الشتات والتناثر، وأن إقامة الفرائض الجماعية من استفاضة البلاغ، وإقامة الحجة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتناصح بين المسلمين، وإعداد العدة للجهاد ونَحوه فرائض متعينة؛ لأن سقوط الولاية الإسلامية لا يعنِي سقوط التكليف بِهذه الواجبات، ولا سبيل إلَى أدائها كذلك مع الفرقة والتهارج، فما هو المخرج إذن؟

فِي هذه المرحلة يأتِي دور الجماعات الإسلامية باعتبارها تَجمعات مرحلية فِي الطريق إلَى جَماعة المسلمين.

إن الصورة المثلى -كما سبق-: أن يَجتمع أهل الحل والعقد لتصفح أحوال أهل الأمة، وتقديْم أكثرهم فضلاً وأكملهم شروطًا ليعقدوا له الراية، وليجمعوا كلمة الأمة حوله؛ ليكون للناس جُنَّة يتقى بِها، ويقاتل من ورائه.

فإذا عسر ذلك، أو طال أمده، أو وقفت دونه بعض العوائق من: تعدد الاجتهادات، وتفاوت الأساليب المقترحة للتغيير أو التنازع على بعض المسائل العلمية أو العملية كتلك الَّتِي تتعلق بتوثيق الواقع أو تكييفه؛ فهنا يأتِي -كما ذُكر- دور الجماعات الإسلامية، وغاية هذه الجماعات: أن تتولى إعداد الطليعة الْمُجاهدة الإيْمانية الصلبة الَّتِي تَجعل من قضية الإسلام همها الأول، وشغلها الشاغل الأكبر فِي هذه الحياة، وذلك فِي إطار من البرامج المنظمة، والروح الجماعية الَّتِي تشجع على المسارعة إلَى الخير، والتنافس فِي أداء الواجبات، فهي بِمثابة الْمَحاضن الإيْمانية لِهذه الطليعة الْمُجاهدة تدفع عنها -بإذن الله- غوائل الشبهات والشهوات، وتعمق فِي نفوسها حقائق التوحيد والإيْمان، وتُخلصها من بقايا الجاهلية وموروثاتِها، وتطبع عقلها وروحها بطابع الإيْمان والجهاد". اهـ.

واقرأ أيضًا **فِي عددهم رقم** (١٢) (ص ١٦) **قولَهم**: إن البيان والتذكير فريضة ثابتة فِي الحالتين؛ إذ الفرض أن الأولى تَحوم فِي إطار الإسلام بِخلاف الثانية، فإنَّها تتحرك فِي إطار علمانِي أدار ظهره للإسلام، وتنكَّر لأصوله الْمُجملة.

والأصل فِي ذلك كله: أن الحركات الإسلامية اليوم بِمثابة الجيوش الَّتِي ينبغي أن تنتظم فيها الأمة كلها على اختلاف مذاهبها ومشاربِها؛ لتدفع فتنة الكفر، ورد خطره عن دار الإسلام، فهي البديل عن الدولة الإسلامية الَّتِي كانت تُجند كافة المسلمين إذا داهم العدو دار الإسلام، فلا تَحجب أحدًا مِمَّن ثبت له عقد الإسلام من الاشتراك فِي هذا الجهاد، ولا تَمنعهم من الغنيمة والفيء ما دامت يده مع المسلمين.

هذا هو الإطار الذي يَجب أن توضع فيه الحركات الإسلامية عندما تكون فِي مرحلة الدفاع[1] والمواجهة والتصدي لِمن تقاسَموا على حرب الإسلام وإبادة أهله، وهي فِي معظم أحوالِها كذلك ما دامت السيادة لغير الإسلام فِي بلاد الله، وما دام جنده مَحجوبين عن الشريعة فِي هذه البلاد.

ذلك أنه بسقوط الخلافة الإسلامية وانعدام شرعية الراية فِي أغلب بلاد المسلمين نظرًا لانعقادها على العلمانية، وتَحكيم القوانين الوضعية، والتحاكم إلَى أحوال الأمة بدلاً من التحاكم إلى الكتاب والسنة، أخذت الحركات الإسلامية على عاتقها مهمة الجهاد لاستئناف الوجود الإسلامي، وإقامة الدولة الإسلامية، والوقوف فِي وجه الكفر القادم من الغرب ومن الشرق.

وقال مُحمَّد قطب فِي كتابه "واقعنا المعاصر" حول أهَمِّية التربية، والرد على من يستطول طريقها، ويريد قطف الثمرة قبل استكمالِها (ص ٤٨٦): "وأما الذين

---

(١) اقرأ هذا وما قبله وما بعده وقارنه بالمبحث المتقدم: "التنظيم لإقامة الدولة عند الْخوارج مُمثلاً بالخوارج الإباضية".

يسألون إلَى متَى نظل نربِّي دون أن نعمل؟ فلا نستطيع أن نعطيهم موعدًا مُحددًا، فنقول لَهم: عشر سنوات من الآن، أو عشرين سنة من الآن، فهذا رجم بالغيب لا يعتمد على دليل واضح، وإنَّما نستطيع أن نقول لَهم: نظل نربِّي حَتَّى تتكون القاعدة المطلوبة بالحجم المعقول".اهـ.

وانظر إلَى ما قاله سلمان العودة فِي شريطه "الإسلام والْحزبية" حيث قال: "أما الكلام فِي البيعة الَّتِي توجد عند بعض الجماعات الإسلامية... الذي أراه أن أقلَّ أحوالِها أن تكون مكروهة؛ لِما فيها من التشبه، أو مشابَهة النذر". اهـ.

ومن المعلوم: بأن حكم النذر ابتداءً: الكراهية، لكن إذا أقدم عليه الشخص وجب، فإذا كان كذلك فبيعة الجماعات الإسلامية -عندهم- ابتداءً مكروهة كالنذر، لكن إذا التزمها الشخص وجبت فِي عنقه، ولزمه الوفاء بِها كالنذر بعد إقدامه عليه.

بعض الخطط والمناهج التي رسمها الإخوان لأتباعهم من أجل إيجاد الدولة المزعومة

وبعد أن ذكرنا جُملة من النقول عن بعض رموز وقادة الإخوان المسلمين فِي التنظيم والبيعة واعتماد السرية، أذكر جُملة أخرى من النقول تُبيِّن بوضوح المنهج الذي سارت عليه هذه الجماعة ورسَمته لأتباعها من أجل تطبيق دعوتِها[١].

ومع أن أصل دعوة أصحابِها صحيح، وهو الدعوة إلَى الإسلام والدين، لكن الخطأ والخطل فِي أساليب هذه الدعوة وطرقها وما احتوت عليه من مُخالفات أوقعت الأتباع وغيرهم فِي فتن كثيرة لِمخالفتها فِي كثير من الأمور للمنهج الذي سار عليه النَّبِي ﷺ وأصحابه[٢].

وستكون جَميع النقول الَّتِي أوردها مأخوذة من كتبهم ومقالاتِهم،

---

(١) وقد سار عليه أتباع هذه الجماعة فِي كل بلد من بلاد المسلمين وجدت لَهم فيه دعوة.

(٢) فالإخلاص لا نستطيع أن ننفيه عنهم، ولكن هذا الشرط لا يصح إلا إذا اقترن به الشرط الآخر، وهو تَجريد المتابعة للرسول ﷺ، أي: أن يكون وفق الشرع، وهذا ما افتقد كثيرًا فِي أسس وقواعد ومسالك دعوة الإخوان، وإلا فالإخلاص حَتَّى الخوارج يوصفون به، وهم من أشد الناس إخلاصًا لِمعتقدهم، ومن أشد الناس ضلالاً لِمخالفتهم هدي النَّبِي ﷺ.

ومُحددة بالصفحة والجزء والعدد من هذه الكتب والمقالات؛ ليقف المسلم الناصح لدينه والمتبع لسنة النَّبي ﷺ الموقف الشرعي الصحيح، وهو الحذر والتحذير من مسالك المبتدعة والتمسك بالسنة والذب عنها والدعوة إليها، وإن رغب عنها من رغب، وأعرض عنها من أعرض، فالسنة -كما يقول العلماء-: سفينة نوح من أخذ بِها نَجا، ومن خالفها هلك وعطب.

فمن المناهج والخطط الَّتي رسَموها لأصحابِهم للسير عليها والتقيد بِها ما يلي:

أولاً: من طرق دعوتِهم: مدحهم وإطراؤهم لرءوس الجماعة ورموزها ومن لَهم شأن فيها، ودعوتُهم الناس للدخول فِي تلك الجماعة وتصويرها بأنَّها هي الَّتي يَجب تعليق الآمال عليها، وفيما يلي نقل لبعض كلامهم فِي ذلك:

قال أحد كُتَّابِهم وهو "عبد الله ناصح علوان" فِي كتاب "عقبات فِي طريق الدعاة" (٢٦١/١) قال: "من يريد أن يعمل للإسلام يبحث عن الجماعة الَّتي لَها فِي كل العالَم امتداد وفِي العالَم الإسلامي فروع، ولَها فِي كل قطر تنتمي إليه تنظيم، هذه الجماعة بِهذا الامتداد، وهذا الشمول، وهذه الأهداف قائمة موجودة منتشرة فِي العالَم الإسلامي -والحمد لله- وهي الجماعة الَّتي أسسها، ووضع معالِمها، ووضع نظامها[1]، وأقام فِي الْمُجتمع المصري صرحها الإمام حسن البنا، والجيل المسلم اليوم فِي المشارق والمغارب يعلق عليها آمالاً جسامًا".

---

(١) لاحظ التعبير فإنه يدل على حزبيتها، وأنَّها ليست دعوة تَجديدية لِما اندرس من هذا الدين، وإنَّما حزب من الأحزاب الساعية للوصول إلَى الحكم.

ويقول فِي معرض مدحه لأعضاء الجماعة (١/١٩٦):

"كأمثال الإمام حسن البنا، والشهيد سيد قطب، والشيخ مصطفى السباعي، والمرشد الوقور حسن الهضيبي، فهؤلاء سيبقون للتاريخ أعلامًا".

ثانيًا: دعوتُهم للتنظيم، وإعطاء الطاعة والولاء للجماعة، ووضع كل إنسان من الْجَماعة فِي الوضع اللائق به[1] حَتَّى لا ينصدع بناء الْجَماعة، وإليك بعض كلامهم فِي هذا الشأن:

قال صاحب "العقبات" فِي (٢/٥١٢):

"فقضية التنظيم هي من القضايا الْهَامة الَّتِي ينبغي على الحركات الإسلامية والجماعات الدعوية أن يعيروها اهتمامهم، وأن يعطوها كل جهودهم؛ لأن أي خطأ فِي التنظيم وأي خلل فِي البناء يعرِّض الجماعة إلَى هزات عنيفة وتصدُّعات خطيرة".

ويقول فِي (٢/٥١٧):

"ومن الخلل القيادي: عدم الأخذ بِما تقتضيه المرحلة الحالية فِي بناء الجيل، وإعداده دعويًّا وتربويًّا".

ويقول فِي (٢/٥٦٣):

"الحركة الإسلامية الواعية الناضجة هي الحركة الَّتِي تعرف قدرات أفرادها وميولَهم ومواهبهم .. ومن خلال ذلك تَختار لكل فرد ما يتناسب مع قدراته

---

(١) فِي نظرهم وتصورهم.

وميوله وحركته وطبيعة مزاجه".

ويقول فِي (٢/٤٨٤):

"فالتربية على الانضباط: هي إعطاء الولاء لقيادة الجماعة، وتنفيذ أوامرها، والتزام كل ما يصدر عنها دون أن يكون فِي الشباب تردد، ودون أن يعتريهم فتور".

ثالثًا: اعتناؤهم بالتجميع الفاسد بين أصناف الفرق الإسلامية من غير فرقان تَحت عنوان: "نعمل فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه"[1].

يقول صاحب العقبات فِي هذا الشأن (١/٣١٢):

"أن تعمل كل جَماعة فِي مَجال اختصاصها فِي تربية الجيل المسلم وتعليمه وتكوينه، على أن يعملوا فيما اتفقوا عليه، ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه ... فهذه دعوة إلَى تزكية النفوس، وأخرى تقوم بِمهمة التثقيف والتعليم، وثالثة تَخوض غمار العمل السياسي، حيث يتمم بعضهم بعضًا فِي تكوين الشخصية الإسلامية".

رابعًا: سبل هؤلاء فِي مواجهة الضغوط الموجهة إليهم، وكيفية العمل فِي مثل هذه الظروف، حَتَّى تضمن الحركة نَجاح مسيرتِها، وإليك بعض كلامهم فِي هذا الشأن:

---

(١) هذه القاعدة مع ما فيها من مُخالفة للشرع، أيضًا هم إنَّما يعذرون من وافقهم فِي التنظيم مهما كانت مُخالفتهم، أما من لا يوافقهم في التنظيم فلا يقيمون له أي وزن مهما كان علمه، أو تقواه وورعه؛ كما صرح بعض قادتِهم بذلك.

قال صاحب العقبات (٢/٥٩٦):

"حين تبتلى الحركة الإسلامية بِحاكم إرهابِي لا دينِي متسلط يعتقل الدعاة؛ تكون الخطة على الشكل التالِي:

- الاقتصار فِي تبليغ الدعوة على السر، وذلك بالدعوة الشخصية، والاتصال الفردي.

- الانتماء الظاهري إلَى الجماعات الَّتِي تعتنِي بالتربية الروحية، وتقصر دعوتَها على تزكية النفوس.

- الارتباط بِجمعيات تعليم القرآن، ومؤسسات البر والتعليم للعمل للإسلام وللدعوة تَحت مظلتها.

- العمل الدائب والسعي الحثيث؛ ليصل الداعية إلَى استلام درس فِي مسجد، أو خطبة على منبر، أو تعليم فِي مدرسة.

ويقول فِي (١/٣٠٦):

"وهل أدركوا أن من إيْجابيات هذه المرحلة أن يتدرجوا مع هؤلاء المنفذين على مراحل من التعامل بدءًا بالقناعة، فإن لَمْ تُجد فالمداراة، فإن لَمْ تُجد فبالدعوة السرية".

ويقول فِي (٢/٣٩٣):

"ولكن لن يعدم العاملون للإسلام فِي كل بلد الوسيلة، ولن تعجزهم الحيلة، قد يكون من بنود العمل: الاتصال الفردي، أو تغيير الطريقة كالانتظام

فِي سلك جَمعيات العلماء لتعمل الجماعات الملاحقة باسْمها، وتدعو إلَى الله تَحت مظلتها، أو العمل على تشكيل جَمعيات لتعليم القرآن وتَحفيظه؛ لتقوم الفئات الدعوية بأداء رسالتها لتجميع أبناء المسلمين تَحت رايتها".

خامسًا: اعتمادهم على القاعدة الشعبية وتغلغلهم فِي أفراد الشعب، وتكوين اللجان الدعوية المختصة، وإليك كلامهم فِي هذا:

يقول صاحب العقبات فِي (٢/٣٦٨):

"وحين يصل المسلمون إلَى مرحلة إيْجَاد القاعدة الشعبية، وتَمتد حركتهم فِي الجموع الزاخرة من أبناء الأمة الإسلامية، وتتغلغل فِي الشعوب المؤمنة فِي كل مكان؛ تأتِي مرحلة التنفيذ، ولحظة الحسم"[(١)].

ويقول أيضًا (٢/٤٠٨):

"إنه لا يُمكن للإسلاميين أن يصلوا إلَى إقامة حكم[(٢)] عن طريق الانقلابات العسكرية، ولَمْ يبق أمامهم من حل واقعي ومعقول سوى الاعتماد على الثورة الشعبية".

ويقول فِي (٢/٢٠٩):

"تكوين القاعدة الشعبية الَّتِي تشمل جميع طبقات الشعب وسائر فئاته".

ويقول فِي (٢/٣٨٨):

"ولا يُمكن أن نقول عن القاعدة: أنَّها كثيرة حَتَّى تتغلغل فِي أوساط

---

(١) المقصود بالحسم؛ أي: الثورة والخروج على الحاكم.

(٢) تصريح بِحقيقة دعوة هذه الجماعة، وهو الوصول للحكم.

المثقفين، والعمال، والمواطنين، والأطباء، والمهندسين، والأغنياء، والعلماء، وعلى العموم أن تتغلغل فِي كل البيئات وعلى كل المستويات، فهذه لَجنة دعوية فِي مُحيط الطلاب، وأخرى مسئولة عن قطاع النساء والطالبات، وخامسة مهمتها فِي مَجال القرى والأرياف، وسابعة فِي ميدان العوائل الكبيرة والأحياء".

سادسًا: توزيع الأعمال وتقاسم الْمَهام كلٌّ على حسب اختصاصه وعمله، وإليك كلامهم فِي هذا:

يقول صاحب العقبات فِي (٢/٥٦٤):

إن على الْحَركة أن تصنف طاقات عناصرها بِحسب اختصاصهم وكفاءتهم، ففريق يفرز للشئون المالية والاقتصادية، وفريق يفرز للشئون الرياضية، وفريق يفرز للطلاب.

ويقول أيضًا (٢/ ٥٢٣):

"وعلى كل من يكون فِي صف القيادة أن يكونوا متفرغين للدعوة ومكملين بعضهم فِي الاختصاصات، فهذا يعمل فِي مَجال التنظيم، والآخر يعمل فِي مَجال الرياضة ووسائل القوة، والرابع فِي مَجال الأجهزة الإدارية والتربوية، ليتم التعاون والتكامل".

سابعًا: وسائلهم الدعوية، وإليك النص من كلامهم فيها:

يقول صاحب العقبات (٢/٣٨٢):

"من هذه الوسائل: وسيلة الجلسة المفتوحة؛ وفيها تطرح الأسئلة الهادفة، ومن هذه الوسائل: وسيلة الشريط الإسلامي؛ حيث يختار من الأشرطة الدعوية

أعلاها وأقواها، ومن هذه الوسائل: نشر الكتاب الإسلامي؛ حيث يختار من الكتب الفكرية والدعوية والتاريْخية ما هو أفضلها".

ويقول (٢/٣٨٢):

"ومن هذه الوسائل: وسيلة الْمُحاضرات العامة؛ وذلك بالدعوة النشطة لسماع المدعوين مُحاضرة داعية تعالِج قضايا المسلمين، وسيلة نشر الْمَجلة الإسلامية والصحيفة الدعوية والنشرات الفكرية فِي أوساط الشباب، وسيلة الدعوة إلَى سَماع مُحاضرات ذكريات الإسلام كغزوة بدر، وسيلة إعداد الزيارات والرحلات والنُّزهات ...، وسيلة تداول الأناشيد الدعوية والتاريْخية والإرشادية...، وسيلة المسرحيات الإسلامية والتمثيليات التاريْخية".

ثامنًا: اعتمادهم على التخطيط الإداري، وطريقتهم فِي ذلك:

يقول صاحب العقبات (٢/٢٧٦):

"فالحلول الإيْجابية فِي تلافِي الأخطاء الإدارية للجماعة إذن هي:

- توظيف كافة الأفراد فِي العمل الدعوي.
- مُحاسبة الأعضاء فيما يتسلمون من أعمال ومسئوليات.
- حسم مشكلات الحركة بسرعة ودقة وإحكام.
- حل مشكلات أي فرد بعناية واهتمام.
- الوقوف من مثيري الدسائس والفتن بِحزم وحسم وقوة".

تاسعًا: طرقهم فِي الإعداد التكوينِي للشباب وبرامج هذه المراحل، واعتناؤهم فِي الدعوة النسائية، وإليك كلامهم فِي هذا الشأن:

يقول صاحب العقبات (٢/٥٧٩):

"أن يبدأ الدعاة عملهم بالتكوين التربوي والإعداد الروحي، وأن يكون التركيز فِي هذا التكوين فِي الدرجة الأولَى على المستجدين مِمَّن دخلوا فِي الدعوة حديثًا من المراهقين والشباب، وفِي هذه المرحلة ينتقى من فوج المستجدين من هو أطلقهم لسانًا وأظهرهم نباهة ولباقة وأقواهم اندفاعًا، بعد التأهيل والتخرج يفرز هؤلاء على حسب نضجهم وثقافتهم ومواهبهم؛ ليأخذوا مواقعهم".

ويقول فِي برامج الأشبال (٢/٥٣٣):

"ففي برامج الأشبال يراعى فيها: التعريف بالدعوة، عوامل النهوض بِها، كيف تربَّى الأشبال إيْمانيًّا وأخلاقيًّا، مواقف من التأريخ من سير الأشبال".

ويقول فِي شأن الدعوة النسائية (٢/٥٨٠):

"وينبغي على الجماعات الدعوية ألاَّ تغفل دور النساء فِي تبليغ الدعوة باعتبارهن نصف الْمُجتمع".

ويقول الراشد فِي كتاب "المسار" (ص ١٤٥):

"فإن الناشئة هم المورد الرئيس للنوعية الصلبة، ولسنا نعنِي: الصغير الذي يتعب وإلا لتحولت الدعوة إلَى رياض أطفال، وإنَّما هم الذين ناهزوا الْحُلم، ننتقي منهم العفيف المؤدب الاجتماعي المخالط الرياضي المتحرك الْمُجد فِي دراسته، فتحبب لَهم لزوم المساجد، وتدعهم يتبارون فِي فرق ألعاب، وترحل بِهم فِي الضواحي الخضراء، حَتَّى إذا رشد أحدهم وكان على أبواب

الجامعة؛ وجدته داعية وافر العفة والحياء دون هواجس تساورك نَحوه".

عاشرًا: دعوتُهم أفراد الجماعة للتكيف حسبِ الظروف الْمُحيطة بِهم، ثُمَّ التغلغل فِي الْمُجتمع على حسب هذه الظروف، وإليك كلامهم فِي هذا:

قال صاحب العقبات (٢/٦٠٠-٦٠١):

"إنَّ على العاملين فِي الحقل الإسلامي حين يضعون للحركة الإسلامية خطتها ومنهجها فِي مُسيِّرو العمل الدعوي: أن ينظروا طبيعة الظروف الَّتِي هم فيها، ووضع الحكومات الَّتِي يعيشون تَحتها، فإن كانت الظروف قاسية والحكومات طاغية؛ فالأمر يتطلب أن تكون الخطة على المنهج الذي سار عليه النَّبِي ﷺ وأصحابه وهم فِي المرحلة المكية".

ويقول كذلك فِي (٢/٦٠١):

"وإن كانت الأحوال والظروف قائمة على التغاضي والتياسر من قِبَل حكومات معتدلة فِي تعاملها؛ فإنَّ الخطة تكون أظهر انفتاحًا وأعظم انطلاقًا، فلا بأس أن يكون من وسائل الخطة:

- فتح مدارس خاصة.
- الإقبال على التدريس والمعاهد والمساجد.
- إقامة حفلات فِي مناسبات إسلامية.
- إقامة سهرات مفتوحة مع الشباب.
- إهداء الكتاب الإسلامي أو إعارة الشريط الدعوي.

الْحَادي عشر: وصفهم الكُتَّاب الذين ينتقدون أخطاء الْجَماعات، ويبينون للأمة خطورة أفكارها: بأنَّهم عملاء للسلطة، وأنَّهم جُبلوا على الحسد والحقد، واعتبارهم عملاء وجواسيس، وأنَّهم معرضون عن فقه الأئمة، وأهل تَجهيل وتضليل للمسلمين، وإليك كلامهم فِي هذا:

قال صاحب العقبات (١/١٠٧):

"أما الرجل العميل للسلطة فإنه فِي تقمصه ثوب العلماء والدعاة، فالسلطة تستخدمه ليقوم بدور خسيس، ومهمة دنيئة، تستخدمه السلطة ليكون بوقًا لَها، ويبرر لَها إجرامها فِي مُحاربة الإسلام ومطاردة الدعاة، تستخدمه لملاحقة الجماعات الإسلامية المخلصة ومطاردة الدعاة المخلصين".

ويقول كذلك (٢/٥٢٨):

"وجَماعة تركز فِي تربية من ينتمي إليها على تلقين عقيدة السلف[1]، والاجتهاد من الكتاب والسنة، والإعراض عن فقه الأئمة، والنقد الذاتِي للجماعات الإسلامية، والتجهيل والتضليل لكافة المسلمين".

الثانِي عشر: قال توفيق الواعي فِي كتابه "دور المسلم" (ص ٥٧) **نقلاً عن حسن البنا فِي رسالته إلَى الشباب:**

"ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة، ولا نعترف بِهذه الأحزاب السياسية،

---

(١) لو ربوهم على عقيدة السلف الصحيحة ما احتاجوا إلَى هذه التنظيمات السرية، وإنَّما هذا من باب التضليل والتلبيس، وأحسن الأحوال: الجهل بِحقيقة العقيدة السلفية؛ إذ هم أكثر الناس مُخالفة لَها، وطعنًا فيها وفِي حامليها على الحقيقة.

ونريد بعد ذلك أن ينضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي، فمصر وسوريا والعراق والحجاز، وكل شبر أرض فيه مسلم يقول: لا إله إلا الله، كل ذلك وطننا الكبير الذي نسعى لتحريره، وإنقاذه، وخلاصه، وضم أجزائه بعضها إلَى بعض".

الثالث عشر: اعتمادهم على التعددية الفكرية والسياسية للوصول إلَى أهدافهم، وإليك بعض كلامهم فِي هذا:

يقول عصام البشير فِي مَجلة "الْمُجتمع"، العدد (١٢٣١) فِي هذا الشأن:

"وهناك كوادر فِي الساحة لا تقف فِي موقع الخصم للتيار الإسلامي، وهي مُحبة لقضايا وطنها، ومن هنا فإنه ينبغي أن يستفاد من كل القوى والشرائح فِي الْمُجتمع من خلال مؤسسات الْمُجتمع المدنِي لتشكل عامل تأثير على الحكام".

الرابع عشر: تركيزهم على النوادي الَّتِي تقام رسْميًّا من قِبَل الدولة، مثل المراكز الشبابية، ومراكز الخدمات الاجتماعية، ومراكز الأحياء الخيرية، وذلك بالمشاركة فيها واستقطاب الشباب من خلالِها، وإليك كلامهم:

يقول عباس السيسي -أحد دعاتِهم- فِي كتابه "من الْمَذبَحة إلَى ساحة الدعوة" (ص ٤٢):

"أشار بعض الإخوة إلَى فكرة جديدة، تتمثل الفكرة: فِي أن نتقدم كأعضاء مشتركين فِي النادي الرياضي الاجتماعي، وقد بُنِيَ حديثًا على أن يَملأ فراغ الشباب الثقافِي والفنِّي والرياضي تَحت إشراف وزارة الشباب .. وبدأت إدارة النادي تفتح لنا صدرها وتتعاون معنا .. وظلت السفينة تسير بعون الله .. ومن

خلال مؤسسة رسْمية وقانونية".

وقال أحد دعاتِهم -عبد البديع صقر- فِي كتاب "كيف تدعو الناس" (ص١٢٢):

"ولِهذا يلزم أن يسهم الدعاة فِي الخدمات الاجتماعية على أنَّها واجب، وأنَّها من الوسائل إلَى إنْجاح الدعوة العامة".

الْخَامس عشر: رؤيتهم أن الْمُحذِّر من البدع يُعتبر ساعيًا فِي تعطيل أسباب نصر المسلمين، وإليك المنقول فِي ذلك:

قال فتحي يكن فِي كتاب "احذروا الإيدز الحركي" (ص ٣٢-٣٣):

"ماذا يريد هؤلاء؟ يريد هؤلاء تعطيل كل الأسباب والمناخات والمناسبات الَّتِي يُمكن أن يسخرها المسلمون اليوم ليتعلموا إسلامهم .. بِحجة أنَّها بدعة، فإذا أقيم احتفال بِمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج .. قالوا: هذه الاحتفالات بدعة، وإذا أقيم احتفال بذكرى غزوة بدر، قالوا: إنَّ ذلك بدعة".

السادس عشر: طعنهم فِي علماء الأمة بأوصاف التنقص تَمهيدًا لقبول الناس دعوتَهم؛ والسبب هو الغلو السياسي، وإليك كلامهم:

قال يوسف القرضاوي فِي كتاب "أين الخلل" (ص ٢٤):

"كما أن مشكلة علماء اليوم أنَّهم أصبحوا موظفين لدى الحكام، فهم الذين يَملكون توليتهم وعزلَهم".

ويقول المودودي فِي كتاب "واجب الشباب" (ص١٥-١٦) فِي معرض كلامه على العلماء وبُعدهم عن السياسة قال: "وإن مهمتهم فِي الحياة الاجتماعية الحاضرة لا تعدو وظيفة الفرملة لجهاز السيارة حيث يَحولون إلَى حدٍّ ما دون

سرعة الحياة الاجتماعية".

ويقول القرضاوي فِي مَجلة "البعث الإسلامي"، العدد الثالث (ص ٥٧) فِي معرض كلامه عن دعوة الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه الله-:

"ولكنها لَمْ تُعرف بالتجديد والاجتهاد؛ لِهذا سَماها الدكتور/ مُحمَّد عمارة: "السلفية النصوصية"؛ يقصد بالنصوصية: الحرفية فِي فهم النصوص.. وقد يكون عذر هذه الحركة أنَّها نشأت فِي مُجتمع بسيط بعيد عن معترك الحضارة تغلب عليه حياة البداوة".

السابع عشر: أنَّ لَهم أكثر من وجه أمام الأنظمة المختلفة كلٌّ بِما يناسبه ليضمنوا بقاء حزبِهم أو جَماعتهم حَتَّى تَحين ساعة الصفر.

يقول أيْمَن الظواهري فِي مذكراته فِي الشرق الأوسط عدد (٨٤٠٦):

"إن تركيبة الإخوان المسلمين عجيبة، فالقيادة الظاهرة كان يُمثلها المرشد العام أمام الناس والنظام، أما القيادة الحقيقية فكانت بيد مَجموعة من النظام الخاص"[1].

(١) النظام الخاص، هو: تنظيم مسلح سري أنشأه حسن البنا. انظر: جريدة "الوطن"، عدد (١٢٢٥) الجمعة (١٥ ذو الحجة ١٤٢٤هـ) مقال للدكتور خالص جلبِي.

استعمال العنف إذا شعروا بالقوة أو لم يتحقق لهم ما خططوا له

يقول الدكتور/ خالص جلبي فِي مقال له بعنوان "العنف فِي الْحَركات الإسلامية"[1]: هناك من قمم المفكرين العرب من يفوته أن العنف موجود مثل الخطأ الكرموسومي فِي الحركات الإسلامية، وأن العنف موجود منذ لحظة ولادتِهم الأولَى، وأنا أعرف عبد الحليم بوشقة -رحِمه الله- الذي كان من عناصر التنظيم الخاص فِي مصر، وهو الذي كتب فِي انتقادهم؛ ولكن لَمْ يأبه له أحد.

والنظام الْخَاص هو: تنظيم مسلح سري، أنشأه حسن البنا بيده، وكان سبب مقتله بعد أن قتلت جَماعته النقراشي رئيس الوزراء المصري، ويومها خرجت جنازة تطالب برأس البنا؛ ولكن الناس لا تعرف هذه المعلومات، ولا تقرأ كثيرًا.

وفِي زيارتِي الأخيرة إلَى مسقط عرفت سبب مقتل باقر الصدر -رحِمه الله- على يد صدام حينما دعا إلَى تبنِّي العمليات العسكرية للإطاحة بالنظام،

---

(١) مقال نشر بِجريدة "الوطن"، عدد (١٢٢٥)، وتاريخ ١٥/ ذو الحجة/١٤٢٤هـ.

وحينما تستبيح دم الآخرين يَجب أن تعترف أنك أصبحت مستباح الدم، وبلقزيز يعتبر أن مشكلة العنف ولدت مع فكر سيد قطب.

وفِي الطب يُصاب الإنسان بالتهاب الكبد الوبائي، ولكن لا يظهر المرض إلا بعد فترة حضانة، وفكر سيد قطب من حضانة حسن البنا، وهذا من ذاك، وسيد قطب من حسن البنا، وفِي ظلال حسن البنا نشأت حركة التنظيم الخاص، وحاول حسن البنا لاحقًا أن يتخلص منهم كما روى لِي ذلك فتحي رضوان شخصيًّا، ولكنه كان مثل خبير المتفجرات يُحاول فك لغم أرضي فانفجر به، ولكنه فِي المؤتَمر الخامس عام ١٩٣٥ صرح بكل قوة أنه إن اجتمع لديه اثنا عشر ألفًا فلن يُغلب عن قلة، ولسوف يقهر بِهم كل جبار عنيد.

ومشكلة العنف بتعبيرنا، والجهاد بتعبيرهم مشكلة لا حل لَها ما لَمْ نَحل مشكلة الخوارج القديْمة الجديدة، وفهم ماذا تعنِي فكرة الجهاد، وكيف يعمل الجهاد، أي: فهم آلية الجهاد، وما وظيفته، وبيد من، وضد من؟

ولقد كتبت أنا شخصيًّا أربعة كتب فِي هذا الموضوع، وأشتغل عليه منذ أكثر من ثلاثين سنة، ولكن يبدو أن كل ما نكتب لا قيمة له، والشعوب تتعلم بالمعاناة أكثر من الكتابات، ولكن كل المفاجأة أن يفوت مثل هذا الشيء على مفكرين كبار فيقولون: إن العنف لَمْ يكن موجودًا مع نشأة الحركات الإسلامية العربية كما هو الحال مع الإخوان المسلمين وحزب التحرير الذي قام بِمحاولات انقلاب عسكرية.

والترابِي فِي السودان، ونظيره فِي أكثر من قطر عربِي فعلوا وركبوا ظهر

الحصان العسكري فجمح بِهم، وكان حظ الترابِي كبيرًا أنه ما زال يُحافظ على رأسه، ولعل ما فعل الإخوان فِي سوريا كان النموذج الواضح فِي فهمهم لِحل المشكلات.

ولو نَجح الإخوان فِي قلب البعثيين لفعلوا قريبًا مِمَّا فعل الرفاق، والقاتل والمقتول فِي النار، والحركة الإسلامية فِي الجزائر فعلت نفس الشيء حينما حيل بينها وبين الكرسي.

نماذج من كلام بعض قادة ورموز ومفكري جماعة الإخوان المسلمين ومن تأثر بهم

* يتضح منه:

١- المخالفة للسنة "بين مقل ومكثر".

٢- الخروج على الحكام المسلمين.

❁❁❁❁❁

١- حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين:

١- **أن حسن البنا -رحمه الله- كان صوفيًّا على الطريقة الحصافية**، وكان ملتزمًا بطقوسها وأورادها[١].

٢- **وكان يقول**: "وكنا فِي كثير من أيام الجمع، نقترح رحلة لزيارة أحد الأولياء"[٢].

---

(١) ما يقال عن حسن البنا، يقال عمَّن يسمون بمرشدي الجماعة الذين جاءوا من بعده، من عمر التلمساني إلَى مُحمَّد عاكف، فهم ساروا على المنهج الذي سار عليه حسن البنا فلم يُخالفوه فِي شيء مِمَّا قاله، وإنَّما حاولوا تطبيق أفكاره وآرائه فِي الواقع العملي.

(٢) انظر: "مذكرة الدعوة والدعاة" (ص ٢٢-٢٣).

٣- **وكان يقول**: "ومن عاداتنا أن نَخرج فِي ذكرى مولد الرسول ﷺ بالمواكب بعد الحضرة كل ليلة من أول ربيع الأول إلَى ثانِي عشر منه، ننشد القصائد المعتادة فِي سرور كامل، وفرح تام[١]".

ومِمَّا كان ينشده البنا ويردده:

هذا الحبيب مع الأصحاب قد حضرا وسامح الكل فيما قد مضى وجرا[٢]

ولا شك أن ما تقدم يندرج تَحت البدع، ويصل إلَى الشرك كما فِي البيت الذي كان ينشده، فإذا كان الرسول ﷺ هو الذي يسامح الكل ويغفر فما المعنَى الذي يبقى لقوله تعالَى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥]؟! هكذا غلو فِي مقام النبوة، وعدوان على مقام الربوبية.

٤- **كان يقول**: "فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية"[٣].

وهذا فيه هدم للولاء والبراء الذي هو أصل من أصول أهل السنة والجماعة.

وأيضًا مِمَّا يندرج تحت ما تقدم ونتيجة له، وهو عدم تَحقيق الولاء والبراء فِي الإسلام: فإن حسن البنا جعل أساس دعوته جَمع الناس واستقطابَهم، وإن اختلفت مذاهبهم وعقائدهم ومللهم وفق القاعدة الَّتِي نادى بِها وهي: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه".

وبِمعناها ما يردده الآن بعض المتأثرين بدعوة الإخوان المسلمين من

---

(١) المرجع السابق (ص ٢٥-٢٦).

(٢) "حسن البنا بأقلام تلامذته" (ص ٧١-٧٢).

(٣) "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" (١/٤٠٩).

أبناء بلدنا، وهي قولُهم: "نريد وحدة الصف لا وحدة الرأي"[١].

وقد توسع البنا وأتباعه فِي هذه القاعدة حتَّى استوعبوا مناهج الفرق الضالة، الَّتِي حذر منها أئمة الإسلام، بل شاركوا النصارى وأشركوهم فِي بعض اللجان.

قال الدكتور/ عبد الفتاح مَحمود:

"ولكي يدلل الإخوان المسلمون على عدم تعصبهم أشركوا معهم فِي عضوية اللجنة السياسية التابعة للإخوان المسلمين، والَّتِي أنشئت فِي عام (١٩٤٨م) اثنين من النصارى، وهما: وهيب دوس، وأخنوخ لويس أخنوخ"[٢].

قال الشيخ العلامة عبد الْمُحسن العبَّاد ناقدًا للقاعدة المتقدمة:

"وكان اللائق بل المتعين على أتباع هذا الداعية بدلاً من التوسع فِي إعمال مقولته لتستوعب الفرق الضالة حَتَّى لو كانت أشدها ضلالاً كالرافضة[٣] أن يعنوا بتطبيق قاعدة: "الحب فِي الله، والبغض فِي الله، والموالاة فِي الله، والمعاداة فِيه"، الَّتِي لا مَجال أن يعذر أهل الزيغ والضلال فيما خالفوا فيه أهل السنة والجماعة"[٤].

---

(١) قال ذلك سلمان العودة وعائض القرني فِي أكثر من مقال، وأكثر من مناسبة.

(٢) "تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية" (ص ٢٣).

(٣) كان البنا عضوًا فِي هيئة التقريب بين الشيعة والسنة، بينما كان الشيخ مُحب الدين الخطيب يُحذر المسلمين من فكر الشيعة وألاعيبهم.

(٤) "زجر المتهاون" (ص ٧-٩)، ولمعرفة الضرر المترتب على التوسع فِي هذه القاعدة، وأن عمل الصحابة على خلافها، انظر: كتاب: "زجر المتهاون بضرر قاعدة المعذرة والتعاون"، =

وقد يقول قائل: بأن مقصد حسن البنا والإخوان بعده بِهذه القاعدة: هو الخلاف فِي الفروع لا فِي الأصول.

والْجَواب: أَنَّهم لَمْ يقيدوا ذلك لا فِي مؤلفاتِهم، ولا فِي واقعهم العملي، بل أفعالُهم وأقوالُهم تدل على أَنَّهم يعذرون المخالف حَتَّى فِي العقيدة كما تقدم.

٥- **ويزيد ذلك وضوحًا**: أن البنا قرر فِي ركن الفهم من أركان بيعته أن البدعة الإضافية والتركية خلاف فقهي لكل فيه رأيه[١].

وهذا مصادم لقول النَّبِي ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»[٢].

٦- وأيضًا هو -أعنِي: البنا- قال عن دعوته -دعوة الإخوان المسلمين-: أَنَّها دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجَماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة جماعية[٣].

وهذا يقصد به جَمع أكبر عدد من الأتباع مع اختلافهم العقدي والمنهجي، وهذا على حساب المنهج السليم، ويلزم منه التفريط بأصول عقدية وضوابط شرعية؛ إذ إن قوة الدعوة وسلامتها تكمن فِي الْمُحافظة على صحة عقيدتِها

تأليف الدكتور/ حَمد إبراهيم العثمان، مراجعة الشيخ العلامة صالِح الفوزان، وتقديْم العلامة الشيخ عبد الْمحسن العبَّاد.

(١) "مَجموعة رسائل حسن البنا" (ص ٣٥٨).

(٢) رواه الإمام أحْمَد فِي "الْمسند" (١٢٦/٤)، وأبو داود (١٣/٥)، وابن ماجه (١٥/١)، والدارمي (٧٥/١) وغيرهم، وهو حديث صحيح.

(٣) "مَجموعة رسائل حسن البنا" (ص ١٢٢).

وسلامة منهجها أكثر مِمَّا تكمن فِي كثرة الأتباع، ولا ينفع الاجتماع أو وحدة الصف على خلاف العقيدة الصحيحة.

٧- ثُمَّ نَجد أنَّ البنا فِي باب أسْمَاء الله وصفاته وقع فِي أخطاء كبيرة:

١- **حيث قال**: "وردت فِي القرآن الكريْم آيات، وفِي السنة المطهرة أحاديث توهم بظاهرها مشابَهة الحق -تبارك وتعالَى- لخلقه فِي بعض صفاتِهم، نورد بعضها على سبيل المثال ..."[(١)]. ثُمَّ أورد ما يظنه أمثلة لذلك.

فهل هناك آيات وأحاديث توهم بظاهرها مشابَهة الحق تعالَى لِخلقه؟!

إن نسبة الوهم للقرآن والسنة الَّتِي تفسره من الأمور الخطيرة؛ إذ يلزم منه أن القرآن تضمن ما يوهم الكفر؛ إذ إن تشبيه الله تعالَى بِخلقه كفر، وهذا نتيجة للخلط بين قضية الْمحكم والمتشابه فِي القرآن، والصفات ليست من المتشابه.

٢- **أنه قال عن السلف**: "أما السلف فقالوا: نؤمن بِهذه الآيات والأحاديث كما وردت، ونترك بيان المقصود منها لله -تبارك وتعالَى- فهم يثبتون اليد، والعين، والأعين، والاستواء، والضحك، والتعجب ... إلخ، وكل ذلك بِمكان لا ندركها، وتُترك لله -تبارك وتعالَى- الإحاطة بعلمها، لاسيما وقد نُهينا عن ذلك"[(٢)].

ثُمَّ قال بعد ذلك: "أما الخلف فقد قالوا: إننا نقطع بأن معانِي ألفاظ

---

(١) "مَجموعة رسائل حسن البنا" (ص ٤٠٨).

(٢) "مَجموعة رسائل حسن البنا" (ص ٤١٤).

الآيات والأحاديث لا يراد بِها ظاهرها، وعلى ذلك فهي مَجازات لا مانع من تأويلها، فأخذوا يؤولون الوجه بالذات، واليد بالقدرة، وما إلَى ذلك؛ هربًا من التشبيه"[١].

ثُمَّ قال بعدما ذكر جُملة من تأويلات الخلف: "ولو بَحثت الأمر؛ لعلمت أن مسافة الخلاف بين الطريقين لا تَحتمل شيئًا من هذا الشأن لو ترك أهل كل منهما التطرف والغلو، وأنَّ البحث فِي مثل هذا الشأن مهما طال فيه القول لا يؤدي فِي النهاية إلا إلَى نتيجة واحدة، هي التفويض لله -تبارك وتعالَى-"[٢].

إلَى أن يقول: "**وخلاصة البحث:**

أن السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف عليه بين الخلق هو تأويل فِي الجملة ..."[٣].

وأنا لست هنا بصدد مناقشته فِي هذه الأمور الَّتِي خالف فيها معتقد السلف، وإنَّما أشير إشارة إلَى أهم الأخطاء فِي كلامه المتقدم:

إن قوله: "أما السلف فقالوا: نؤمن بِهذه الآيات كما وردت... إلخ ما قال".

هذا القول لا يصح نسبته إلَى السلف، ولا ينطبق على عقيدتِهم، والذي أخذ به السلف: هو الإيْمان بكل ما جاء فِي الكتاب على ظاهره الصحيح، وما ورد من قولِهم: "أَمِرُّوها كما جاءت"، فمقصودهم: بلا تأويل يُخرجها

(١) "مَجموعة رسائل حسن البنا" (ص ٤١٤).
(٢) "مَجموعة رسائل حسن البنا" (ص ٤١٦).
(٣) "مَجموعة رسائل حسن البنا" (ص ٤١٧).

عن ظاهرها أو يعطل معانيها.

وما نقله البنا على أنه اعتقاد السلف هو عين قول المفوضة الذين يفوضون معانِي نصوص الصفات، وهو التفويض الذي يستلزم تَجهيل رسول الله ﷺ بِمعانِي هذه الصفات، وتَجهيل صحابته بِهذه المعانِي كذلك، خلافًا لمنهج السلف الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات، أو أثبته له رسوله ﷺ بِمعانٍ معلومة، وإنَّما يفوضون فِي الكيفية[١].

وتَجهيل النَّبِي ﷺ وصحابته بِهذه النصوص مستلزم بالتالِي الطعن فِي هذا الدين، وذلك ما حَمل علماء السلف على تشديد النكير على أهل التفويض وإبطال مقالتهم[٢].

فما يصوره البنا وظنه مذهب السلف ليس صحيحًا، وإنَّما هو مذهب المفوضة، فالبنا ينسب للسلف أنَّهم يؤمنون بآيات الصفات كما وردت، ثُمَّ يعود ليقول: إنَّهم يتركون بيان المقصود منها لله تعالَى، فيقع فِي التناقض، ثُمَّ يسوي بين مذهب السلف المشتمل على الإثبات على مراد الله ومراد رسوله، وبين مذهب الخلف المتضمن للتأويل، والذي هو نوع تَحريف وإبطال للمعانِي الصحيحة، والله المستعان، وما سبق يندرج تَحت المخالفة للسنة[٣].

---

(١) انظر: "مَجموع الفتاوى" (٦/٢٥٦).

(٢) انظر: "مَجموع الفتاوى" (٦/٣٤-٣٥).

(٣) فمن كانت هذه بعض أخطائه فِي العقيدة، ومُخالفته للسنة فِي ذلك، كيف يصلح أن يكون إمامًا يقتدى به؟!

فِي الواقع: إنه لا يصفه بالإمامة فِي الدين إلا جاهل، أو صاحب هوى.

ثانيًا: دعوته للخروج وإرادته الحكم:

حيث قال فِي رسالته للشباب: "نريد بعد ذلك الحكومة المسلمة، ولا نعترف بالأحزاب السياسية، ونريد بعد ذلك أن ينضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي، فمصر وسوريا والعراق والحجاز وكل شبر أرض فيه مسلم، يقول: لا إله إلا الله كل ذلك وطننا الكبير الذي نسعى إلَى تَحريره وإنقاذه وضم أجزائه بعضها إلَى بعض"[(١)].

وذكر فِي الرسالة للمؤتَمر السادس الْمُنعقد فِي عام (١٩٤١م) عن غاية الإخوان المسلمين أنَّهم يعملون لغايتين:

الأولَى: المساهمة فِي الخير العام.

الثانية: إصلاح يتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل[(٢)].

فأنت ترى أن مطالبته بالحكم، وكذلك أتباعه من بعده هو أساس دعوتِهم دون النظر فِي طريقة الوصول إليها، أو العناية بإصلاح مُجتمعاتِهم، وإقامة دعوة الإسلام على أساس التوحيد، فمن دقق النظر فيما كتبوه أو قالوه، يرى أنَّهم يرون الوصول إلَى الحكم عن طريق الديْمقراطية والتعددية الحزبية، أو العنف، وحَتَّى بالتحالف مع الأحزاب الَّتِي يرونَها علمانية[(٣)].

قال حسن البنا: "إنَّ الباحث ينظر إلَى مبادئ الحكم الدستوري الَّتِي

---

(١) "مَجموعة رسائل حسن البنا" (ص ١٧٧).

(٢) "مَجموعة رسائل حسن البنا" (ص ٢٠٤-٢٠٥).

(٣) الْمَجلة السلفية، العدد السابع، مقال للشيخ سليم الهلالِي.

تتلخص فِي الْمحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها، وعلى الشورى استمدادًا للسلطة من الأمة، وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب، ومُحاسبتهم على ما يعملون من أعمال وبيان حدود كل سلطة من السلطات، هذه الأصول كلها تتجلى للباحث أنَّها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده فِي شكل الحكم، ولِهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة فِي العالَم الإسلامي كله إلَى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظامًا"[١].

ثُمَّ إن أتباع حسن البنا تابعوه فِي ذلك وجاهروا بالدعوة إلَى النظم الوضعية:

قال فريد عبد الْخَالق: "إننا نريد تَحقيق الديْمقراطية وعودة الحياة النيابية، والديْمقراطية لا بديل لَها"[٢].

وقال: "وتغيير مسار الْمُجتمعات لا يُمكن أن يتم إلا فِي جو من الْحُرية والديْمقراطية يسمحان بازدهار المفاهيم الصحيحة"[٣].

وقال يوسف القرضاوي: "والواجب على الحركة الإسلامية فِي المرحلة القادمة: أن تقف أبدًا فِي وجه الحكم الفردي الديكتاتوري، والاستبداد السياسي، والطغيان على حقوق الشعوب، وأن تكون دائمًا فِي صف الحرية السياسية المتمثلة فِي الديْمقراطية الصحيحة غير الزائفة"[٤].

---

(١) "حسن البنا مبادئ وأصول فِي مؤتَمرات خاصة" (ص ٦٠).

(٢) "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" (٢٧/٣).

(٣) المرجع السابق (٢٨/٣).

(٤) "أولويات الحركة الإسلامية" (ص ١٥٦).

وقال الْهُضيبي -خليفة البنا-: "إن الشيوعية لا تقاوم بالقوة ولا بالقوانين، وأنه لا مانع لديه من أن يكون لَهم حزب ظاهر، وأن الإسلام كفيل بضمان سلامة الطريق الَّتي سلكها"[١].

وقد طبق البنا ذلك عمليًّا فرشح نفسه للبرلَمان مرتين.

فهل يَجهل الإخوان المسلمون مدى مُخالفة الديْمقراطية بمفهومها لدى أصحابها للإسلام؟ وهل يَجهلون مُخالفة الحكم الدستوري أيضًا للإسلام؟ أم أنَّهم لا يَجهلون ذلك وأرادوا الدخول فيه من أجل مزاحمة الحاكم الموجود؟ وهل هذه الغاية تبرر لَهم ذلك؟!

إن العملية الدستورية تقوم أصلاً على إرجاع السلطان -الحاكمية- إلَى الأمة؛ إذ تعتبرها مصدرًا للسلطات، وتعمل من خلال الاستفتاء على إخراج رأي الأكثرية باعتبارها مُمثلاً لرأي الأمة بصرف النظر عن الدين والأمانة والعدالة وغيرها من الضوابط المعتبرة فِي أهل الشورى فِي الإسلام، والدول الَّتي تتبع هذا النظام دول لا دينية تفصل الدولة عن الدين، فلا تَجعل له أي دور فِي توجيه وسياسة الأمة.

فالنظام البرلَماني فِي أصوله ومضامينه ونتائجه إنَّما ينتمي إلَى نظام لا ديني يَجحد سلطة الدين ابتداءً، ووسائل العمل الإسلامي لابد أن تكون إسلامية بعيدة عن الميكافيلية وألاعيبها وتبريراتِها، وشرف الغاية يفرض بالتالي إسلامية الوسيلة ونصاعتها، ولا يُمكن الفصل بين الغاية والوسيلة[٢].

---

(١) "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" (٣/١١٠).

(٢) "نظرات فِي مناهج الإخوان المسلمين" (ص ٩٤).

إن ما قاله بعض قادة الإخوان المسلمين، ونادى به فيما يتعلق بالحكم الدستوري، وأنَّهم لا يعدلون به نظامًا، ومناداتُهم بالديْمقراطية، وتشبيه ذلك بالإسلام إنَّما يدخل فيما يسميه العلماء: الشرع المبدَّل، وليس الشرع المنَزَّل.

وهذا يتنافى مع المطالبة بالحكم بالشريعة وتطبيقها، فكيف يطالبون الناس -حكامًا ومحكومين- بالعمل بالشرع وتطبيقه وهم يُخالفونه فِي جوانب كثيرة فِي العقيدة وفِي الحكم؟!

ثُمَّ إنَّهم من أجل تَحقيق الوصول إلَى الحكم عقدوا أحلافًا مع أحزاب علمانية فِي بعض البلدان العربية؛ بل لا مانع فِي دعوتِهم من التحالف مع العلمانية؛ لتحقيق أغراضهم(١).

مِمَّا يدل على أن دعوتَهم حزبية سياسية، وأن الشعارات الَّتِي ينادون بِها مثل قاعدة: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه". هذه القاعدة مع ما فيها من مُخالفة فإنَّهم لا يطبقونَها مع من يُخالفهم فِي توجههم، لاسيما مع أهل السنة السائرين على منهج السلف فضلاً عمن يطعنون فيه من الأحزاب والحكام، وإنَّما المقصود بِها: من يتعاون ويرضى بتنظيمهم ويسكت عن نقدهم.

يقول أحد منظري جَماعة الإخوان المسلمين، وهو جاسم المهلهل، يقول: "بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون فِي صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بِخططهم ونظامهم ولو كان أروع الدعاة فهمًا للإسلام وعقيدته، وأكثرهم

(١) كما سيأتي فِي نقد كتاب "الثوابت والمتغيرات".

قراءة للكتب، ومن أشد المسلمين حَماسًا وأخشعهم فِي الصلاة"[١].

إذن فالمسألة واضحة، إنَّها حزبية سياسية متسترة بالدين، ولذلك -ومع دعواهم العريضة: فهمهم للواقع وللسياسة- فهم دائمًا طليعة للفشل السياسي حَتَّى اليوم.

فشلوا فِي: سوريا، وفِي مصر، وفِي أفغانستان، وفِي الجزائر، وسيفشلون فِي السعودية -حرسها الله- لأنَّهم لَمْ يبنوا دعوتَهم على ما بنَى عليه الأنبياء دعوتَهم، وهي الدعوة إلَى التوحيد، وعبادة الله، والتحذير من الشرك.

ولَمْ يسلكوا ما سلكه الصحابة -رضوان الله عليهم-، ولَمْ يتمثلوا عقيدة أهل السنة والجماعة فِي جَميع أمورهم، وإنَّما أخذوا من هذه العقيدة ما رأوا أنه يناسب حالَهم، ويَخدم مصالحهم[٢]، وساروا فِي كثير من دعواتِهم ونظرهم للحكم على وفق ما يسميه العلماء الشرع المبدَّل، والله أعلم.

❋❋❋❋❋

---

(١) كتاب "للدعاة فقط" (ص ١٢٢).

(٢) **فهاهو عمر التلمساني المرشد الثاني للإخوان المسلمين قال فِي كتابه "شهيد الْمحراب" (ص ١٢٦)**: "... ولذا أرى أنِّي أميل إلَى الأخذ بالرأي القائل: أن رسول الله ﷺ يستغفر حيًّا وميتًا لِمن جاء قاصدًا رحابه الكريْم".

ويقول: "فلا داعي إذن للتشدد فِي النكير على من يعتقد فِي كرامات الأولياء، واللجوء إليهم فِي قبورهم الطاهرة، والدعاء فيها عند الشدائد". "شهيد الْمحراب" (ص ٢٣١).

٢- أبو الأعلى المودودي:

- أولاً: الخروج على المنهج الذي رَسَمه رسول الله ﷺ في بيان الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة:

قال في كتابه "تفهيمات" (ص ١٢) مستنبطًا من قول الله تعالَى -إخبارًا عن يوسف عليه السلام-: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ..﴾ [يوسف:٥٥] الآية: "إن هذه لَمْ تكن مطالبة لمنصب وزير المالية فقط؛ بل إنَّها كانت مطالبة للديكتاتورية، ونتيجة لذلك كان وضع سيدنا يوسف عليه السلام يشبه جدًّا وضع موسوليني في إيطاليا الآن".

وهذا انتقاص لنبي من أنبياء الله، وهو يوسف عليه السلام.

ويقول في كتابه "واجب الشباب" (ص١٥-١٦) -في معرض كلامه عن العلماء وبعدهم عن السياسة-، قال: "إن مهمتهم في حياتنا الاجتماعية المعاصرة لا تعدو وظيفة الفرملة في جهاز السيارة حيث يَحولون إلَى حدٍّ ما دون سرعة الحياة الاجتماعية".

- ثانيًا: الخروج على ولي الأمر، والمناداة بالانقلابات والثورات:

قال في كتاب "تذكرة دعاة الإسلام" (ص١٢):

"ودعوتنا لجميع أهل الأرض: أن يُحدثوا انقلابًا عامًّا في أصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملئوا الأرض فسادًا، وأن تنْزع هذه الإمامة الفكرية والعلمية من أيديهم حَتَّى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم

الآخر، ويدينون دين الحق، ولا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا". اهـ.

ويقول أيضًا في "الأسس الأخلاقية" (ص٢٢٠): "غاية الدين الحقيقية: إقامة نظام الإمامة الصالحة الراشدة".

فأنت ترى مناداة المودودي -رحمه الله- بإحداث الانقلاب من أجل الوصول إلَى الحكم وانتزاعه من الظَّلَمة، وجعل غاية الدين إقامة نظام الإمامة.

ومعلوم أن هذا المنهج وهذه الطريقة الَّتي ينادي بها المودودي ليست هي طريقة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فمسألة المسائل عند جَميع الأنبياء: هي التوحيد والإيْمان، قال الله تعالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل:٣٦].

﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

هذه هي مسألة المسائل، ومن أجلها دار الصراع بين الأنبياء والأمم الضالة، وأن غاية الدين الحقيقية والغاية من خلق الجن والإنس والغاية من بعثة الرسل وإنزال الكتب: هي عبادة الله، وإخلاص الدين له: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]. ومثل هذه المسالك الَّتي نادى بها المودودي وغيره من الحركيين السياسيين تفسد أكثر مِمَّا تصلح؛ لِمخالفتها لمنهج الأنبياء -عليهم السلام-.

ورد في كتاب "الشقيقان المودودي والخميني" (ص ٣)؛ قول المودودي:

"وثورة الخميني ثورة إسلامية، والقائمون عليها هم جَماعة إسلامية، وشباب تلقوا التربية الإسلامية في الحركات الإسلامية، وعلى جَميع المسلمين عامة، والحركات الإسلامية خاصة أن تؤيد هذه الثورة كل التأييد، وتتعاون معها في جَميع الْمَجالات".

كيف ينادي بِهذا مع أنه من المعلوم أنَّ هذه الدعوة، وهذه الثورة تَهدم الإسلام أصوله وفروعه؟!

وهذا دليل على عدم معرفة السنة من البدعة، والحق من الباطل، والضلال من الهدى عند المودودي، وإلا لَما طالب الحركات الإسلامية بتأييد هذه الثورة، ولكن القوم مولعون بالسياسة؛ فيهون عندهم من أجلها كل شيء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁❁❁❁❁

٣- سيد قطب، فكره وبعض ردود العلماء عليه:

١- تفسير كلام الله بالموسيقى والأنغام والأناشيد:

قال سيد قطب في كتابه "في ظلال القرآن" الطبعة الخامسة والعشرون (١٤١٧هـ) عند تفسيره لسورة النجم (٦/٣٤٠٤):

"هذه السورة في عمومها كأنَّها منظومة موسيقية علوية منغمة، يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها المقفاة".

وقال فِي تفسير سورة النازعات (٦/٣٨٨١):

"يسوقه فِي إيقاع موسيقي".

ثُمَّ قال بعد ذلك: "فيهدأ الإيقاع الموسيقي".

وقال سيد قطب فِي خاتمة كتابه "التصوير الفنِّي فِي القرآن" (ص٢٥٥) **قال:** "وأنا أجهر بِهذه الحقيقة الأخيرة، وأجهر معها بأنني لَمْ أخضع فِي هذا لعقيدة دينية تغل فكري عن الفهم"[١].

---

(١) **وقد ردَّ الشيخ ربيع على أخطاء سيد قطب وضلالاته فِي كتاب أسْمَاه: "نظرات فِي كتاب التصوير الفنِّي فِي القرآن الكريْم لسيد قطب" فقال:** "فماذا يبقى لِهذه المقدسات إذا تناولتها البحوث الفنية والعلمية تناولاً طليقًا من كل قيد؟ وكيف لا تصدم المقدسات ولا تُخدش مكانتها، وقد انفلت فِي هذه البحوث من كل قيد؟ فلا عقيدة تمسكه وتقيِّده، ولا أدب ولا احترام، ولا إجلال ولا هيبة لِهذه المقدسات".

ويقول الشيخ ربيع -معلقًا على قول سيد: "وأنا أجهر بِهذه الحقيقة .. إلخ"- يقول الشيخ: "والله لقد فعل الأفاعيل بسبب هذا الانفلات مهما زعم لنفسه من المزاعم، ومهما زعم له غيره من المزاعم أيضًا، إن عقيدة الإسلام لا تغل العقل والفكر بل هي:

١- تبصر العقل وتوجهه التوجيه الصحيح إلَى احترام الحق، وتَحري الحقائق والبحث عنها بتثبت وأناة وأدب.

٢- وتفك أسره من الخرافات والتقاليد والعقائد الفاسدة الَّتِي وقع فيها سيد قطب وأمثاله.

٣- وتُحطم أغلالَها وآصارها.

٤- وتضع للعقل حدودًا لا يِعداها بِخلاف ما يتصوره سيد قطب عنها".اهـ. (ص ٤٢٣).

والكتاب مفيد جدًّا، وقد رد على أخطاء سيد، وذكر أنه -أعنِي: سيدًا- بنَى هذا الكتاب على أصول فاسدة مدمرة، وهي:

١- قاعدة التصوير الفنِّي، وما يتبعها وما ينبع منها.

٢- اعتقاده أن الدين والفن صنوان.

٢- القول بِخلق القرآن:

قال فِي "الظلال" (٣٨/١) -متحدثًا عن القرآن-: "والشأن فِي هذا الإعجاز هو الشأن فِي خلق الله جَميعًا، وهو مثل صنع الله فِي كل شيء وصنع الناس".

وقال فِي "ظلاله" (٢٧١٩/٥) بعد أن تكلم عن الحروف المقطعة: "ولكنهم لا يَملكون أن يؤلفوا منها مثل هذا الكتاب؛ لأنه من صنع الله لا من صنع الإنسان".

٣- طعنه فِي نبي الله موسى عليه السلام:

قال فِي كتابه "التصوير الفنِّي فِي القرآن" (ص٢٠٠): "لنأخذ موسى، إنه مثال للزعيم المندفع العصبِي المزاج".

- قال سَماحة الشيخ عبد العزيز بن باز معلقًا على هذا الكلام: "الاستهزاء بالأنبياء ردة مستقلة"[1]. من شريط: "أقوال العلماء فِي مؤلفات سيد قطب"، تسجيلات منهاج السنة السمعية بالرياض.

٤- طعنه فِي الصحابة رضي الله عنهم:

قال فِي كتابه "العدالة الاجتماعية" (ص ٢٠٦):

"ونَحن نَميل إلَى اعتبار خلافة علي رضي الله عنه امتدادًا طبيعيًّا لِخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان كان فجوة بينهما". نسأل الله العافية.

فإذا لَمْ يرضَ عن خلافة عثمان رضي الله عنه، وهي خلافة راشدة فعن أي خلافة

---

(١) الْحُكم على المقال، وليس على المعين.

يرضى؟! وأي حكم يريد هو وأتباعه يُحكم به المسلمون؟!

قال فِي "كتب وشخصيات" (ص٢٤٢):

"إن معاوية وزميله عمرًا لَمْ يغلبا عليًّا؛ لأنَّهما أعرف منه بذخائر النفوس، وأخبر منه بتصرف نافع فِي الظرف المناسب، ولكن لأنَّهما طليقان فِي استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه فِي اختيار وسائل الصراع، وحين يركن معاوية وزميله إلَى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم، لا يَملك علي أن يتدلَّى إلَى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب أن ينجحا ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نَجاح".

قال الشيخ ابن باز -رحِمه الله- معلقًا على هذا الكلام: "كلام قبيح، هذا كلام قبيح، سب لِمعاوية، وسب لعمرو بن العاص".

وقال عن هذه الكتب: "ينبغي أن تُمزَّق". من شريط: "أقوال العلماء فِي مؤلفات سيد قطب"، تسجيلات منهاج السنة فِي الرياض.

٥- القول بوحدة الوجود:

قال فِي الظلال عند تفسير سورة الإخلاص (٦/٤٤٠٢):

"إنه أحدية الوجود، فليس هناك حقيقة إلا حقيقته، وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده، وكل موجود آخر فإنَّما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية، وهي من ثَم أحدية الفاعلية، فليس سواه فاعل لشيء أو فاعلاً فِي شيء فِي هذا الوجود أصلاً، وهذه عقيدة الضمير، وتفسير للوجود أيضًا".

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- ردًّا على سؤال عن تفسير الظلال في مَجلة الدعوة عدد (١٥٩١) في (١٤١٨/١/٩هـ)؛ فكان في جوابه: "قرأت تفسيره لسورة الإخلاص، وقد قال قولاً عظيمًا فيها مُخالفًا لِما عليه أهل السنة والجماعة؛ حيث إن تفسيره لَها يدل على أنه يقول بوحدة الوجود، وكذلك تفسيره للاستواء بأنه الْهيمنة والسيطرة".

٦- تفسيره الاستواء بالْهَيمنة:

قال في تفسير سورة طه (٢٣٢٨/٤) عند قوله تعالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]؛ **قال:** "وهو المهيمن على الكون كله". ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾: "والاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء".

قال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- معلقًا على كلامه: "معناه: إنكار الاستواء المعروف، وهو العلو على العرش، وهذا باطل يدل على أنه مسكين ضائع في التفسير". من شريط: "أقوال العلماء في مؤلفات سيد قطب"، تسجيلات منهاج السنة في الرياض.

٧- وصفه الله سبحانه بالالتفات:

قال في الظلال (٣٩٣٦/٦):

"إن الله ﷻ العظيم، الجبار، القهار، المتكبر، مالك الملك كله قد تكرَّم في عليائه فالتفت إلَى هذه الخليقة المسماة بالإنسان".

٨- رده لأحاديث الآحاد في العقيدة:

قال في الظلال (٤٠٨٠/٦): "وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بِها في أمر العقيدة،

والمرجع هو القرآن".

٩- تكفيره للمجتمعات الإسلامية، والتربية على الانقلابات:

١- قال فِي الظلال (٤/٢١٢٢):

"إنه ليس على وجه الأرض دولة مسلمة ولا مُجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي".

ومعنَى كلامه: أن بلاد الحرمين الَّتِي تُحكِّم شرع الله ليست دولة مسلمة.

٢- وقال فِي الظلال (٣/١٦٣٤):

"إن المسلمين الآن لا يُجاهدون؛ ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون، إن قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين هي الَّتِي تَحتاج اليوم إلَى علاج".

٣- وقال فِي الظلال (٢/١٠٥٧):

"ولقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلَى البشرية بـــ لا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلَى عبادة العباد، وإلَى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منه يردد على المآذن لا إله إلاَّ الله"[1].

٤- وقال أيضًا فِي الظلال (٤/٢٠٠٩):

"إن هذا الْمُجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو الْمُجتمع المسلم".

٥- قال فِي العدالة الاجتماعية (ص ١٦٠):

"وأخيرًا ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحق والباطل، والخير

---

(١) فهو قد حكم بالردة حَتَّى على من يرفع شهادة أن لا إله إلا الله.

والشر؛ ولكن لابد لِمن ينظر إلَى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإسلام، أن يقرر أن تلك الثورة فِي عمومها كانت فورة من روح الإسلام".

٦- قال فِي الظلال (٣/١٤٥١):

"ولعله تبيَّن لك مِمَّا أسلفنا: أنَّ غاية الجهاد[١] فِي الإسلام هي هدم النظم المناقضة لِمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام فِي مكانِها، واستبدالها بِها، وهذه المهمة، مهمة إحداث انقلاب[٢] إسلامي عام غير منحصر فِي قطر دون قطر[٣].

بل مِمَّا يريده الإسلام ويضعه نصب عينيه: أن يَحدث هذا الانقلاب الشامل فِي جَميع المعمورة، هذه غايته العليا ومقصده الأسْمى الذي يطمح إليه ببصره، إلا أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع فِي مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظم الحكم فِي بلادهم الَّتي يسكنونَها"[٤].

---

(١) **الغاية من الجهاد**: إعلاء كلمة الله كما جاء ذلك فِي الأحاديث الصحيحة.

(٢) وهذه طريقة الثورات.

(٣) هذا تأكيد لِما سبق من تكفيره لِجميع المسلمين بدون استثناء حَتَّى من يطبق الشريعة لَمْ يستثنه؛ لأنه يريد شيئًا فِي ذهنه، ولا يُمكن تطبيقه فِي الواقع العملي، فحتَّى خلافة عثمان ﷺ -وهي خلافة راشدة- لَمْ يرض عنها، فأي شيء يرضيه هو وأتباعه؟ لا شك أنَّهم لا يرضون إلا أن يكونوا هم الحكام دون بقية العالَم.

(٤) وهذه دعوة للشباب المسلم فِي كل بلد أن يثوروا على حكامهم، ويَخرجوا عليهم وعلى مُجتمعاتهم، والنتيجة من هذا الفكر: هي الفوضى والدمار، كما يشاهد الآن فِي بعض بلاد المسلمين.

٧- وقال فِي "العدالة الاجتماعية" (ص٢١٠):

"لابد من إدراك البواعث الحقيقية لتصرفات الناس، من خلال هذه الحياة التاريْخية الإسلامية وعلاقة هذه البواعث بالحوادث والتطورات والانقلابات، ولابد من ربط هذا كله بطبيعة العقيدة الإسلامية، وما فيها من روح ثورية".

هكذا يزكي زعيم جَماعات الإخوان المسلمين قتلة عثمان ﷺ ويُحرض على إثارة الفتن وسفك الدماء فِي بلاد الإسلام، وينسب ذلك إلَى الإسلام، وسلفه فِي ذلك: هم الخوارج الضُّلاَّل، فأي جَماعة هذه؟!!

ونتيجة لِما تقدم: فإن سيد قطب وضع خطة للاغتيالات ونسف المنشآت كما فِي كتابه "لِماذا أعدموني" (ص ٥٥)، فبعد كلام طويل يقول: "وهذه الأعمال هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم بإزالة رءوس فِي مقدمتها: رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس الحربِي، ثُمَّ نسف المنشآت الَّتِي تشل حركة مواصلات القاهرة لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفِي خارجها كمحطة الكهرباء والكباري".

فأولاً: إرهاب فكري.

ثُمَّ ثانيًا: تلاه إرهاب حسي، مِمَّا يدل دلالة واضحة أن بعض كتب سيد قطب قد وضعت الأساس للفكر الخارجي الإرهابِي التدميري فِي هذا العصر، وأنَّها خلاصة لِما كان يعتقده الخوارج قديْمًا، وإنه ما لَمْ يُتنبه لِهذا الفكر الخطير الْمَبثوث فِي كتب هذا الرجل وأتباعه، فإن عواقبه على المسلمين

ستكون وخيمة[١].

١٠- جعله الخلاف فِي قضية الربوبية:

قال فِي الظلال عند تفسيره سورة هود (١٨٤٦/٤):

"فقضية الألوهية لَمْ تكن مَحل خلاف!! إنَّما قضية الربوبية هي الَّتِي كانت تواجهها الرسالات، وهي الَّتِي كانت تواجهها الرسالة الأخيرة"[٢].

١١- الإسلام فِي نظره يصوغ مزيْجًا من النصرانية والشيوعية:

قال فِي كتابه "المعركة" (ص٦١): "ولابد للإسلام أن يَحكم؛ لأنه العقيدة

---

(١) وقد رد علماء السنة فِي هذا العصر على ضلالات سيد قطب، ومن هؤلاء العلماء: ابن باز، وابن عثيمين، والألباني، والفوزان، واللحيدان، والغديان، والعبَّاد، وحَماد الأنصاري، وأحمد النجمي، وربيع المدخلي، وصالِح بن عبد العزيز آل الشيخ، وعبد الله مُحمَّد الدويش، وعبيد الجابري، وزيد المدخلي، وغيرهم. انظر: كتاب "براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة" جَمع: عصام السناني، راجعه: الشيخ العلامة صالِح الفوزان، وقرأه وأثنَى عليه: الشيخ مُحمَّد الصالِح العثيمين -رحمه الله-.

وقد ألَّف العلامة الشيخ ربيع المدخلي خَمسة كتب فِي الرد على سيد، وهي:

١- "أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب".

٢- "مطاعن سيد قطب فِي الصحابة".

٣- "الحد الفاصل بين الحق والباطل".

٤- "العواصم مِمَّا فِي كتب سيد قطب من القواصم".

٥- "نظرات فِي كتاب التصوير الفنِّي فِي القرآن لسيد قطب".

(٢) ثُمَّ يأتِي أحد المتأثرين به من أبناء هذه البلاد، فيقول منكرًا من القول وزورًا، وهو قوله: "إنه لَمْ يتكلم أحد فِي معنَى شهادة أن لا إله إلا الله مثل سيد قطب"!! أو كلامًا نَحو هذا.

الوحيدة الإيْجَابية الإنشائية الَّتي تصوغ من المسيحية والشيوعية معًا مزيْجًا كاملاً يتضمن أهدافهما جَميعًا، ويزيد عليهما: التوازن والتناسق والاعتدال".

وقد سئل الشيخ مُحمَّد بن صالِح العثيمين عن هذا الكلام فقال:

"**نقول له**: إن المسيحية دين مبدَّل مغيَّر من جهة أحبارهم ورهبانِهم، والشيوعية دين باطل لا أصل له فِي الأديان السماوية، والدين الإسلامي دين من الله ﷻ منَزل من عنده لَمْ يبدَّل -ولله الحمد- قال الله تعالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]. ومن قال: إن الإسلام مزيج من هذا وهذا؛ فهو إما جاهل بالإسلام، وإما مغرور بِما عليه الأمم الكافرة من النصارى والشيوعيين". كتاب "العواصم" للشيخ ربيع بن هادي -حفظه الله- (ص ٢٢).

١٢- القول بِحرية العقيدة:

قال فِي كتابه "دراسات إسلامية" (ص ١٣):

"سواء كانت ثورة على طاغوت التعصب الدينِي، وذلك من إعلان حرية الاعتقاد فِي صورتِها الكبرى، قال تعالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال تعالَى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٩٩]. لقد تَحطم طاغوت التعصب الدينِي لتحل مَحله السماحة المطلقة، بل لتصبح حِماية حرية العقيدة وحرية العبادة واجبًا مفروضًا على المسلم لأصحاب الديانات الأخرى فِي الوطن الإسلامي".

وقد سئل فضيلة الشيخ مُحمَّد العثيمين -رحِمه الله-: نسمع ونقرأ كلمة "حرية الفكر" وهي دعوى إلَى حرية الاعتقاد، فما تعليقكم على ذلك؟

فأجاب: "تعليقنا على ذلك: أن الذي يُجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد يعتقد ما شاء من الأديان؛ فإنه كافر؛ لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يتدين بغير دين مُحمَّد ﷺ؛ فإنه كافر بالله ﷻ يستتاب، فإن تاب وإلا وجب قتله". من "مَجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ مُحمَّد العثيمين" (٣/٩٩).

١٣- العبادة عنده ليست وظيفة حياة:

قال فِي "معركة الإسلام والرأسْمَالية" (ص٥٢):

"والإسلام عدو التبطل باسم العبادة والتدين، فالعبادة ليست وظيفة حياة، وليس لَها إلا وقتها المعلوم".

١٤- وشهد شاهد من أهله:

١- يشهد على سيد قطب وتكفيره الْمُجتمعات الإسلامية: يوسف القرضاوي "الإخوانِي" فِي كتابه "أولويات الحركة الإسلامية" (ص١١٠) **حيث قال:**

"فِي هذه المرحلة ظهرت كتب سيد قطب الَّتِي تُمثل المرحلة الأخير من تفكيره الَّتِي تنضح بتكفير الْمُجتمع ... وإعلان الجهاد الْهُجومي على الناس كافة".

٢- وقال فريد عبد الخالق -أحد قادة الإخوان- فِي كتابه "الإخوان المسلمين فِي ميزان الحق" (ص١١٥):

"إن نشأة فكرة التكفير بدأت بين بعض شباب الإخوان فِي سجن القناطر فِي أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات، وأنَّهم تأثروا بفكر سيد قطب

وكتاباته، وأخذوا منها: أن الْمُجتمع فِي جاهلية، وأنه قد كفر حكامه الذين تنكَّروا لِحاكمية الله بعدم الحكم بِما أنزل الله ومَحكوميهم إذا رضوا بذلك".

٣- كما قال علي عشماوي فِي كتابه "التاريخ السري للإخوان المسلمين" (ص ٨٠): "وجاءنِي أحد الإخوان، وقال لِي: إنه سوف يرفض أكل ذبيحة المسلمين الموجودة حاليًا، فذهبت إلَى سيد قطب، وسألته عن ذلك، فقال: دعهم يأكلونَها ويعتبرونَها ذبيحة أهل الكتاب، فعلى الأقل المسلمون اليوم هم أهل كتاب"!!

٤- وقال علي عشماوي فِي الكتاب نفسه (ص ١١٢)، وهو يصف زيارته لسيد قطب ومقابلته له: "وجاء وقت صلاة الجمعة، فقلت لسيد قطب: دعنا نقم ونصلي، وكانت المفاجأة أن علمت -ولأول مرة- أنه لا يصلي الجمعة، وقال: إنه يرى أن صلاة الجمعة تسقط إذا سقطت الخلافة، وأنه لا جُمعة إلا بِخلافة"!!

❁❁❁❁❁

٤- محمد قطب:

ما يقال عن سيد قطب يُقال عن أخيه مُحمَّد؛ فهو الذي تولَّى نشر كتب سيد قطب وطبعها بالعشرات، مع عدم التحذير من أي شيء مِمَّا حوته من أخطاء؛ مِمَّا يدل دلالة واضحة عن رضاه بِمضمونِها، بل ونشر ذلك، لكن مُحمَّد قطب لَمْ يكن صريْحًا مثل أخيه، بل كثيرًا ما يؤوِّل، ويُجمل فِي كلامه،

ويتجنب التفصيل فِي طرح ما يراه، وهو من كبار منظري الإخوان القطبيين، وكتابه "واقعنا المعاصر" خير شاهد على ذلك[١].

فتجد أنه بعدما أشاد بدعوة حسن البنا وقوتها وانتشارها، ينتقد الاستعجال فيها، وليس فِي منهجها، فيقول: "كانت الثغرة الأولَى: هي الاستعجال فِي التجميع الجماهيري قبل موعده الذي ينبغي أن يَجيء فيه"[٢].

وكان يركز على التربية حَتَّى تتكون القاعدة حيث يقول: "أما الذين يسألون إلَى متَى نظل نربِّي دون أن نعمل؟ فلا نستطيع أن نعطيهم موعدًا مُحددًا، فنقول لَهم: عشر سنوات من الآن، فهذا رجم بالغيب لا يعتمد على دليل واضح، وإنَّما نستطيع أن نقول لَهم: نظل نربِّي حَتَّى تتكون القاعدة المطلوبة بالحجم المعقول .."[٣].

---

(١) فقد حوى الكثير من البلايا والطامات.

(٢) "واقعنا المعاصر" (ص ١١).

(٣) المرجع السابق (ص ٤٨٦).

وانظر: كتابه "لا إله إلا الله عقيدة ومنهجًا" (ص ١٧٤) كيف غمز فِي علماء الكتاب والسنة، واستهجن عمل من يقوم بتحقيق الْمَخطوطات؛ لأنه لا يريد أن يضيع وقته فِي مواجهة الفرق العقدية القديْمة بزعم اندراسها، ومع ذلك أصر على الرد على المرجئة، وهي فرقة قديْمة، وأثر على بعض تلاميذه فِي المملكة من أجل أن ينفر الشباب السلفي من علمائهم بسبب أن علماء هذه البلاد يُفصِّلون فِي قضية الحكم بغير ما أنزل الله، ولا يكفِّرون مطلقًا، ويرون أن التكفير لا يوقع على المعين حَتَّى تتم فيه الشروط الموجبة للتكفير، وتنتفي الموانع، ومن هنا صار هو وأتباعه المتأثرون بفكره وفكر أخيه =

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما مقصوده بالعمل؟ أليست التربية عمل؟!

والْجَواب: أنه يظهر أنه يريد عملاً خاصًّا! وليس ثَمةَ إلا الخروج على الأنظمة الحاكمة وأهلها.

❁❁❁❁❁

٥- صلاح الصاوي:

صاحب كتاب "جَماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها"، وصاحب كتاب "الثوابت والمتغيرات"، وهو على منهج سيد قطب.

يقول الصاوي: "أما القطبيون فقد قام منهجهم ابتداءً على بلورة قضية التشريع، وبيان صلتها بالدين، وبيان أن الخلل الذي يغشى أنظمة الحكم فِي مُجتمعاتنا المعاصرة ناقض لعقد الإسلام، وهادم لأصل التوحيد، ومعلوم أن الكتب الَّتِي تُمثل هذا الاتِّجاه وتعبر عن منهجه هي كتب سيد قطب -رحِمه الله- فِي مَجال الدعوة والمخاطبة العامة، وكتاب "حد الإسلام" للأستاذ عبد الْمَجيد الشاذلِي فِي مَجال التأصيل والتنظير"[1].

وسيأتِي بسط الكلام على بعض طروحاته وأفكاره الَّتِي مَجَّد فيها الحركات الَّتِي يسميها الجهادية، ونال فيها من أهل السنة والجماعة السائرين

يطلقون على من يقول بالتفصيل من أهل العلم -التفصيل الذي تقتضيه الأدلة- صاروا يطلقون عليهم صفة الإرجاء تنفيرًا منهم، فليتنبه لِهذا الأمر.

(١) "مدى شرعية الانتماء إلَى الأحزاب والجماعات الإسلامية" (ص ١٧١).

على منهج السلف حَتَّى وإن زعم أنه من أهل السنة والجماعة، ويتكلم بلسان حالِهم ومقالِهم، سيأتِي الكلام على ذلك فِي نقد بعض مؤلفاته، ومنها: "الثوابت والمتغيرات".

ويُعتبر صلاح الصاوي من منظري جَماعة الإخوان المسلمين القطبيين مثله مثل مُحمَّد قطب، ويَميل فِي طرحه إلَى العموم والإجْمال، وأخطر ما فِي كتاباته هو ومُحمَّد سرور، ومُحمَّد أحمد الراشد، وعبد الرحمن عبد الخالق: أنَّهم يطرحونَها للناس باسم أهل السنة والجماعة، ومعتقد أهل السنة والجماعة، وباسم السنة، وأحيانًا باسم منهج السلف الصالِح، مِمَّا جعل كتاباتِهم تروج وينخدع بِها من لا علم له عنده بالمنهج الصحيح للسلف الصالِح.

❁❁❁❁❁

٦- محمد أحمد الراشد[1]:

صاحب المؤلفات التالية:

"العوائق والرقائق"، و"المنطلق" و"المسار"، و"صناعة الحياة"، و"سلسلة رسائل العين".

ومن أقواله: "الدعوة دار لَها داخل وظاهر، فالظاهر يسع كل أمة مُحمَّد ﷺ؛ لكن الداخل وهو مأوى الأشداء الثقات النبلاء الأمناء فقط؛لأنه

---

(١) هذا اسم حركي، وإلا فاسمه: "عبد المنعم بن صالِح العلي العزي" عراقي الجنسية، كان يقيم فِي دولة الإمارات.

موطن اتِّخاذ القرار، واتِّخاذ الخطة والأسرار ... إلخ كلامه"[١]، الذي يفيد التنظيم السري المدمر.

ومثله: ما ذكره فِي سلسلة رسائل العين، الرسالة الثانية، (ص٣٦، ٣٧، ٤٠)، **وما ذكره فِي كتابه المسار،** (ص ١٤٥) **حيث قال:**

"فإن الناشئة هم المورد الرئيس للتوعية الصلبة، ولسنا نعنِي: الصغير الذي يتعب وإلا لتحولت الدعوة إلَى رياض أطفال، وإنَّما هم الذين ناهزوا الحلم، ننتقي منهم العفيف، المؤدب، الاجتماعي، المخالط، الرياضي، المتحرك، الْمُجد فِي دراسته، فتحبب لَهم لزوم المساجد، وتدعهم يتبارون فِي فرق ألعاب، وترحل بِهم فِي الضواحي الخضراء، حَتَّى إذا رشد أحدهم، وكان على أبواب الْجَامعة؛ وجدته داعية وافر العفة والحياء دون هواجس تساورك نَحوه". اهـ.

ومُحمَّد أحمد الراشد مثله مثل الصاوي ومُحمَّد قطب وغيرهما من منظري الإخوان القطبيين، وما يقال عنهما يقال عنه، والرد على كتب الصاوي يغنِي عن الرد على كتب الراشد؛ إذ إنَّها متفقة فِي معظم معانيها، وإن اختلفت أساليبها وكيفية طرحها.

❋❋❋❋❋

٧- محمد سرور بن نايف زين العابدين:

١- قال فِي مَجلة "السنة"، عدد (٢٦) **سنة** (١٤١٣هـ) **حيث كفَّر الحكام قاطبة**

---

(١) "صناعة الحياة" (ص ١١٣).

بلا استثناء، قال: "من خلال هذه الفقرات المختارة يفهم القراء كثيرًا مِمَّا يَجري فِي عالَمنا الإسلامي، هذا وللعبودية طبقات:

* **الطبقة الأولَى:** يتربع على عرشها رئيس الولايات المتحدة "بوش"، وقد يكون غدًا كلينتون.

* **والطبقة الثانية:** هي طبقة الحكام فِي البلدان العربية، وهؤلاء يعتقدون أن نفعهم وضرهم بيد بوش؛ ولِهذا فهم يَحجون إليه، ويقدِّمون إليه النذور والقرابين.

* **والطبقة الثالثة:** حاشية الحكام العرب من الوزراء ووكلاء الوزارات وقادة الجيش، والمستشارون، فهؤلاء ينافقون لأسيادهم، ويزينون لَهم كل باطل دون حياء ولا خجل ولا مروءة.

* **والطبقة الرابعة والخامسة والسادسة:** كبار الموظفين عند الوزراء، وهؤلاء يعلمون أن الشرط الأول من أجل أن يترفعوا: النفاق، والذل، وتنفيذ كل أمر يصدر إليهم". اهـ.

يريد أن يقول: أنَّهم كفار فلا سَمع لَهم ولا طاعة، ولكن لو قُلِبَ الأمر عليه، وقيل: ما ذكرته من تعلق حكام البلاد العربية ببوش ينطبق عليك لتعلقك بِحاكم بريطانيا "بلير" ومن كان قبله، ألست أنت وأعوانك وأمثالك تعيشون تَحت كنفهم وتستظلون برايتهم وتتحاكمون إلَى أنظمتهم وتستعينون بِهم؟!!

٢- ثُمَّ خص حكام البلاد السعودية بِمزيد من التكفير، حيث قال فِي مَجلة

السنة عدد (٤٣) عام (١٤١٥هـ) (ص٢٧-٢٩):

"قال صاحبِي: ما رأيك فِي هذا القول: لو سَلِم أبناء عبد العزيز من البطانة العلمانية الَّتِي تُحيط بِهم؛ لَما كانت الأمور بِهذا السوء.

قلت: يا أبا .... هم أخبث من بطانتهم العلمانية، فلماذا يقع اختيارهم على الفاسدين والعلمانيين والمنافقين دون غيرهم؟ ولِهذا فإنِّي أقول: إن أولاد عبد العزيز أخبث من بطانتهم؛ لأن عقائد الطرفين واحدة".اهـ.

ومن المعلوم: أن العلمانية كفر والعلمانيين كفار، فإذا كان ذلك كذلك، فإن من كان أخبث من العلمانيين فهو أشد كفرًا منهم، وهو يريد أن يؤلب الناس للخروج عليهم.

ولكن السؤال: كيف خفي هذا الكفر على العلماء الكبار الذين بايعوا أولئك الحكام، وسَمعوا لَهم، وأطاعوهم فِي غير معصية الله، وتنبه له هذا المبتدع الذي يربض فِي بريطانيا؟!!

٣- ثُمَّ خص علماء البلاد السعودية بِمزيد من التكفير أيضًا حيث قال فِي مَجلة السنة، العدد (٢٦) قال: "لقد كان الرق فِي القديْم بسيطًا؛ لأن للرقيق سيدًا مباشرًا، أما اليوم فالرق معقد، ولا ينقضي عجبِي -تنبه- من الذين يتحدثون عن التوحيد، وهم عبيد عبيد عبيد عبيد العبيد وسيدهم الأخير نصرانِي".

ليس هناك كلام أخبث ولا أقل أدبًا من مثل هذا الكلام الذي يدل على صدأ معدن قائله، فهو يقول: "يتحدثون عن التوحيد". أي: أنَّهم ليسوا

من أهله، وإنَّما هم متحدثون عنه، فلو كانوا موحدين ما كان سيدهم الأخير نصرانيًّا.

قلت: وما ذكره مُحمَّد سرور عن حكام البلاد السعودية وعلمائها وتكفيره لَهم لا يُستغرب من مثله[1]، فهو مَجنون "سيد قطب"، وقد طعن سيِّده: سيد قطب فِي نبِي الله موسى عليه السلام، وطعن فِي الصحابة وخاصة عثمان، ووصف عمرًا ومعاوية بالغش والكذب والخداع والنفاق، ولَمْ يعترف بإسلام بنِي أمية، وكفَّر الْمُجتمعات قاطبة كما تقدم النقل عنه.

ومع ذلك يقول عنه مُحمَّد سرور: "لا أعرف كاتبًا فِي العصر الحديث عرض مشكلات العصر كسيد -رحِمه الله- فقد كان أمينًا فِي عرضها، ووضع الحلول المناسبة لعلاجها، كان بعيدًا عن الغلو، وكانت أدلته من

---

(١) **من المعروف عن مُحمَّد سرور**: تكفيره لِمرتكب الكبيرة، فقد قال فِي كتابه "منهج الأنبياء فِي الدعوة إلَى الله" (ص ١٨٥) قال عن قوم لوط: "لأن قومه لو استجابوا إلَى دعوته إلَى الإيْمان بالله وعدم الإشراك به؛ لَما كان لاستجابتهم له أي معنًى إذا لَمْ يقلعوا عن عاداتِهم الخبيثة الَّتِي اجتمعوا عليها ..". وهذا واضح فِي التزامه مذهب الخوارج.

ويقول فِي (ص ١٥٩) وهو يتحدث عن اللواط: "ثَمة أمر لابد من التنويه إليه: وهو أن كل نبِي بعثه الله لهداية قومه، وإصلاح ما فسد من أخلاقهم، وهذا يقتضي أن يتصدى النَّبِي لعلاج ومواجهة أخطر المشكلات مهما كلفه من التضحيات، وهذا يُخالف سلوك بعض الدعاة فِي عصرنا الذين يُعالجون قضايا عفا عليها الزمن".

قال هذا من أجل التهوين من منهج السلف فِي التحذير من الشرك، ثُمَّ هو قد وصف كتب العقيدة بأنَّها جافة، وغير ذلك من الضلالات، والعياذ بالله.

الكتاب والسنة وأقوال الأئمة ... إلَى أن قال: ولَمْ يكن من المؤمنين بِمنهج الخروج، وكتبه تشهد بذلك".

ومُحمَّد سرور لابد أن ينفي عن سيد الاتِّصاف بِمنهج الْخَوارج؛ لأنه إذا ثبت ذلك على سيد، فإنه ثابت على مُحمَّد سرور، فتبرئته لسيد من أجل أن يبرأ هو من منهج الْخَوارج، لكن سيد قطب قد يكون له بعض العذر[1]، وهو الْجَهل كما ذكر العلماء الذين انتقدوا كتبه ومؤلفاته، ولكن ما عذر مُحمَّد سرور إلا اتباع الْهَوى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص:٢٦].

والغريب العجيب: أن مُحمَّد سرور يدَّعي هو وأشياعه[2] أنَّهم على منهج أهل السنة والْجَماعة، بل يدَّعون أحيانًا أنَّهم على منهج السلف، ومع ذلك حاربوا علماء السنة فِي هذا العصر أشد الْمُحاربة، وفِي الوقت نفسه لَمْ نَجد لَهم موقفًا واحدًا يرد أباطيل وضلالات سيد قطب، بل وجُد منهم التمجيد له والثناء عليه كما تقدم!

فكيف تصح دعواهم بأنَّهم من أهل السنة والْجَماعة ومن أتباع السلف، وهم يهدمون عقيدة أهل السنة والجماعة، ويهدمون القواعد الَّتِي سار عليها علماء السلف؟!

---

(١) فِي عدم القول بتكفيره.

٨- عبد الله ناصح علوان:

يقول فِي كتابه "العقبات" (٣١٢/١):

"أن تعمل كل جَماعة فِي مَجال اختصاصها فِي تربية الجيل المسلم وتكوينه؛ على أن يعملوا فيما اتَّفقوا عليه، ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه .. فهذه تدعو إلَى تزكية النفوس، وأخرى تقوم بِمهمة التثقيف والتعليم، وثالثة تَخوض غمار العمل السياسي حتَّى يتمم بعضه بعضًا فِي تكوين الشخصية الإسلامية".

قلت: قد تقدم الكلام عن هذه القاعدة: "العمل فِي المتفق عليه، والعذر فِي المختلف فيه".

ويقول فِي كتابه "العقبات" (٤٨٤/٢):

"فالتربية على الانضباط هي إعطاء الولاء لقيادة الجماعة، وتنفيذ أوامرها، والتزام كل ما يصدر عنها دون أن يكون فِي الشباب تردد، ودون أن يعتريهم فتور".

فجعل الولاء والانقياد للجماعة وليس لولِي الأمر.

يقول فِي كتابه "العقبات" (٥٩٦/٢):

"حين تُبتلي الحركة الإسلامية بِحاكم إرهابِي لا دينِي متسلط يعتقل الدعاة؛ تكون الخطة على الشكل الآتِي:

١- الاقتصار فِي تبليغ الدعوة على السر، وذلك بالدعوة الشخصية والاتصال الفردي.

٢- الانتماء الظاهري إلَى الجماعات الَّتي تعتنِي بالتربية الروحية، وتقصر دعوتَها على تزكية النفوس.

٣- العمل الدائب والسعي الحثيث؛ ليصل الداعية إلَى استلام درس فِي مسجد أو خطبة فِي منبر أو التعليم فِي مدرسة".

وهذه من الطرق الَّتي يربون عليها الأتباع، وانظر النقول المتقدمة عنه فِي مبحث: "الخطط والمناهج الَّتي رسَمها الإخوان لأتباعهم من أجل إيْجاد الدولة المزعومة" ففيها غنية عن التكرار.

❁❁❁❁❁

٩- عبد الرحمن عبد الخالق:

قوله فِي "تنبيهات وتعقيبات" (ص ١١):

"... غير أنه قد قامت مَجموعة أخرى من الذين اتَّخذوا لَهم منهجًا فِي جَمع ما يظنونه من أخطاء لكل عالِم، أو داعية، أو طالب علم، ونشرها بين الناس من أجل تنفير الناس عنه، وتَحذيرهم منه، وسَموا منهجهم هذا: منهج أهل السنة فِي نقد الرجال".

- **قلت**: وهذا انتقاد للمنهج الصحيح الذي سار عليه علماء السنة من قديْم، وهو الرد على المبتدعة.

وقال فِي كتابه "خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية" (ص٧٢-٧٣):

"إن دولنا العربية والإسلامية بوجه عام لا ظل للشريعة فيها إلا فِي

بعض ما سُمي بالأحوال الشخصية، وأما المعاملات المالية والقوانين السياسية، والقوانين الدولية: فإن دولنا جَميعها -بلا استثناء- خاضعة لتشريع الغرب والشرق، وكذلك قوانين الجرائم الخلقية، والحدود مستوردة مفتراة" ... إلَى آخر ما قال (ص ٧٨).

وهذا تكفير لدول وشعوب وتأليب على الخروج اتباعًا لِمنهج سيد قطب، ولذا لَمْ يستثن بلدًا من البلدان الإسلامية مثله مثل سيد قطب.

قال فِي كتاب "الشورى فِي ظل نظام الْحُكم الإسلامي" (ص٣٢-٣٣):

"وأما حكم التعدد للجماعات الإسلامية، فالحق أنه راجع لطبيعة الجماعات وأعمالِها وظروف الْمُجتمعات الَّتي تعيش فيها، فالمصلحة الشرعية تُحتم أحيانًا التعدد فِي الْمُجتمع الواحد، وتُحتم أحيانًا التوحد والاجتماع، وتُجيزه أحيانًا أخرى".

وهذا مُخالف لِما دلت عليه الأدلة من وجوب الاجتماع وترك الفرقة والاختلاف.

وقال فِي "خطوط رئيسية" (ص٧٦-٨٧) **ساخرًا من علماء السنة والتوحيد:**

"واليوم -للأسف- نَملك شيوخًا يفهمون قشور الإسلام على مستوى عصور قديْمة تغير بعدها نظام حياة الناس وطرائق معاملاتهم ... وما قيمة عالِم بالشريعة لو دعي إلَى نداء الجهاد وحمل السلاح يقول: ليس هذا من شأن رجال الشريعة، إننا نستطيع فقط الفتوى فِي الحلال والحرام والحيض والنفاس والطلاق؟

إننا نريد علماء على مستوى العصر علمًا، وثقافة، وأدبًا، وخلقًا، وشجاعة، وإقدامًا، وفهمًا لأساليب الكيد والدس على الإسلام، ولا نريد هذا الطابور من العلماء الْمُحنطين الذين يعيشون بأجسادهم فِي عصرنا؛ ولكنهم يعيشون بعقولِهم وفتاواهم فِي غير عصورنا".

❋❋❋❋❋

١٠- يوسف القرضاوي:

١- قال فِي مَجلة البعث الإسلامي، عدد (٣) (ص ٥٧) **فِي معرض كلامه عن دعوة الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- قال:** "ولكنها لَمْ تُعرف بالتجديد والاجتهاد لِهذا سَماها د/ مُحمَّد عمارة: "السلفية النصوصية". يقصد بالنصوصية: الحرفية فِي فهم النصوص ... وقد يكون عذر هذه الحركة: أنَّها نشأت فِي مُجتمع بسيط بعيد عن معترك الحضارة تغلب عليه حياة البداوة".

قلت: فما التجديد الذي يريده القرضاوي فِي العقيدة والمنهج؟! أيريد تَجديد الدين بِمعنَى هدم العقيدة والعبادة، وترك ما كان عليه السلف الصالِح من أهل القرون المفضلة ومن تبعهم؟!

إن هذا الكلام المقصود به بالدرجة الأولَى: انتقاص علماء السلف عمومًا، والعلماء المعاصرين من أتباع دعوة الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب على وجه الخصوص؛ تَمهيدًا ليقبل الناس دعوة الإخوان، والسبب فِي ذلك: هو الغلو السياسي.

ولذا يقول القرضاوي فِي كتابه "أين الْخَلل" (ص٢٤): "كما أن مشكلة علماء اليوم أنَّهم أصبحوا موظفين لدى الحكام، فهم الذين يَملكون توليتهم وعزلَهم". اهـ.

ثُمَّ أليس القرضاوي موظفًا لدى الحكام كل مرة فِي دولة من دولِهم؟!!

٢- قال فِي كتابه "عالِم وطاغية" (ص٧):

"ولِهذا لَمْ يكن القائد الداهية الشجاع عبد الرحمن بن الأشعث القيسي يعلن ثورته على الحجاج وبنِي أمية، ويزحف بِجنوده على العراق حَتَّى انضم إليه كثير من أهل العلم والدين، وفِي طليعتهم: سعيد بن جبير، وعامر الشعبِي، ومطرف بن عبد الله بن الشخير".

قلت: وهذه دعوة للناس وللعامة للثورة فِي بلدانِهم على ولاة أمورهم، وإحياء لبدع الخوارج.

٣- وقال فِي كتابه "أين الْخَلل" (ص ٣٦):

"وسيد قطب غيَّر من مواقفه الفكرية خلال مراحل حياته الحافلة، وانتقل من مُجرد أديب ناقد مبهور ببلاغة القرآن -مرحلة: "التصوير الفنِّي"، و"مشاهد القيامة فِي القرآن"- إلَى كاتب إسلامي يدعو إلَى عدالة الإسلام ونظامه للحياة- مرحلة "العدالة الاجتماعية"، و"السلام العالَمي فِي الإسلام"- ثُمَّ إلَى داعية حركي له أفكاره الخاصة فِي منهج التغيير، والنظرة إلَى الْمُجتمع، والدعوة إلَى العقيدة بدل الدعوة إلَى النظام -"مرحلة: المعالِم"، و"الطبعة الثانية من الظلال"، وقد ذكر هو ذلك عن نفسه لبعض تلاميذه فقال له

أحدهم: إذن أنت لك مذهبان قديْم وجديد كالشافعي؟ قال: نعم، ولكن الشافعي غيَّر فِي الفروع، وأنا غيَّرت فِي الأصول".

نعم؛ إن سيد قطب غيَّر فِي الأصول، فأحيا فكر الخوارج، ومن تغييره فِي الأصول: أنه نال من نبِي الله موسى ووصفه بالعصبِي، ونال من بعض أصحاب النَّبِي ﷺ ووصفهم بالغش والخداع والكذب والنفاق، وأحيا القول بِخلق القرآن، والحلول، والجبر، والقول بوحدة الوجود، وتعطيله لبعض صفات الله، وعدم قبول أخبار الآحاد فِي العقائد، فكيف يقول عنه القرضاوي هذا الكلام ويُمجده هذا التمجيد مع أنه -أعنِي: القرضاوي- قال عن سيد قطب فِي أولويات الحركة الإسلامية: "فِي هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد سيد قطب، والَّتِي تُمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والَّتِي تنضح بتكفير الْمُجتمع ... وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة".

أهذا من تبادل الأدوار كما يقول الصاوي -كما سيأتِي النقل عنه- أم ماذا؟!

❁❁❁❁❁

١١- فتحي يكن:

قال في كتابه: "احذروا الإيدز الحركي" (ص٣٢-٣٣) تحت عنوان: "ماذا يريد هؤلاء":

"... يريد هؤلاء تعطيل كل الأسباب والمناخات والمناسبات الَّتي يُمكن أن يسخرها المسلمون اليوم ليتعلموا إسلامهم، وليتفقهوا في دينهم، وليعوا قضاياهم المصيرية في ضوء الإسلام بحجة أنَّها بدعة، وأن رسول الله ﷺ لَمْ يفعلها، وكأن المراد: تَجريد الإسلام من واقعية الطرح، وإبعاده عن ملامسة الأحداث ليبقى معزولاً عن قيادة الأمة وتوجيه الجماهير، فإذا أقيم احتفال بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج يُذكِّر المسلمين بسيرة نبيهم ﷺ، ويقص عليهم الحادثة، وما فيها من دروس وعظات كما ورد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن خلال الأحاديث الصحيحة، ثُمَّ يربط ذلك بالواقع القائم في فلسطين حيث تُنتهك أرض الإسراء والمعراج، من قِبَل إسرائيل والصهيونية العالَمية وواجب المسلمين تجاه البلد الإسلامي الذي احتُل والشعب المسلم الذي قُهر، قالوا: إن هذه الاحتفالات بدعة!! ... إلخ".

لا يريد من علماء السنة إنكار البدع والتحذير منها.

٢- قال في كتابه "الإسلام فكرة وحركة وانقلاب" (ص١٠٢) تحت عنوان "الإسلام منهج انقلابي":

"وعندما قامت الحركة الإسلامية في مطلع القرن العشرين تَمسح عن الدين ركام الجهل والتضليل، كانت حريصة غاية الحرص على مُعالَجة هذه

المشكلة بادئ ذي بدء، وتركيز لصورة الإسلام الصافية الصحيحة فِي الأذهان ... فالإسلام منهج حياة، هكذا يَجب أن يُفهم، وهكذا يَجب أن يُطبق، وهو ثورة وانقلاب: ثورة لا تقتصر على جانب من جوانب الحياة وإنَّما تَمتد من كل جانب، وانقلاب لا تعبر عنه "كلمة أو شعار" بل هو تَحويل "كيفي" للمجتمع، وتغيير "جذري" لقواعده وأصوله، فالانقلاب الإسلامي لا يتحقق بتغيير نظام أو تعديل دستور، ولا يتم برفع راية أو إذاعة بيان، وإنَّما يتحقق ويتم باستكمال المقومات والفعاليات والخصائص الإسلامية فِي شخصية الأمة، يتم "بقوامة" النهج الإلَهي و"حاكمية" للمجتمع ... وبالتالي تقويْم التصورات -كل التصورات- وخضوع التصرفات -كل التصرفات- لِهذه القوامة والحاكمية ...إلخ".

وهذا تَمجيد لِحركة الإخوان الَّتي ينتمي إليها، وترديد لبعض أفكارها، وجر لِمفردات سيد قطب، وألفاظ عباراته الداعية للانقلابات والثورات، وليس تعليم الناس العقائد الصحيحة، وتصحيح المسار ليكون العمل وفق السنة، ولكن كما يُقال: فاقد الشيء لا يعطيه.

❁❁❁❁❁

١٢- أبو قتادة الفلسطيني:

هو عمر بن مَحمود أبو عمر الأردنِي، أبا قتادة الفلسطينِي بالنظر إلَى أصله، وهو بريطانِي المهجر بالنظر إلَى البلاد الَّتي اختارها لنفسه بعد هجره بلاد المسلمين.

له فِي أكثر الدماء الَّتِي تراق فِي العالَم الإسلامي -والإسلامي فقط- يد، لكنها يد دون يد؛ لأنه يُحسِّن لكل مبتغي دم -باسم الدين- عمله، ويُزيِّن لكل مفتون بالثورات -باسم الجهاد- جهاده، ولكنه لا يباشر شيئًا من ذلك.

أدرك الجهاد الأفغاني فِي إدباره فلحس ما بقي من تكفير على مائدته حَتَّى إذا غص بسمه التجأ إلَى لندن عاصمة الاستعمار، ووجد عندها الظل الظليل، والملجأ والمقيل، فتكفف منها اللجوء السياسي، وعندها وجد ضالته، وبدأت المآسي.

آوته بريطانيا هو وأشكاله الفارين من بلاد الإسلام إلَى بلاد الكفر، وأعتدت لكل واحد منهم متكأً، فمن ظلها وظلالِها جعل ينفث فِي كل البلاد الإسلامية سم التكفير، بل منها يُحرك أوباشه الذين فِي بلاد الإسلام نَحو القتل والتفجير!!

وهؤلاء لا يقاتلون إلا الأمة الإسلامية، فهي الغرض المنصوب لسهامهم، والغرض الْمَحبوب طعنه لأقلامهم!

لَمْ يبقوا منها لَحمًا إلا تعرَّوه، ولا عظمًا إلا هشموه، تلك هي سيرتُهم فِي جهادهم، أما مع المسلمين فضرب الْهَام، وأما مع الكفار فحرب كلام، ولا يغرنك مضاء ألسنتهم فِي أعراض الكفار، ولا غليان أفكارهم بِها، وإن كانت تغلي غلي القدور فليس أكثر من تَحريش ربات الخدور؛ ولذلك كان من مصائبه: تقديْم مُجاهدة الدولة المسلمة على مُجاهدة الدول الكافرة بزعم ارتدادها، فقد قال فِي حواره مع جريدة الحياة، العدد (١٣٢١٩) فِي (ص ٦) تاريخ (٣/ صفر/١٤٢٠هـ) قال: "نَحن لا نريد أن نقاتل أمريكا إلا إذا صالت علينا،

وكانت هي من بدأ بالقتال، هذا بِخلاف قتال الأنظمة المرتدة فِي بلادنا الذي يُعتبر جهادها فرض عين على كل مسلم"!!

قلت: هذا هو مذهب الخوارج تَمامًا، قال فيهم رسول الله ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان**». متفق عليه.

ومن تأمل هذه الجماعات الثائرة على دولِها هنا وهناك يَجدها لا تكاد تقاتل أمة كافرة ولو كانت ألد الأعداء كاليهود بل هم -طول عمرهم- يُثيرون الفتن فِي البلاد المسلمة، ويريقون دماء أهلها، وعدوهم الكافر آمن بل جاثم على ديار المسلمين لا يهيجه أحد، ولذلك لَما خرج من بلادهم لَحقوه، بل يلعنون الكفار، ولا يكاد يهنأ لَهم عيش إلا فِي بلاد الكفار!

فانظر رءوس التكفير اليوم فلن تَجدهم إلا فِي بلاد الكفر، قال الله تعالَى: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ [الحج:١٨].

وتَمضي عليهم السنوات وهم هكذا حَتَّى ينقرض جيلهم، ويأتِي آخر ليعيد الكَرَّة وهم فِي كل مرة يَمنون أنفسهم والمسلمين بتحرير فلسطين وغيرها، ولكن ذلك لا يتجاوز ساحة ألسنتهم!! وإنَّما يتباكون على فلسطين ومثيلاتِها ليحظوا بتزكية الناس لَهم!

والأمة الإسلامية لا تكاد تستريح من كيد جيرانِها الكفار الذين رموها عن قوس واحدة، حَتَّى يتآلب عليها من بنِي جلدتِها من يشغلها عن معالِي أمورها، فكيف تستقر بلاد الإسلام، وهي بين جار مُحارب، وشريك فِي

الدار مشاغب"[١]. اهـ.

وقد نقل عنه الشيخ عبد المالك تكفيره لِجميع الحكام كما فِي (ص ٥٥) من الكتاب المذكور، وقوله بتكفير كل عسكري فِي الجزائر كما فِي (ص ٦٢)، وطعنه فِي الدعوة السلفية كما فِي (ص ٩٥-١٠٠)، وطعنه فِي كبار علماء السعودية كما فِي (ص ١٤٧)، وفتواه فِي قتل الخطباء والعلماء كما فِي (ص ١٥١)، وفتواه بقتل النساء والأطفال فِي الجزائر كما فِي (ص ٢٠٥)، وقد طعن فِي الصحابة، وما وقع عندهم بزعمه من أخطاء فِي جهادهم، كل ذلك من أجل تزكية ثورة الثائرين فِي الجزائر، انظر الكتاب المذكور (ص ٢٩٩) وما بعدها.

فمما نقله الشيخ عبد المالك عن أبِي قتادة، وسَماه المشبوه، فقال -أعنِي: عبد الْمَالك-: نظرت فِي مَجلة "الأنصار" الَّتِي يكتب فيها المشبوه، فوجدته قد كفَّر جَميع الدول المسلمة، وذلك فِي العدد (١١٩) فِي (ص ١٠) بتاريخ الخميس ٢٤/جمادى الأولَى/١٤١٦هـ من دولة الجزائر والمغرب وليبيا وفلسطين والأردن والسعودية، فكان من ضمن ما قال فِي معتقد جَماعته أنَّها: لا ترى فرقًا بين زروال "الجزائري" -أي: الرئيس- المرتد وحكمه ونظامه، وبين الحسن الثانِي المغربِي المرتد، فكلاهما فِي دين الله تعالَى كافر مرتد، وأن حكمهما فِي القتل والقتال سواء ... ومعمر القذافِي المرتد جبارًا متسلطًا!!

---

(١) من كتاب "تَخليص العباد من وحشية أبِي القتاد الداعي إلَى قتل النساء وفلذات الأكباد"، رد على أبِي قتادة الفلسطينِي فِي استباحة دماء الأطفال والنساء من المسلمين وغيرهم، وبيان أن الإسلام بريء من ذلك، تأليف الشيخ عبد المالك أحمد رمضانِي الجزائري، انظر الكتاب (ص ٤٣-٤٥).

وقال أيضًا فِي مدح جَماعته: بأنَّها لا ترى فرقًا بين شرطة عرفات تَحت راية وقيادة عرفات وبين الجيش اليهودي وشرطة اليهود إلا فرقًا واحدًا: وهو أن عرفات وحكومته أشد كفرًا منهم، أشد حكمًا من اليهود، ولكن كلاهُما له القتل والقتال... وأن الملك حسين مرتد فِي الأولَى ومرتد فِي الثانية، وليس له إلا القتل والقتال هو وشرطته وجهاز مُخابراته!!

وقال عن جَماعته مادحًا لَها دائمًا لأنَّها لا ترى فرقًا بين حكومة السعوديين -آل سعود- المرتدين!!

وزاد دولة الكويت فِي العدد (١٣٤) فِي (ص ٧) بتاريخ (١٤١٦هـ) ثُمَّ فِي غيرها فِي أعداد أخرى.

قال الشيخ عبد الْمَالك رمضاني: "إنِّي لا أريد أن أناقش المشبوه فِي التكفير؛ لأنني لا أرضى أن يتحول البحث إلَى مناقشات معلومة الطول، ولكنِّي أريد إطلاع القراء على معتقد القوم لِما يتلوه من بُحوث"[1] اهـ.

ثُمَّ نقل الشيخ عبد الْمَالك كما فِي (ص ١٤٧) **تَحت عنوان: "أبِو قتادة يطعن على كبار العلماء فِي السعودية" قال:**

"قال المشبوه فِي مَجلة الأنصار العدد (١٢٨) فِي (ص ٧) بتاريخ ٢٩/ رجب/١٤١٦هـ: لقد استطاعت الحكومة الطاغوتية السعودية أن تُجند الكثير من المشائخ السلفيين فِي العالَم عملاءَ لَها يكتبون التقارير الأمنية عن نشاط الحركات الإسلامية، وهذه كذلك نتيجة سننية.

---

(١) انظر (ص ٥٥) من الكتاب المذكور أعلاه.

فإن السلفي الذي يعتقد بإمامة عبد العزيز بن باز، ومُحمَّد بن صالِح بن عثيمين، واللحيدان، والفوزان، وربيع المدخلي -كائنًا من كان هذا السلفي، ومن أي بلد كان- فإنه سيعتقد فِي النهاية بإمامة آل سعود؛ لأن مشايِخه هؤلاء يدينون بالولاء والطاعة لآل سعود، فإمام شيخي إمامي، وإمام ابن باز هو إمام السلفيين، ولذلك ففهد بن عبد العزيز إمام السلفيين فِي العالَم ....

قلت -والكلام للشيخ عبد الْمَالك-: تأمل هذا الأسلوب الخبيث الذي توصل به إلَى الطعن على أهل السنة، إنه الآن يسميهم ويقرضهم بالمقاريض بعد أن طال صبره بالتقية والمعاريض، وتأمل أيضًا هذا الأسلوب الخبيث الذي أراد به التوصل إلَى الطعن على السلفيين؛ لأنه قال: "كائنًا من كان هذا السلفي".

وقال أيضًا فِي مقاله السابق: وقد أصبح هؤلاء السلفيون عملاء مرتزقة ... فهذا النوع من السلفيين علينا أن نضعهم فِي صف العملاء المرتزقة، لَهم ما لَهم، وعليهم ما عليهم من غير جمجمة ولا تقية.

وفِي (ص٥) جعل العلماء عيونًا على المسلمين فِي مصلحة الطاغوت السعودي الخبيث. كذا قال تحت عنوان: "من صحيح المنهج" كل هذا يَخلص إلَى القول فِي (ص٧): "فالحذر من هذه السلفية الخبيثة!!".

لا سبيل[1] إلَى الطعن على العلماء الذين يعترفون بإمامة ولِي الأمر، ما لَمْ يروا كفرًا بواحًا؛ لأن الرسول ﷺ أوجب على كل مسلم ومسلمة أن تكون له بيعة لولِي أمره فقال: «**من خلع يدًا من طاعة؛ لقي الله يوم القيامة لا حجة له،**

(١) ما زال الكلام للشيخ عبد المالك.

ومن مات وليس في عنقه بيعة؛ مات ميتة جاهلية». رواه مسلم (١٨٥١).

وإن وجود الذنوب من السلطان لا يُعد مسوغًا شرعيًّا لخلع بيعته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر؛ فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات؛ فميتته جاهلية**». رواه مسلم (١٨٤٩).

وإنَّما تنقض بيعة السلطان إذا كفر كفرًا بيِّنًا صريحًا ليس فيه لبس؛ فعن جنادة بن أبي أمية قال: «دخلنا على عبادة بن الصامت، وهو مريض. قلنا: أصلحك الله، حدِّث بحديث ينفعك الله به سَمعته من النَّبي ﷺ، قال: دعانا النَّبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان». متفق عليه.

والعلماء هم أهل لأن يروا ذلك الكفر البواح لو وجد؛ لأن العالِم هو الذي يُميز الحق من الباطل؛ لذلك أنكر الله التسوية بين العالِم وغير العالِم؛ فقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩]. فلا يَجوز اتِّهام أهل العلم بالعمالة أو الضلال بمجرد أن فتواهم تُخالف أهواء الثائرين على ولاة أمورهم، قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لَمْ يُجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالِمنا حقه**». رواه أحمد والحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٣)"اهـ[1].

---

(١) من كتاب "تَخليص العباد من وحشية أبي القتاد" للشيخ عبد المالك بن أحمد رمضاني الجزائري، والكتاب مفيد في بابه؛ فهو لِمؤلف قد عاش أحداثًا مؤلِمة ومؤسفة في بلده =

١٤، ١٥- أيمن الظواهري وأسامة بن لادن :

أسامة بن لادن تأثر بفكر أيْمَن الظواهري، وأيْمَن الظواهري مِمَّن جعل كتب سيد قطب ومقالاته دستورًا له يسير عليه هو وأتباعه[١].

ويبذلون ما يستطيعون من أجل تطبيق ما فِي تلك الكتب على الواقع العملي، وقد سبق أن نقلت عن سيد قطب ما يدل على أنه أحيا فكر الخوارج فِي هذا العصر، وأنه يُعتبر المؤسس لِهذا الفكر فِي هذا العصر، ونقلت قوله بتكفير جَميع المسلمين والدول الإسلامية كما قال فِي الظلال (١٢٢/٤): "إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مُجتمع مسلم قاعدة التعامل

الجزائر، كان معظم أسبابها -كما ذكر- يعود إلَى جناية بعض الحركات الَّتِي تسمي نفسها جهادية أحدثت قتلاً ودمارًا هائلاً فِي بلاده الجزائر، فأراد النصح لإخوانه المسلمين؛ لأخذ العبرة والعظة حَتَّى لا يقعوا فيما وقع فيه أولئك فيندموا حين لا ينفع الندم، فجزاه الله خيرًا على نصحه وبيانه.

ولمزيد من المعرفة عما أحدثته تلك الحركات الحزبية على المسلمين فِي كل بلد وجدت لَهم فيه دعوة يَحسن الرجوع إلَى مؤلفات الشيخ عبد المالك فِي هذا الموضوع، ومنها:

١- "مدارك النظر فِي السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية"، قدَّم له وقرَّظه الشيخ العلامة مُحمَّد ناصر الدين الألبانِي، والشيخ العلامة عبد الْمُحسن بن حمد العبَّاد البدر.

٢- "فتاوى العلماء الأكابر فيما أُهدر من دماء فِي الجزائر".

٣- "تَخليص العباد من وحشية أبِي القتاد".

(١) فقد أكَّد أيْمَن الظواهري فِي الحلقة الثالثة من مذكراته المنشورة فِي جريدة الشرق الأوسط فِي شهر رمضان (١٤٢٢هـ) أن كتب سيد قطب هي دستوره وأتباعه.

فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي".

وقال فِي الظلال (٣/١٦٣٤):

"إن المسلمين الآن لا يُجاهدون، ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون ... إن قضية وجود الإسلام هي تَحتاج اليوم إلَى علاج".

وقال فِي العدالة الاجتماعية (ص ٢٦):

"وحركات البعث الإسلامي اليوم فِي مفترق طرق، ونقطة البدء الصحيحة فِي الطريق الصحيح هي أن نتبين الشرط الأساسي لوجود الإسلام أو عدم وجوده، وأن نستيقن أن وجود الإسلام اليوم توقف".

وهاهو يَمدح الخوارج الذين ثاروا على عثمان ﷺ فيقول كما فِي العدالة الاجتماعية (ص١٦٠): "وأخيرًا ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحق والباطل، والخير والشر، ولكن لابد لِمن ينظر إلَى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإسلام أن يقرر أن تلك الثورة فِي عمومها كانت فورة من روح الإسلام".

وورث هذه العقيدة الفاسدة من سيد قطب: تلامذته من الإخوان المسلمين؛ فتولدت جَماعة التكفير والهجرة، والجماعات الجهادية -والجهاد الذي يرضاه الله ورسوله بريء منها-.

ومن أبرز هؤلاء الورثة: الطبيب أيْمن الظواهري، ثُمَّ أثَّر هذا الطبيب بفكره على أسامة بن لادن، والذي يقول فِي إحدى خطاباته -أعنِي: أسامة بن لادن-: "لقد انقسم العالَم إلَى فسطاطين: كفر لا إيْمَان فيه، وإيْمَان لا كفر فيه".

فهو ومن معه فِي جبال أفغانستان، ومن أيدهم: هم المسلمون، وباقي العالَم: كفار يَجوز قتلهم حكامًا ومَحكومين[١].

يقول الأستاذ منتصر الزيات مُحامي من يُسَمَّون بالإسلاميين فِي مصر، كما نشرت جريدة "الشرق الأوسط" عدد (٩٢٠٣) يوم الأحد (٢٠٠٤/٢/٨) نقلاً من كتابه "الطريق إلَى القاعدة" يقول: واستطاع الظواهري أن يُحدث تَحولات جذرية واستراتيجية فِي فكر أُسامة بن لادن بعدما التقيا معًا فِي أفغانستان منتصف عام (١٩٨٨م).

ولعل مِمَّا ساعد فِي تَمام هذه التحولات لدى ابن لادن رغم تكوين مرجعيته الإسلامية السلفية[٢] قبل تعارفه على الظواهري: هو العلاقة الإنسانية الَّتِي نشأت وتطورت بين الاثنين إلَى درجة الصداقة والأخوة.

فاستطاع الظواهري أن يقنع ابن لادن بالفكر الجهادي الانقلابِي، وحوَّله من داعية سلفي يهتم بأمور الإغاثة إلَى مقاتل جهادي، وزرع الظواهري

---

(١) انظر: مقال قيم نشر بجريدة المدينة، عدد (١٤٧٤٣)، بتاريخ (١٤٢٤/٧/٧هـ) بقلم مشهور بن ناصر القبلان، بعنوان: "خوارج العصر من التكفير إلَى التفجير".

(٢) هكذا قال الزيات!! وإلا فأسامة بن لادن لَمْ يُعرف بطلب العلم الشرعي على أيدي العلماء الموثوق بِهم، ومن أين له أن يوصف بالسلفية؟! ولكن الكثيرون يغفلون عن: أن الحركيين المتأثرين بفكر الإخوان المسلمين فِي بلادنا وفق التوجه السروري يوصفون بالسلفية من قِبَل بعض رموز الإخوان، وهذه من تلبيسات مُحمَّد سرور، ومُحمَّد قطب، وعبد الرحمن عبد الخالق، والصاوي، والعبدة وأمثالهم الذين أضفوا على فكر سيد بأنه نابع من فكر أهل السنة، وأنه على المنهج السلفي كما زعم هؤلاء، من هنا جاء وصف الزيات لابن لادن بقوله: "رغم مرجعيته السلفية"!!

حول ابن لادن نُخبة من أخلص خلصائه مِمَّن صاروا لاحقًا أبرز العناصر المعاونة لابن لادن وقادة تنظيم القاعدة.

وهؤلاء كانوا يدينون بالولاء للظواهري شخصيًّا وتاريْخيًّا مِنْ مثل "علي الرشيدي" أمين الشرطة الذي فُصل من الخدمة لانتماءاته الدينية بعد أحداث المنصة وقتل السادات، وأُطلق عليه فِي أفغانستان: "أبو عبيدة البنشيري"، وأيضًا "أبو حفص المكنَّى مُحمَّد عاطف" وهو صبحي عبد العزيز أبو سنة ... وكان قد ترك مصر فِي وقت مبكر من الجهاد الأفغانِي بعد طرده من الخدمة لانتماءاته الدينية، غير أنه لَمْ يكن للبنشيري، وأبِي حفص انتماءات تنظيمية قبل سفرهِما، واستطاع الظواهري أن يفجر طاقاتِهما داخل أرض الجهاد فِي أفغانستان ....

وينفي الزيات أن يكون تَحول أسامة فكريًّا بسبب عبد الله عزام -رحِمه الله-؛ لأن عزام كان حريصًا على عدم التصادم مع الحكومات العربية الَّتِي تدعمه ...

إلَى أن قال: ويُمكن أن تقول: أن ذلك ساعد الظواهري كثيرًا فِي إحداث التحولات الجذرية داخل فكر ابن لادن.

ثُمَّ استرسل -أعنِي: الزيات- فِي ذكر بعض أفكار الظواهري حيث قال: ومنها: أن الظواهري لفترات طويلة يردد أن الشكل الوحيد المقبول للجهاد هو الكفاح المسلح، وأن المسلم الصادق ينبغي عليه أن يواجه أولاً الكفر الداخلي -العدو القريب- وبعدئذٍ يواجه الكفر الخارجي -العدو البعيد- وقد أكَّد

الظواهري فكرته فِي جهاد العدو القريب قبل العدو البعيد فِي مقال كتبه فِي مَجلة "الْمُجاهدون" الَّتِي صدرت فِي إبريل عام (١٩٩٥م) عنوانه: "الطريق إلَى القدس يَمر بالقاهرة" وقال فيه بوضوح: "لن تُحسم ولن تُفتح القدس إلا إذا حُسمت المعركة فِي مصر والجزائر، وإلا إذا فُتحت القاهرة".

وكانت الفكرة الأساسية المطروحة الَّتِي تلح على الظواهري: هي اعتباره أن العدو الأساسي هو النظام السياسي؛ لأنه لا يَحكم بِما أنزل الله[1]. اهـ.

قلت: فأنت ترى أن الظواهري يرى ما يراه سيد قطب من تكفير الْمُجتمعات، ومن أجل أن يطبق هذه الأفكار رأى أن يبدأ بالعدو القريب -أي: المسلمين- والذين يراهم هو أنَّهم كفار، وهذا هو معتقد الخوارج المتقدمين فإنَّهم كفَّروا المسلمين وبدءوا بِهم قبل الكفار الأصليين، كفَّروا عثمان ﷺ، وثاروا عليه وقتلوه، وكفَّروا عليًّا ﷺ وثاروا عليه وقتلوه وهكذا ...

وأسامة بن لادن تقمص أفكار الظواهري المتولدة من أفكار سيد المتولدة من أفكار الخوارج، إلا أنه يبعد قبول أسامة لتلك الأفكار لولا وجود من أثَّر عليه مسبقًا بأن هذا هو منهج أهل السنة، وأنه من المنهج السلفي، لذا تَجد الآن الحركات الإسلامية تسمي نفسها بـــ"الجهادية السلفية" وهي

---

(١) وعلى منوال وطريقة الظواهري وابن لادن سار المسعري والفقيه وعصام البرقاوي "أبو مُحمد المقدسي، صاحب كتاب "الكواشف الجلية"، وأبو مصعب الزرقاوي، وغيرهم من خوارج هذا العصر.

ليست جهادية وليست سلفية، وإنَّما كان ذلك بسبب طروحات مُحمَّد سرور، ومُحمَّد قطب، وصلاح الصاوي، وعبد الرحمن عبد الخالق، والتِي بلورت أفكار سيد وهذَّبت بعض مقالاته وطرحتها على أنَّها تُمثل فهم أهل السنة ومن المنهج السلفي، فحصل التغرير بالكثير من أبنائنا، فكما غُرِّر بأسامة بن لادن كذلك غُرِّر بكثير من الشباب المسمى بشباب الصحوة، والضحية هم المغرَّر بِهم، وأما الرءوس فإنَّها فِي الغالب تعيش فِي مأمن، وتستطيع أن تتلون بِحسب مقتضيات الأحوال، وفق القاعدة المعروفة الضالة والمضلة: "الغاية تبرر الوسيلة".

والآن نعود إلَى فكر أسامة بن لادن فهو كما اتَّضح متأثر بالفكر الإخوانِي القطبِي السروري، ثُمَّ هو يسعى جاهدًا الآن لتنفيذ هذه الأفكار فِي بلاد التوحيد والسنة فِي بلاد الحرمين كما يريد شيخه الأول -فكريًّا- "مُحمَّد سرور" وشيخه الثانِي -علميًّا وعمليًّا- "أيْمن الظواهري".

وقبل أن أبدأ بنقل تَحذير العلماء من أسامة بن لادن وأمثاله، أقول: إن النَّبِي ﷺ قال: «**إنَّما أخاف على أمتِي الأئمة المضلين**»[1]. ومِمَّا أنذرها به فِي سياق الحديث عن الدجال قوله ﷺ: «**غير الدجال أخوفنِي عليكم**»[2].

وقد نقلت لك أيها القارئ الكريْم توجهات جَماعة الإخوان، وذكرت لك

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/٢٠٣)، والدارمي (١/٧٠، ٢/٣١١)، والترمذي مع التحفة (٣/ ٢٣١)، وأحمد (٥/١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

بعض خططها، وجُملة من عقائد رموزها وقادتِها، فأقول:

ألا ترى معي أن هذه النوعيات أشد خطرًا على الإسلام من الدجال، ومن أعداء الإسلام الواضحين؟! إنَّ هذه الأصناف لا تُحارب الإسلام جهارًا نَهارًا، وإنَّما تتظاهر بالإسلام، وتَحمل شعارات براقة خلابة، وهي تَحمل فِي ثناياها السموم القتالة، والموت الزؤام، ومن المؤسف -أشد الأسف- أن تَجد هذه الأصناف -أتباعًا وجنودًا- يعظمونَهم تعظيمًا يؤدي إلَى رفعهم فوق مستوى النقد مهما بلغوا من الضلال والانْحراف، ويؤدي إلَى استصغار عظائمهم وطوامهم، فتصير فِي أعينهم أدق من الشعر، ولو كانت أعظم من الجبال الشامِخة فيصدق عليهم قول أنس ﷺ: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق فِي أعينكم من الشعر كنا نعدها فِي عهد رسول الله ﷺ من الموبقات».

فلو عاش أنس وإخوانه أولِي الأحلام والنهى حَتَّى رأوا هؤلاء وعرفوا حالَهم وواقعهم؛ لذهلوا عما كانوا يعدُّونه من الموبقات، ولرأوا الفروق الهائلة الشاسعة بين حال من عاصرهم وواقعهم، وبين حال هؤلاء وواقعهم، ولعل كثيرًا منهم يفرون منهم إلَى الجبال والشعاب.

إنه والله لواقع مرير، وإن الأمر كما قال تعالَى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦]. فنعوذ بالله من حال هؤلاء، وإنا لنضرع إلَى الله أن يعافي المسلمين من هذا البلاء، وأن يأخذ بنواصي من أصابَهم هذا البلاء إلَى الحق والهدى[1]. اهـ.

---

(١) من كلام الشيخ ربيع المدخلي، فِي كتابه "نظرات فِي كتاب التصوير الفنِّي فِي القرآن الكريْم لسيد قطب" (٢٢١).

تحذير العلماء من فكر أسامة وأمثاله

وقد أدرك سَماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحِمه الله- بثاقب نظره، وعميق فهمه، ومعرفته بالواقع الصحيح -لا كما يزعمه الْمُدَّعون للعلم بفقه الواقع، وهم من أبعد ما يكونون عن ذلك- خطورة مسلك أسامة بن لادن وأضرابه قبل أن تتضح الصورة لكثير من الناس، فقال -رحِمه الله-: "أما ما يقوم به الآن مُحمَّد المسعري، وسعد الفقيه، وأشباههما من ناشري الدعوات الفاسدة الضالة؛ فهو -بلا شك- شر عظيم وفساد كبير، والواجب الحذر من نشراتِهم، والقضاء عليها وإتلافها، وعدم التعاون معهم فِي أي شيء يدعو إلَى الفساد والشر، والباطل، والفتن، ونشر الكذب، ونشر الدعوات الباطلة الَّتِي تسبب الفرقة، واختلال الأمن إلَى غير ذلك.

هذه النشرات الَّتِي تصدر من الفقيه، أو من المسعري، أو من غيرهما من دعاة الباطل ودعاة الشر والفرقة يَجب القضاء عليها وإتلافها وعدم الالتفات إليها، ويَجب نصيحتهم وإرشادهم للحق، وتَحذيرهم من الباطل، ولا يَجوز لأحد أن يتعاون معهم فِي هذا الشر، ويَجب أن يُنصحوا، وأن يعودوا إلَى رشدهم، وأن يَدَعوا هذا الباطل ويتركوه.

ونصيحتِي للمسعري، والفقيه، وابن لادن، وجَميع من سلك سبيلهم:

أن يَدَعوا هذا الطريق الوخيم، وأن يتقوا الله مِمَّا سلف منهم، والله ﷻ وعد عباده التائبين بقبول توبتهم والإحسان إليهم كما قال تعالَى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر:٥٣-٥٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١]"[1].

وقال علامة اليمن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- كما في كتاب "الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية" نقلاً عن جريدة "الرأي الكويتية" بتاريخ ١٩٩٨/١٢/١٩م، العدد (١١٥٠٣) قال: "أبرأ إلَى الله من ابن لادن فهو شؤم وبلاء على الأمة، وأعماله شر".

وفي اللقاء نفسه قال السائل: الملاحظ أن المسلمين يتعرضون للمضايقات في الدول الغربية بمجرد حدوث انفجار في أي مكان في العالَم.

الْجَواب: أعلم ذلك، وقد اتَّصل بي بعض الإخوة من بريطانيا يشكون التضييق عليهم، ويسألون عما إذا كان يَجوز لَهم إعلان البراءة من أسامة بن لادن؟ فقلنا لَهم: تبرأنا منه ومن أعماله منذ زمن بعيد، والواقع يشهد أن المسلمين في دول الغرب مضيَّق عليهم بسبب الحركات الَّتي تقدمها حركة الإخوان المفلسين أو غيرهم، والله المستعان.

السائل: أَلَم تُقدِّم نصيحة لأسامة بن لادن؟

---

(١) انظر مَجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٠) (ص ٧-١٧)، ومَجموع فتاوى الشيخ (٩/١٠٠).

الْجَواب: لقد أرسلت نصائح، لكن الله أعلم إن كانت وصلت أم لا، وقد جاءنا منهم إخوة يعرضون مساعدتَهم لنا وإعانتهم حَتَّى ندعو إِلَى الله، وبعد ذلك فوجئنا بِهم يرسلون مالاً، ويطلبون منا توزيعه على رؤساء القبائل لشراء مدافع ورشاشات، ولكنِّي رفضت عرضهم، وطلبت منهم ألا يأتوا إِلَى منْزِلي ثانية، وأوضحت لَهم أن عملنا هو دعوي فقط، ولن نسمح لطلبتنا بغير ذلك".

وقال الشيخ مقبل -رحِمه الله-: "وكذلك إسناد الأمور إِلَى الجهال، فقد روى البخاري ومسلم فِي صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حَتَّى إذا لَمْ يبق عالِمًا اتَّخذ الناس رءوسًا جهالاً فسئلوا؛ فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا**»[1].

كما يقال: العالِم الفلاني ما يعرف عن الواقع شيئًا، أو عالِم جامد، تنفير كما تقول مَجلة السنة الَّتِي ينبغي أن تسمى مَجلة البدعة؛ فقد ظهرت عداوتُها لأهل السنة من قضية الخليج.

وأقول: إن الناس منذ تركوا الرجوع إِلَى العلماء تَخبطوا، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]. وأولِي الأمر هم: العلماء، والأمراء، والعقلاء، والصالحون.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم (١٠٠)، ومسلم برقم (٦٧٣٧).

وقارون عندما خرج على قومه في زينته قال أهل الدنيا: ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص:٧٩-٨٠].

والعلماء يضعون الأشياء في مواضعها: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم:٢٢].

﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر:٢٨].

﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [المجادلة:١١].

فهل يرفع الله أهل العلم أم أهل الثورات والانقلابات؟!! وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النَّبي ﷺ سئل: «متَى الساعة؟ فقال: **إذا وسِّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**»[(١)].

رئيس حزب وهو جاهل، ومن الأمثلة على هذه الفتنة: الفتنة الَّتي كادت تدبر لليمن من قِبَل أسامة بن لادن إذا قيل له: نريد مبلغ عشرين ألف ريال سعودي نبني بها مسجدًا في بلد كذا، فيقول: ليس عندنا إمكانيات، سنعطي -إن شاء الله- بقدر إمكانياتنا، وإذا قيل له: نريد مدفعًا أو رشاشًا وغيرهما، فيقول: خذ هذه مائة ألف أو أكثر وإن شاء الله سيأتي الباقي"[(٢)].

---

(١) البخاري برقم (٥٩).

(٢) "الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية" (ص ٢٠٤) نقلاً عن كتاب "تُحفة الْمُجيب" وتسجيل بتاريخ ١٨/صفر/١٤١٧هـ بعنوان: "من وراء التفجيرات في أرض الحرمين".

وسئل الشيخ أحْمَد النجمي هذا السؤال:

أحسن الله إليك، هذا سائل يقول: قد صح عن النَّبِي ﷺ أنه قال: «**لعن الله من آوى مُحدثًا**». فهل هذا الحديث ينطبق على دولة طالبان، وخاصة أنَّهم يؤون الخوارج ويعدونَهم فِي معسكر الفاروق الذي يشرف عليه أسامة بن لادن، وفيه أربع فصائل: الفصيل الأول: فصيل المعثم، وفصيل الشهرانِي، وفصيل الهاجري، وفصيل السعيد، وهؤلاء الأربعة هم الذين فجروا فِي العليا، ويكفِّرون العلماء فِي هذه البلاد.

الْجَواب: لا شك أن هؤلاء يُعتبرون مُحدثين، وهؤلاء الذين آووهم داخلون فِي هذا الوعيد الذي قاله النَّبِي ﷺ واللعنة الَّتِي لعنها من فعل ذلك: «**لعن الله من آوى مُحدثًا**». فلو أن واحدًا قتل بغير حق وأنت آويته وقلت لأصحاب الدم: ما لكم عليه سبيل ومنعتهم، ألست تُعتبر مؤويًا للمحدثين؟![1].

وقال الشيخ صالِح آل الشيخ -حفظه الله- فِي معرض كلامه فِي جانب الانْحِرَاف فِي فهم الإسلام، وذكر له أسبابًا كثيرة جدًّا من أهمها: أن المعلم فِي التعليم الجامعي يَحتاج إِلَى نظرة جادة ...

إِلَى أن قال: حَتَّى إنه فِي هذه الأزمنة رُبَّما سَمعتم بعض المدرسين يُمجد أسامة بن لادن، وهذا خلل فِي فهم الإسلام[2].

---

(١) "الفتاوى الشرعية فِي القضايا العصرية" (ص ٢٠٥).

(٢) "الفتاوى الشرعية فِي القضايا العصرية" (ص ٢٠٦)، نقلاً عن جريدة "الرياض" بتاريخ ٢٠٠١/١١/٨ فِي لقاء مع معاليه.

نماذج من كلام بعض دعاة الصحوة

ولكي تتضح الصورة أكثر، ويلحق الشبيه بشبيهه، والنظير بنظيره، والفرع بأصله؛ فإنني أنقل بعض الكلام عن ثلاثة مِمَّن يُسَمون بدعاة الصحوة في بلدنا، ولا أريد أن أذكر أسْماءهم لكي لا يُفهم أنَّ غيرهم ليسوا مثلهم؛ ولأنَّهم قد أظهروا بعض التراجع عن بعض طرقهم السابقة، وإن كان ما أظهروه ليس واضحًا بالمعنَى الذي يزيل اللبس؛ لأن مقتضى الرجوع الصحيح إلى الحق يحتم عليهم البيان بِمَا يزيل اللبس ويوضح المقصود؛ لأن كتبهم وأشرطتهم الجديدة لا تَخلو من دخن وإجْمَال مع أنَّ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يَجوز.

قال أحدهم في شريط رقم (١٨٥) من شرح له على أحد كتب العقيدة:

"إن المظاهرة النسوية أسلوب من أساليب الدعوة والتأثير". هكذا قال.

بينما قال أهل العلم: "إنَّها من أسباب الفتن، ومن أسباب الشرور، ومن أسباب بغض الناس والتعدي عليهم، وليست من الأسباب المشروعة"[1].

وقال في كتاب له (ص ١٣٨): "إنَّ ما أصابنا لَمْ يكن إلا بِما كسبت

(١) انظر: أجوبة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن المظاهرات الرجالية والنسائية في: "فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة" (ص ١٤٣) الطبعة الثانية.

أيدينا، واقترفنا من ذنوب وعصيان، وخروج عن شرع الله، ومُجاهرة بِما حرم الله، وموالاة أعداء الله، وتَهاون فِي حقه، وتقصير فِي دعوة الله، اشترك فِي ذلك الحاكم والْمَحكوم، والعالِم والجاهل، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، على تفاوت بينهم، لقد ظهر الكفر والإلحاد فِي صحفنا، وفشا المنكر فِي نوادينا، ودعي إلَى الزنا فِي إذاعتنا وتليفزيوننا، واستبحنا الربا، حَتَّى إن بنوك دول الكفر لا تبعد عن بيت الله إلا خطوات معدودة.

أما التحاكم إلَى الشرع -تلك الدعوى القديْمة- فالحق أنه لَمْ يبق للشريعة عندنا إلا ما يسميه أصحاب الطاغوت الوضعي "الأحوال الشخصية" وبعض الحدود الَّتِي غرضها ضبط الأمن. اهـ.

ومعلوم لدى كل مسلم يعرف دينه: أنَّ استحلال ما كان تَحريْمه معلومًا من الدين بالضرورة كفر أكبر يُخرج من الملة، ويلزم من هذا تكفير الْمُجتمع كله فإنه لَمْ يستثن أحدًا، وأيضًا كيف عرف هو الاستحلال، وهو عمل قلبِي ما لَمْ يصرح الشخص فيقول: إنني استبحت الربا أو الزنا؟! ثُمَّ إنَّ التكفير له شروطه وضوابطه.

وقال فِي شرحه لكتاب فِي العقيدة رقم (٢/٢٦٦):

"فشوقنا كبير أن تكون أفغانستان النواة واللبنة الأولَى للدولة الإسلامية، وما ذلك على الله بعزيز". اهـ.

وهذا معناه أنه لا يرى أنَّ هناك دولة إسلامية غير أفغانستان بِما فِي ذلك -بلد التوحيد والسنة- المملكة العربية السعودية الَّتِي يعيش فيها، وينعم

بِخيراتِها، ويعلم منْزلة الشريعة عند علمائها وولاة أمرها، ويعلم تطبيقها للشريعة، لكن القوم لا يرضون إلا بِمن كان تابعًا لَهم فِي كل شيء حَتَّى فِي الباطل، فهذا -سيد- الذي يَمدحه هذا ويطريه لَمْ يرض بِخلافة عثمان ﷺ واعتبرها فجوة، وامتدح الثائرين عليها كما سبق، فكيف يرضى التابع بِحكومة هذه البلاد؟!

وقال فِي شرحه لكتاب من كتبه، الوجه الأول، بتاريخ (١٤١٠/١١/١٧هـ):

"سيد قطب -رحِمه الله-، ما كتب أحد أكثر مِمَّا كتب فِي هذا العصر فِي بيان حقيقة: لا إله إلا الله ....[1]، انظر مئات الصفحات من "الظلال" تتحدث عن هذا الموضوع".

قال هذا عن سيد مع أن كل صاحب عقيدة صحيحة يعلم أنَّ تفسير سيد قطب لـــ:"لا إله إلا الله" مُخالف للحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، وأنَّ المعنَى الذي فسرها بِها سيد جعله يكفِّر الْمُجتمعات قاطبة، لاسيما الَّتِي تنطق بـــ: "لا إله إلا الله".

وقال أثناء إجابته على الأسئلة:

"إن علماء أهل السنة والجماعة أجابوا عنها بلسان الحال، أو لسان

---

(١) وقد علمت ما تقدم من ضلالات سيد، لاسيما فِي العقيدة ومُخالفته لأهل السنة والجماعة فِي أبواب عقدية لا يَجوز لمسلم يتقي الله ويعرف سنة النَّبِي ﷺ ومنهج أصحابه أن يسكت عنها فضلاً عن أن يُمجد قائلها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنه إذا كان علماء السلف قالوا عن جهم بن صفوان بأنه ينبوع البدع، فالذي أراه أن سيد قطب هو ينبوع آخر للبدع فِي هذا العصر، فكيف يُمجَّد هذا التمجيد من قِبَل بعض أبناء بلد التوحيد والسنة؟!

المقال، أو تلميحًا، وقد وجدت أن أفضل من أجاب على هذه الأسئلة من فقهاء الدعوة المعاصرين هو الأستاذ سيد قطب -رحِمه الله-".اهـ.

فأنت لا تكاد تَجد فرقًا من ناحية المعنَى بين ما ذكره هذا الداعية، وما سبق نقله عن سيد قطب من غلو وتكفير، فهو نقل لمفاهيم قالَها سيد قطب، والخلاف بينهما إنَّما هو فِي الأسلوب.

وقال هذا الداعية فِي أحد كتبه، والذي سمي بعدة مسميات (ص١٢٦-١٢٧) قال مُخاطبًا هيئة كبار العلماء:

"وبعد .. الآن وبعد أن استعرضنا القضية من بدايتها، وجذورها، وخططها، وإرهاصاتِها وإخراجها أتظلُّ المسألة مسألة استعانة كما فهم المشائخ والإخوان الأفاضل أصحاب الرأي الأول؟!

أما من جهة الواقع فالمناط مُختلف جدًّا، فالهيئة -يعنِي: هيئة كبار العلماء- تقول: استعانة، وهم يقولون: احتلال، وعلينا معرفته ومدارسته والخروج بِما يبرئ الذمة، ويسقط المؤاخذة، ويدفع عذاب الله ...".اهـ.

فمع انتقاصه للعلماء فِي أكثر من مناسبة، ووصفهم بالقصور فِي معرفة الواقع وفهمه[1]، وأنه يكمِّل النقص الذي عندهم .. أثبتت الأحداث والوقائع

---

(١) حيث قال فِي شريط له يوم سئل عن سبب سكوت علماء المملكة عن فضح الأحزاب المعاصرة كحزب البعث لَما كانت أزمة الخليج، فقال: "لِماذا نضع اللوم دائمًا على جهة معينة، وخاصة الذين يعيشون معترك معين -هكذا- وظروف -هكذا- معينة تُحتم عليهم مُجاملات وأوضاع -هكذا- صعبة، نَحن الذين فِي بَحبوحة أن نقول =

صحة وبُعد نظر العلماء، وخطأ وخلل المدعين لفقه الواقع، وبُعد نظرهم عن الواقع الصحيح.

وهاهو الداعية الآخر:

١- يقول:

"فتأتِي إلَى خطيب فتجد كأنه قد أصم أذنيه ولَمْ يسمع شيئًا، يتكلم

الحق فِي بيوتنا وفِي مساجدنا ... علماؤنا يا إخوان كفاهم كفاهم لا نبرر لَهم كل شيء، لا نقول: هم معصومون، نَحن نقول: عندهم تقصير فِي معرفة الواقع، عندهم أشياء نَحن نكملهم، ليس من فضلنا عليهم لكن عشنا أحداث -هكذا- وهم ما عاشوا بِحكم الزمن الذي عاشوا، أو بحكم أوضاع أخرى، ومع ذلك أقول: المسئولية الأساسية علينا نَحن طلبة العلم بالدرجة الأولَى، وبعض هؤلاء العلماء قد بدأ يسلم بالأمر؛ لأنه -يعني- انتهوا فِي السن!!! أو إلَى مرحلة ...". اهـ.

فانظر -رعاك الله- إلَى شدة هذا الكلام والظلمات الَّتِي حواها هذا الخطاب، وصاحب هذا الخطاب لَمْ نقرأ له عن سيد قطب إلا التمجيد والتبجيل والإكبار مع علمه بِما قاله سيد من وصف نبِي الله موسى بالعصبية، ووصفه لبعض أصحاب النَّبِي ﷺ بالنفاق والغش والكذب والخداع، ومن قوله بتكفير الْمجتمعات الإسلامية -قاطبة- حكامًا ومَحكومين، ومن إحيائه لفكر الخوارج، إضافة إلى ضلالاته الأخرى الكبيرة، بينما يقف هذا الموقف المزري المشين مع علمائه ومشائخه، والنتيجة هي أن الشاب الذي يقرأ هذا الكلام سيصل إلَى أن علماء هذه البلاد غير مُخلصين، فليسوا أهلاً لأخذ العلم عنهم أو سؤالهم؛ وبالتالِي الانتقال إلَى كتب سيد قطب وأمثاله فيئول به الأمر إلَى تكفير مُجتمعه والقيام بالتفجيرات فيما بعد، كما هو حاصل الآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عن موضوع بعيد بالمرة، إما أنه يتكلم تَحت الأرض فيما يتعلق بأحوال الآخرة والقبر والموت، وإما أن يتكلم فوق السماء فيما يتعلق بأمور الجنة والنار والبعث والحساب وغيرها، كل هذه الأمور حق، والكلام فيها حق، لكن ينبغي أن الإنسان يستغل فرص كون النفوس متهيئة للوعظ والإرشاد والتوجيه وأخذ الدروس والعبر من هذه الأحداث، ويطمئن الناس على هذا الأمر، يكون مصدر طمأنينة للناس، مصدر سكون لنفوسهم، يُحيي المعانِي الإيْمَانية فِي قلوبِهم -كما ذكرت- يبين لَهم المخاطر الَّتِي تُهددهم، بِحيث يكون الكلام متعلقًا بالواقع، أما أن نعيش أحداث مؤثرة تُحرك قلوبنا جَميعًا ثُمَّ نأتِي للمتحدث أو الخطيب فنجده يتكلم فِي وادٍ آخر، فهذا فِي الواقع -يعنِي- ذهول وغيبوبة لا يَجوز أن يقع المؤمن، أو العالِم، أو الداعية ضحيتها ..".

وهذا لا يَحتاج إلَى تعليق، حيث تضمَّن الانتقاد لِمن يهتم بأمور العقيدة وتذكير الناس بآخرتِهم، وهذا لا شك من تأثير الدعوات الَّتِي وفدت إلَى بلادنا فغيَّرت المفاهيم الصحيحة واستبدلتها بِما تسميه المفاهيم الحركية، ثُمَّ إنه الآن بعد وقوع الأحداث الجسام فِي بلدنا من تكفير، وتفجير، وتدمير لَمْ نسمع له مُحاضرة واحدة عن هذه الأحداث مع انتقاده الشديد سابقًا للدعاة الذين لا يعيشون الواقع، ولا يعبرون عن الأحداث الَّتِي تقع، فبماذا يفسر هذا؟

٢- قال فِي شريط آخر له بعنوان: "هُموم ملتزمة" رقم (١٠٦) فِي بداية الوجه الأول:

"ضغوط الناس لا يُمكن إهمالُها بِحال من الأحوال الآن، ونَحن فِي

عصر صار للجماهير تأثير كبير، فأسقطوا زعماء كبار، وهزوا عروش -هكذا-، وحطموا أسوارًا وحواجز، ولا زالت صور العُزَّل الذين يواجهون الدبابات بصدورهم فِي الاتِّحاد السوفيتِي ...".

وهذا فيه تَهييج للعامة والغوغاء ضد ولاة أمرهم.

٣- وقال فِي شريط آخر:

"الرايات المرفوعة اليوم فِي طول العالَم الإسلامي وعرضه إنَّما هي رايات علمانية..".

قلت: والعلمانية معتقد كفري، فيكون جَميع ولاة المسلمين، والذين يَحكمون البلاد الإسلامية، كفارًا، وهذا ترديد لأفكار سيد قطب، لكن بعبارات مُختلفة فِي اللفظ، ومتفقة فِي المعنَى.

٤- وقال فِي شريط آخر حيث سئل: لا يَخفى عليكم نظام الحكم فِي ليبيا، وما فيها من مُحاربة للإسلام والمسلمين، فما هو واجب المسلمين هناك؟ أيفرون بدينهم؟

فأجاب: "هذا فِي كل بلد". ولَمْ يستثن بلدًا من البلدان.

٥- وقال فِي شريط آخر عن مغنٍّ يُجاهر بمعصيته، قال: "هذا لا يغفر الله له إلا أن يتوب؛ لأن النَّبِي ﷺ حكم بأنه لا يعافَى: «**كل أمتِي معافَى**». لأنَّهم مرتدون بفعلهم هذا ردة عن الإسلام، هذا مُخلد -والعياذ بالله- فِي نار جهنم إلا أن يتوب، لماذا؟ لأنه لا يؤمن بقول الله تعالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]. بالله عليكم الذي يعرف أن الزنا حرام،

وفاحشة، ويسخط الله، هل يفتخر أمام الناس، أمام الملايين، أو مئات الألوف من الناس؟! لا يفعل هذا مؤمن أبدًا".

فانظر فِي هذا الكلام الخطير، فإنه موافق لِمعتقد الخوارج الذين يكفِّرون مرتكب الكبيرة، وإلا فمن أصول أهل السنة والجماعة أن مَن مات مِن المؤمنين مصرًّا على ذنبه فهو فِي مشيئة الله وخياره، وليس لأحد أن يتسور على الله فِي علم غيبه، وبِجحود قضائه، فيقول: "إن الله لا يغفر له ...".

ومع أنه قال فِي أحد كتيباته أن العقيدة تُشرح فِي عشر دقائق، فقد وقع فِي أخطاء عقدية كثيرة -نسأل الله العافية- فكيف يكون مثل هذا الشخص إمامًا يقتدى به وداعية يشار إليه بالبنان؟! فالواجب عليه تعلُّم العقيدة الصحيحة لدى علماء بلده الأجلاء قبل أن يتصدر أو يُصَدَّر للعلم؛ فيضل بسببه أقوام وفئات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦- ومِمَّا قاله من ضمن أقوال رموز الإخوان فِي هيئة كبار العلماء وغيرهم، قال فِي شريط له:

"فِي بلاد العالَم الإسلامي اليوم جهات كثيرة جدًّا لَمْ يبق لَها من أمر الدين وقد تكون مسئولة عن الفتيا- أحيانًا- أو عن الشئون الإسلامية، لَمْ يبق لَها إلا أن تعلن دخول شهر رمضان أو خروجه ..".

٧- وفِي الْحِوار الذي أجرته معه مَجلة "الإصلاح" الإماراتية، عدد (٢٣) (ص١١) **قال:** ".... الأحداث الَّتِي حدثت فِي الخليج لَمْ تزد على أنَّها كشفت النقاب عن علل وأدواء خفية كان المسلمون يعانون منها، وأكَّدت أنَّهم

ليسوا على مستوى مواجهة مثل هذه الأحداث الكبيرة، وكشفت عن عدم وجود مرجعية علمية صحيحة وموثوقة للمسلمين، بحيث إنَّها تحصر نطاق الخلاف، وتستطيع أن تقدم لَها حلاًّ جاهزًا صحيحًا، وتَحليلاً ناضجًا"[١].

فهل يرى أن هيئة كبار العلماء مرجعية علمية غير صحيحة؟! وهل فتاواهم تَحليلات غير ناضجة؟! وهل يعد الشيخ ابن باز، وابن عثيمين -رحِمهما الله- غير موثوقين هما وغيرهما من العلماء حتَّى يعتبر وجودهم كالعدم؟! إن هذا من الظلم العظيم، والخطأ الجسيم، مع أنه مع غيره من المتأثرين بفكر الإخوان المسلمين كثيرًا ما ينادي بالعدل والإنصاف والموازنة بين الحسنات والسيئات عند ذكر الأخطاء، فأين نصيب الهيئة والدولة والعلماء المخالفين من هذه المناداة؟ أم أنَّ المقصود بِها السكوت عن أهل البدع ورموز الجماعات الحزبية؟[٢]، فإذا كان أبرز علماء العصر ليس موثوقًا بِهم فمن الذين يوثق بِهم؟!! وأين يذهب

(١) **يقول الشيخ العبَّاد في رده على هذا الداعية، والذي قبله، قال -لَما خالف رأيهما رأي هيئة كبار العلماء في الاستعانة بالقوات الأجنبية ضد حاكم العراق-**: "إن مَجيء تلك القوات إنَّما كان ضرورة، وهو نظير استعانة المسلم بغير المسلم في التخلص من اعتداء لصوص أرادوا اقتحام داره، ومُمارسة أنواع الإجرام فيها وفي أهلها، أفيقال لِهذا المعتدى عليه: لا يسوغ لك الاستعانة بكافر في دفع ذلك الضرر؟! ثُمَّ إن الخلاف حاصل في كثير من مسائل العلم منذ زمن الصحابة، ولَمْ يكن بعضهم يسفه بعضًا، فضلاً عن أن يكون الصغار هم الذين يَجرؤون على تسفيه الكبار، كما حصل مع هذين الشابين -أصلحهما الله-"اهـ. "مدارك النظر" (ص ١٢).

(٢) بل إنه مِمَّن أثنَى على رموز الإخوان: البنا، وسيد قطب، ومُحمَّد قطب، وغيرهم، ومدح مناهجهم كما في شريطه: "تقويْم الرجال" بينما في كتاب آخر له ركَّز على انتقاد أهل الحديث، وعلى من يشتغل بالفقه بِحجة الاستغراق في الْجزئيات.

الناس لمعرفة دينهم؟

ومع الأسف أنه ما زال عند رأيه، وما زال ينادي بإيْجاد مرجعية علمية للمسلمين غير رسمية؟ كما ينادي بذلك القرضاوي وغيره من حزب الإخوان، وهذا يدل على أنَّهم لا يعتبرون صحة أي بيعة من البيعات الموجودة لولاة الأمور فِي العالَم الإسلامي، وإلا فكيف تسير الأمور -ومنها الإفتاء وتطبيق الأحكام على الناس- إذا لَمْ تكن هناك جهة رسْمية يوكل إليها مثل هذه الأمور ...؟

ثُمَّ إن ما تقدم من الطعن فِي العلماء، وانتقاصهم جعل الثقة بالعلماء تَهتز لدى الشباب، وينصرف الشباب عنهم إلَى من يظنون عنده العلم بفقه الواقع، مِمَّا جعلهم يقعون فِي أخطاء قاتلة، أخطاء ضالة ومضلة، مثلما نرى اليوم فِي بلادنا، وفِي غيرها مِمَّن انْخرط فِي الجماعات الحزبية، وانْخدع بشعاراتِها المرفوعة، ولَمْ يفطن وينتبه لِحقيقة ما يراد به، وبدينه، وعلمائه، وبلده، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا الداعية الثالث يقول فِي شريط له:

١- "والإسلام أوسع من أن تَجعل لِي دوائر ضيقة لتقييدي الإسلام رحب، والإسلام واسع، أستفيد من كل أحد، الداعية الذي يهتم بالرقائق معي، والداعية الذي يهتم بالعقيدة معي، والداعية الذي ينادي بالحاكمية لله معي، أما أن يَجعل الإنسان حوله دوائر مغلقة، ويرى أن من دخل معه هو المصيب، ومن خالفه فهو المخطئ، فلا".

وهذا الكلام فيه عموم وإجْمال لا يصلح أن يسلكه الداعية، بل الواجب التفصيل فِي مثل هذه الأمور، وبيان أن الواجب عند الخلاف والتنازع هو الرد إلَى كتاب الله، وإلَى سنة رسوله وفهمها وفق فهم سلف الأمة، وبيان أن الذي يقتدى به من العلماء والدعاة هم من كان على المنهج الصحيح، ولا يصلح الأخذ عمن هب ودب حَتَّى وإن ادعى العلم.

٢- **وقال فِي خطبة جُمعة**: "والذي نفسي بيده لقد خرج بالجزائر فِي يوم واحد سبعمائة ألف امرأة مسلمة متحجبة يطالبن بتحكيم شرع الله".

وهذا العمل ليس من السنة فِي شيء، والشيخ -عفا الله عنا وعنه- عنده شطحات كثيرة فِي بعض كتبه، وخطبه، ومؤلفاته، وأشرطته، وأشعاره، ومنها ذا الطابع الثوري، وتقطر عباراته بالتحريض على الخروج، وهي مثل العبارات الَّتي يقولُها الثُّوَّار فِي مصر والجزائر وغيرهما، ولعله رجع عنها -عفا الله عنا وعنه- لكن شباب الصحوة ما زالوا يتناقلونَها، والواجب عليه أن يوضِّح رأيه فيها بِجلاء، وأن يتبرأ مِمَّا خالف فيه الحق، وأن يذكر ذلك بالتفصيل.

٣- **ويقول فِي إحدى رسائله** (ص٨):

"وباكستان أرض الأستاذ أبو الأعلى المودودي الداعية الشهير، والكاتب الخطير، والذي أوذي فِي سبيل الله وصبر واحتسب:

نفسي فدتك أبا الأعلـــى وهل بقيت نفسي لأفديك من أهل ومن صحب

أما استحى السجن من شيخ ومفرقه نور لغير طـــلاب الْحَـــق لَمْ يشـــب

وقال فِي رسالته "كتب فِي الساحة الإسلامية" (ص٦٦)، وهو يتكلم عن الكتب الْمُهمة فِي هذا العصر قال:

"وكتب سيد قطب، ومُحمَّد قطب، وكتب أبِي الأعلى المودودي، وأبِي الحسن الندوي، وكتب "المنطلق" و"الرقائق" و"العوائق" لمحمد أحمد الراشد وغيرهم ..."[1].

قلت: فإما أنه لَمْ يعرف ما فيها من باطل، وأثنَى عليها بغير علم، وهذه مصيبة، وإما أنه يعرف ما فيها من باطل وكتمه؛ بل وجعله حقًّا، فالمصيبة أعظم.

❀❀❀

(١) ومع أنه أشاد بهؤلاء الذين هم رموز التكفير والبدعة والدعوة إلى الثورات والانقلابات فِي هذا العصر انتقص علماء بلده، ووصفهم فِي عدة مقابلات له بأنَّهم يعيشون فِي أبراج عاجية، وانتقد بعض كتب أئمة الدعوة، ويدعو -كما يقول- إلَى وحدة الصف لا إلَى وحدة الرأي، ويزعم كما فِي جريدة "الوطن"، العدد (١٢١٣) فِي (١٢/٣/ ١٤٢٤هـ) أنه لَمْ يطلب من الناس أن يتفقوا فِي كل مسألة، لَمْ يُطلب منهم هذا شرعًا، ولا قدرًا، ولا طُلب منهم عقلاً، هكذا قال، وكأنه لَمْ يقرأ قول الله تعالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾. وخلط بين الشرعي والكونِي القدري .. والتناقض سِمة ظاهرة فِي أقوال وكتابات هذا الداعية.

ادعاء الإخوان المسلمين العلم بالواقع وتكذيب الواقع لذلك

لَما أدخل الإخوان المسلمون أتباعهم فِي العمل السياسي[1] مُخالفين هدي الأنبياء؛ فقد وقعوا فِي فرقة عظيمة، وكل من تبعهم فِي ذلك مِمَّن تأثر بِهم فِي البلاد الإسلامية تَجده يُخالف علماء بلده، حَتَّى وإن كان علماء بلده من أعلم الناس بالإسلام، وأعرفهم بالسنة، ومِن أتقى الناس كعلماء بلادنا السعودية -حرسها الله- هكذا نَحسبهم، والله حسيبهم- لَمَا وجد فِي بلدنا من تأثر بدعوة الإخوان المسلمين فتعلق بالسياسة وجد الاختلاف والتفرق، وانْحاز المخالفون عن علمائنا، وسَموا أنفسهم بـــ"دعاة الصحوة"، وسَموا شبابَهم بـــ"شباب الصحوة".

ومع أن الإخوان المسلمين بِمختلف توجهاتِهم يرون أنفسهم عالِمين بالواقع، ويضحكون على العلماء السلفيين ويسخرون منهم، ويتهمونَهم بعدم الفهم بعلم الواقع؛ فإن التاريخ الحديث برهن -بلا خفاء- على أنه لا يُعرف

(١) ليس معنَى ذلك أن الدين لا علاقة له بالسياسة، ولكن أن يُجعل الدين تبعًا للسياسة هذا هو الْمحذور لا أن تُجعل السياسة تبعًا للدين.

فِي المسلمين أغبَى ولا أجهل بالواقع منهم[1].

*** وإليك بعض الأمثلة الَّتي تُبيِّن سرعة تغرير أعدائهم بِهم:**

من هم الذين استغلهم الضباط الأحرار بِمصر ليصلوا بِهم إلَى مآربِهم ثُمَّ يقضوا عليهم؟ الإخوان أم السلفيون؟!

من هم الذين منَّاهم بعض الحكام بالعمل بالشريعة، وأظهروا لَهم بعض الشعارات الدينية حَتَّى أعطوهم أفئدتَهم؟ آلمتبجحون بفقه الواقع أم السلفيون؟!

من هم الذين استهزأت بِهم أمريكا فِي قضية أفغانستان؟!

من هم الذين لعب بِهم فيها حَتَّى حكمهم شر المتصوفة؟!

من هم الذين أفتوا بدخول البرلَمانات، ووقعوا فِي شراك الانتخابات مُحسنين ظنونَهم بالديْمُقراطيات مصدقيها حين وعدتْهم بالحكم إن كانت لَهم الأصوات، وكانت نِهايتها زيارة السجون، وعد المقاعد فِي الأموات؟!

من هم الذين خدعهم الخمينِي بدولته الرافضية يوم سقط الشاه، آلسلفيون أم الحركيون عن بكرة أبيهم؟!

من هم الذين حَرَّموا الاستعانة بأمريكا وحلفائها فِي قضية الخليج ثُمَّ استعانوا، وسكتوا عمن استعان بالمليشيات الشيوعية فِي أفغانستان، وكذا استعانة الأكراد فِي شَمال العراق، وكذا استعانة مسلمي البوسنة والهرسك ببعض

(١) لأنَّهم ليسوا علماء فِي الشريعة، وليسوا فقهاء فِي السياسة، وفق مفهومها لدى الساسة، فلا أقاموا دينًا، ولا أبقوا دنيا، وذاق المسلمون الأَمَرَّين منهم.

النصارى، وكذا شد حزب جبهة الإنقاذ الجزائرية رحاله إلَى الفاتيكان بإيطاليا، وقد استنجدوا به مرتين، واجتمعوا هناك تحت إشراف النصارى يريدون حل مشكلتهم عند من كانوا ولا يزالون سبب مشكلتهم؟! ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

مِمَّا يدل على أن هؤلاء الْمُحرمين الْمُحللين يستغلون الدين ولا يتبعون الدين.

من هم الذين غرهم زعيم البعث العراقِي أيام حربه مع الرفض الإيرانِي حَتَّى شبهوه بفاتح القادسية؟!! اسألوهم عن ذلك، ومنهم عبد الرحمن عبد الخالق، ولِماذا غيَّر رأيه فيه بعد حرب الخليج؟!

مَنْ مِن الحركيين لَمْ يكن مع العراق؛ بل مع صدام المستولِي على الكويت ... وتالله إنَّها لإحدى الكبر، نذيرًا لِمن أراد أن يتبين وعي مُتتبعي سياسات البشر، يا لَها من مهزلة، صلى صدام بالتليفزيون ركعتين، فإذا بالأمم والشعوب الإسلامية بدعاتِها -حاشا السلفيين- وراءه بالنفس والنفيس[1].

(١) انظر: "مدارك النظر" (ص ٢١٣-٢١٤).

وأخيرًا: هل الإخوان المسلمون يريدون الدين أم يريدون الدولة « الحكم »؟

لو نظرنا إلَى موقف الإخوان المسلمين من الأحزاب العلمانية والقومية والبعثية، بل والأديان كاليهودية والنصرانية، فإنا نجده موقفًا يوصف بأنه سلمي أخوي.

يدل على ذلك قول البنا أمام لَجنة الْحُقوق البريطانية والأمريكية لبحث قضية فلسطين: "إنه لا يريد أن يتحدث عن مشكلة فلسطين من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد طال فيها البحث ولا حاجة إلَى تكرار ما قيل، والناحية الَّتِي سأتحدث عنها من الوجهة الدينية .. فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست خصومة دينية؛ لأن القرآن الكريْم حض على مصافاتِهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وقد أثنَى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا". اهـ[1].

وقال البنا فِي أحد احتفالاتِهم: "وليست حركة الإخوان موجهة ضد عقيدة من العقائد، أو دين من الأديان، أو طائفة من الطوائف ... ولا يكره الإخوان

---

(١) انظر: "الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ" (١/٤٠٩-٤١٠).

المسلمون الأجانب النُّزلاء فِي البلاد العربية والإسلامية، ولا يضمرون لَهم سوءًا، حَتَّى اليهود المواطنين لَمْ يكن بيننا وبينهم إلا العلائق الطيبة"[١].

ويقول يوسف القرضاوي فِي حديث لِجَريدة "الراية القطرية"، عدد (٤٦٩٦):

"إننا لا نقاتل اليهود من أجل العقيدة، وإنَّما من أجل الأرض".

ولَما أفتَى الشيخ عبد العزيز بن باز -رحِمه الله- بِجواز الصلح مع اليهود، والنَّبِي ﷺ قد صالَح المشركين ... رمى القرضاوي الشيخ ابن باز بأنه يفتِي فيما ليس له به علم، وذلك قوله: "وهل الشيخ على علم حقًّا بِما يَجري حَتَّى يدلي بدلوه فِي هذا الوقت بالذات، وفِي مثل هذا الموضوع الخطير؟ ..."[٢].

ثُمَّ صار بعض كُتَّاب مَجلة "السنة" يسخرون من الشيخ عبد العزيز بن باز -رحِمه الله- فمنهم من يقول: "هل يعرف الشيخ ما معنَى المستعمرة الاستيطانية؟ لا أظنُّ أنه فِي هذه السنِّ يُمكنه أن يدع أحدًا من تلاميذه أن يشرح ويوضح له هذا المصطلح وما يترتب عليه من استيطان اليهود".

قلت[٣]: إذن فالشيخ لا يعرف، ولا يُحب أن يعرف لأن كبر سنه ورثه كثيرًا عن تقبُّل النصح.

ومع هذه التهم الهالكة، فإن الشيخ فِي أدبه الذي لا يشق له غبار لَمْ يزد أن قال بعد البيان العلمي: "ما ذكرنا فِي الصلح مع اليهود أوضحنا أدلته

---

(١) انظر: "الطريق إلَى الجماعة الأم" (ص ١٣٢).

(٢) مَجلة "الْمُجتمع"، عدد (١١٣٣).

(٣) القول لِمجلة السنة.

الشرعية ... فأرجو من فضيلة الشيخ يوسف وغيره من إخوانِي أهل العلم إعادة النظر فِي هذا الأمر بناءً على الأدلة الشرعية لا على العاطفة والاستحسان"[١].

يقول الشيخ عبد الْمَالك رمضانِي معلقًا على كلام الدكتور يوسف القرضاوي، يقول: "كان الأولَى بالدكتور ألاَّ يفتح هذا الباب بِمثل ذلك الطعن المرمم بالسؤال، بل كان الأولَى به أن يبري قلمه لتقويْم جَماعته "الإخوان المسلمون" فقد نادوا بلا استحياء أن النصارى إخوانُهم، وقالوا فِي بيانِهم المؤرخ فِي (١١/٣٠/ ١٤١٥هـ): "وموقفنا من إخواننا المسيحيين فِي مصر والعالَم العربِي موقف واضح قديْم ومعروف، لَهم ما لنا وعليهم ما علينا، وهم شركاء فِي الوطن، وإخوة فِي الكفاح الوطنِي الطويل، فلهم كل حقوق المواطن المادي منها والمعنوي، المدنِي منها والسياسي ... ومن قال غير ذلك فنحن براء منه، ومِمَّا يقول ويفعل"[٢].

قال: وجعلوا الشورى الإسلامية أختًا للديمقراطية الكافرة، فقالوا: "وإذا كان للشورى معناها الخاص فِي نظر الإسلام، فإنَّها تلتقي فِي الجوهر مع النظام الديمقراطي"، وفيه -فِي البيان- دعوتُهم الحكومة أن تلتزم بالقانون الوضعي لا الشريعة، فقالوا: "بإصرار الإخوان على مطالبة الحكومة بألاَّ تقابل العنف بالعنف، وأن تلتزم بأحكام القانون والقضاء".

بل رضوا لأنفسهم بذلك فقالوا: "ولكنهم -أي: الإخوان- ظلوا على

---

(١) جريدة المسلمون (٢٥ رمضان ١٤١٥هـ). نقلاً من كتاب "مدارك النظر" (ص ٢٢٠).
(٢) "مدارك النظر" (ص ٢٢٠) نقلاً عن مَجلة "الْمُجتمع"، عدد (١١٤٩)، (ص ٤٠-٤١).

الدوام ملتزمين بأحكام الدستور والقانون".

ولَمْ يقولوا ذلك عن تقية منهم بل عن قناعة كما شهدوا على أنفسهم قائلين: "والأمر فِي ذلك كان ليس أمر سياسة أو مناورة، ولكن أمر دين وعقيدة يلقى عليها الإخوان ربَّهم: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]".

قال الشيخ عبد الْمَالك: "قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، آجركم الله فِي مصابكم يا دكتور يوسف؛ لِمَ لا توجه نقدك إلَى هؤلاء، فالأقربين أولَى بالمعروف، بل أعد البنيان من أساسه، فإن الأمر لا يَجبره الترميم؛ إذ الخلل عقدي وقديْم ...".

ثُمَّ نقل كلام البنا المتقدم، وقال: "وهذا خطأ فادح كان الأولَى بالدكتور أن يراجع كلمة قطبه فهي خطأ فادح، وأين خطأ العلامة ابن باز -لو كان خطأ- مِن هذه الَّتِي صرح بعض أهل العلم فيها بأنَّه ليس بينها وبين الكفر حجاب، أهذا التحامي على الباطل غيرة على الدين وحرب على اليهود أم حرب على المنهج السلفي؟!

شكوت إلَى القرضاوي ما قاله شيخه البنا، فإذا بِي أجدنِي ضيعت شكواي؛ لأن القرضاوي نفسه على دربه يسير.

ثُمَّ نقل كلام القرضاوي الْمُتقدم: "إننا لا نقاتل اليهود من أجل العقيدة .. إلخ"[1].

---

(١) "المدارك" (ص ٢٢٠-٢٢٢).

وقال الشيخ عبد الْمُحسن بن حَمَد العبَّاد فِي رده على الْمُتأثرين بانتقاد القرضاوي للشيخ عبد العزيز بن باز قال: "إن فتواه فِي صلح الفلسطينيين مع اليهود الَّتِي لَمزه فيها هذا المفتون مشيرًا إِلَى اعتراض بعض المعترضين عليها، فمن المعلوم أنَّها فتوى فِي صلح بين ظالِم ومظلوم، وبين مغتصب أرضًا وبين من اغتصبت أرضهم، وصاروا مشردين مشتتين عشرين عامًا، ثُمَّ اغتُصب جزء كبير من أرضهم، ومضى على الاغتصاب الأخير أكثر من ربع قرن، ولَمْ يستطيعوا استرجاع أرضهم، فإذا رأى المظلوم أن يَحصل على بعض أرضه من ظالِمه ليعود إليها ويستقر فيها، فأي مانع يَمنع من ذلك؟ وإذا اعتدى لصوص على شخص وسلبوا كل ما معه من مال، ولَمْ يتمكن من استعادته، وهو مضطر إِلَى بعضه وأمكنه الحصول عليه، أفيقال له: لا يَحل لك ذلك؟ بل إما كله أو لا شيء؟ وإذا كان أحد المعترضين -يقصد يوسف القرضاوي- قد قال: "فنحن لا نقاتل اليهود من أجل العقيدة؛ إنَّما من أجل الأرض، لا نقاتلهم لأنَّهم كفار، إنَّما نقاتلهم لأنَّهم اغتصبوا أرضنا، وأخذوها بغير حق". فكيف يعترض على الفتوى للمظلوم بأن يأخذ بعض أرضه إذا لَمْ يمكن الحصول على أرضه كلها؟!"[1].

وأعود الآن إِلَى نقل بعض كلام قادة الإخوان الذي يبين موقفهم من الدين:

يقول السباعي: "فليس الإسلام دينًا معاديًا للنصرانية، بل هو معترف بِها مقدس لَها، والإسلام لا يفرق بين مسلم ومسيحي، ولا يعطي لمسلم

---

(١) "مدارك النظر" (ص ١٦-١٧).

حقًّا فِي الدولة أكثر من المسيحي، والدستور ينص على مساواة المواطنين جَميعًا فِي الحقوق والواجبات.

* **ثُمَّ اقترح أربع مواد:**

- الإسلام دين الدولة الإسلامية.

- الأديان السماوية مُحترمة ومقدسة.

- الأموال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية.

- لا يُحال بين مواطن وبين الوصول إلَى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين، أو الجنس، أو اللغة"[1].

فيقال له ولإخوانه الإخوان: أرأيتم لو أن نصرانيًّا تولَى سُدَّة حكم المسلمين، فإنه -والحال هذه- سيكون حاكمًا شرعيًّا -عندكم وفِي زعمكم- لا يَجوز الخروج عليه، فما بالكم تُجيزون الخروج على حكام المسلمين وهم لَمْ يبلغوا مبلغ أولئك؟!!

وأيضًا انظر كتاب: "من هنا نعلم" (ص١٥٠-١٥٣) **لمحمد الغزالي:** فقد ذكر مثل ما ذكره مصطفى السباعي وأشد، وكذلك فعل الترابي حين كان متنفذًا فِي الحكم فِي السودان فوافق على جعل نائب الرئيس نصرانيًّا، وكثير من وزراء الدولة نصارى، وكثير منهم فِي مجلس الشعب.

ثُمَّ لو قرأت فِي كتاب "العدالة الاجتماعية" لسيد قطب، و"الإسلام

---

(١) انظر: "الطريق إلَى الجماعة الأم" (ص ١٣٤).

والاشتراكية" لِمحمد الغزالِي، و"الإسلام المفترى عليه" له أيضًا، و"الاشتراكية الإسلامية" لمصطفى السباعي، وغيرها كثير؛ لوجدت أن قادة الإخوان المسلمين من الدعاة إلَى الاشتراكية.

وإذا نظرت إلَى بعض مؤلفات الغزالِي، والقرضاوي، وفتحي يكن، والترابِي وغيرهم من الإخوان وجدت السخرية والاستهزاء بِمن يبين المعتقد الصحيح من أهل السنة والجماعة، ويُحذر من البدع وأهلها بِحجة أن هذا تضييع للوقت فِي مواجهة الفرق العقدية بزعم اندراسها.

وأما تكفير القطبيين للمجتمعات الإسلامية قاطبة فهذا حدِّث عنه ولا حرج، وقد تقدَّمت النقول المستفيضة من كتب سيد قطب وغيره الَّتِي تدل على ذلك، واعترافهم هم أنفسهم بذلك كما ذكر القرضاوي فِي كتابه "أولويات الحركة الإسلامية" عن فكر سيد قطب.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل الإخوان المسلمون يريدون الدين أم الدولة؟

هل رَفْع شعار الدين والمناداة بتحكيم الشريعة مقصود لذاته أم من أجل الوصول للحكم، فيكون رفع هذا الشعار من باب السياسة؟

والْجَواب: أن المناداة بتحكيم الشريعة لا يستقيم مع ما سبق تسطيره من أفكارهم، ومن ذلك اعتبارهم أن العداوة مع اليهود والنصارى ليست دينية[1]، وأن

---

(١) وليس معنَى ذلك ظلمهم، أو الاعتداء عليهم بغير حق أو سلبهم حقوقهم، وإنَّما المقصود تَحقيق معنَى الولاء والبراء، والحب والبغض فِي الله، أي: من الناحية الدينية.

المسلمين إخوة للنصارى، وأنَّ الإسلام لا يعطي للمسلم حقًّا فِي الدولة أكثر من المسيحي.

والمناداة بالالتزام بأحكام القانون الوضعي والديْمُقراطية -وهي فِي فهم الغرب لَها هي والعلمانية شيء واحد- والمناداة بالاشتراكية، وهدم قاعدة الولاء والبراء فِي الإسلام، وتكفير المسلمين عند الحاجة، والتحالف مع العلمانيين عند الحاجة أيضًا، والتناقض فِي الطرح.

إن تَحكيم الشريعة بِمعناها العام -وهو الالتزام بشرع الله عقيدة، وعبادة ومعاملة- وبِمعناها الخاص -تَحكيم الشريعة فِي الأحكام بين الناس- لا يستقيم مع المبادئ والأسس والأحكام الَّتِي يطرحها قادة ومفكرو جَماعة الإخوان المسلمين بِمختلف فئاتِها؛ حيث جعلوا الميزان هو قول الْمنَظِّرين والقادة، وأن النظر للموافق والمخالف يكون بحسب قربه وبعده من الجماعة.

فالولاء لِمن كان مع الجماعة مهما كان معتقده، والبراء هو مِمَّن لا يرضى بأفكار هذه الجماعة ولو كان أعلم الناس، وأتقى الناس، كما أسلفنا النقل عن أحد قادتِهم، وهو قوله: "بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون فِي صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بِخططهم ونظامهم، ولو كان أروع الدعاة فهمًا للإسلام وعقيدته، وأكثرهم قراءة للكتب، ومن أشد المسلمين حَماسًا، وأخشعهم فِي الصلاة". اهـ.

إذن فنسبة ذلك المنهج -أعنِي: المنهج الذي سار عليه الإخوان المسلمين- إلَى الشرع، أو أنه من الشرع إنَّما يدخل -كما أسلفت- فيما

يسميه العلماء "الشرع المبدَّل" أي: الْمحرف والمؤول والمغيَّر، لا الشرع الْمُنَزَّل الذي دل عليه الكتاب والسنة وفَهِمَه سلفُ الأمة وساروا عليه، وهو الذي يَجب اتباعه، ولا تَجوز مُخالفته سواء ما يتعلق منه بالعقيدة، أو العبادة، أو المعاملة، أو الحكم، أو السلوك والأخلاق والآداب.

نقد لبعض المؤلفات التي تؤصل للمنهج الإخواني لاسيما تلك التي تقوم على نقض البيعة وهدم كيان الدولة؛ لأنها ليست شرعية في نظرهم

* **من هذه الكتب:**

أولاً: كتاب: "كيف الأمر إذا لَمْ تكن جَماعة دراسات حول الْجَماعة والجماعات".

اسم الْمُؤلف: د. عبد الحميد هنداوي، كما هو مُدوَّن على غلاف الكتاب.

وقد جاء على غلاف الكتاب: قرَّظه وأثنَى عليه فضيلة الشيخ مُحمَّد عبد المقصود عفيفي، وقرظ موجزًا له: أ.د. سعود الفنيسان، عميد كلية الشريعة بِجامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلامية.

الناشر: مكتبة التابعين بالقاهرة، الطبعة الثانية لعام ١٤١٨هـ.

موضوع الكتاب: تَحدث فيه المؤلف عن معنَى الجماعة والإمامة، وعن الجماعات الإسلامية المعاصرة، وعن الواجب على المسلم فِي هذا العصر تِجاه الجماعة والإمامة، وعن مدى انطباق معنَى الجماعة والإمامة على المسلمين فِي هذا العصر، وتَحدث أيضًا عن حكم العُزلة والخلطة فِي غياب الخلافة، وعن مشروعية العمل الجماعي.

- أهم الْمُلحوظات الَّتي تلاحظ على الكتاب:

أولاً: أنه أشاد فِي المقدمة بِمن استفاد منهم فِي هذا البحث، أو قرءوه وأثنوا عليه، وذكر منهم:

أ.د. سعود الفنيسان، د. مصطفى حلمي، د. صلاح الصاوي، د. مُحمَّد عبد المقصود عفيفي، الشيخ سعيد عبد العظيم، والشيخ مُحمَّد حسين يعقوب، والشيخ سيد العربِي، والشيخ عمرو عبد اللطيف.

وقال فِي (ص١١): وأخص بالشكر، وخالص الدعاء كلاً من الأساتذة الأفاضل والعلماء الأجلاء: بكر أبو زيد -حفظه الله-، وفضيلة الشيخ سلمان ابن فهد العودة -حفظه الله-، وفضيلة الدكتور صلاح الصاوي، والأستاذ جَمال سلطان على ما أفدت من كتبهم القيمة حول هذا الموضوع.

كما أنه فِي (ص ١٠٤) أشاد برسالة سفر الحوالِي "العلمانية" كما أشاد بكتاب الدكتور صلاح الصاوي "جَماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها"[(١)]، وكتاب: "موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية" لعبد الهادي المصري.

ومعظم هؤلاء الذين أشاد بِهم وبِمؤلفاتِهم[(٢)] معروفون من خلال كتاباتِهم

---

(١) هذا الكتاب لا يقل خطورة عن كتاب: "كيف الأمر إذا لَمْ تكن جَماعة"، وسأذكر فِي نِهاية البيان موجزًا عن هذا الكتاب.

(٢) وأرى أن ذكره للدكتور بكر، هو من باب التلبيس على القراء، وإلا فكتابات فضيلة الدكتور بكر ترد على هذا الفكر، لاسيما ما ذكره فِي كتابيه "حكم الانتماء للجماعات والأفراد"، و"من أصول أهل السنة والجماعة الرد على المخالف" فهذه الكتب ترد على =

بانتمائهم الفكري لِجماعة الإخوان المسلمين، والَّتي تعتبر العباءة والغطاء لمعظم الجماعات الدعوية المعاصرة، سواء الَّتي تعلن التكفير، أو الَّتي تستتر ولا تعلن ذلك، فالسرورية، وجَماعة الجهاد، وجَماعة التكفير، وغيرها كلها نتاج لِجماعة الإخوان المسلمين، ومنهج جَماعة الإخوان المسلمين قابل لأن يدخل فيه كل أحد طالَما أنه يعلن الإسلام ولو كان نفاقًا أو يستتر لمآرب يريدها.

وأخطر ما فِي كتابات هؤلاء المتقدم ذكرهم وغيرهم كمحمد سرور زين العابدين، أخطر ما فِي كتاباتِهم أنَّهم يكتبون، أو يتحدثون باسم أهل السنة والجماعة، ومعتقد أهل السنة والجماعة، ومنهج أهل السنة والجماعة، مِمَّا يَجعل كتابتهم تروج وتنطلي على الكثير، ولو كتبوا باسم جَماعة الإخوان المسلمين، أو أفصحوا عن حقيقة أمرهم لعُرفوا، لكنهم جعلوا كتاباتِهم ومقالاتِهم باسم أهل السنة والجماعة، وخلطوا الحق بالباطل فِي كثير من الأمور على طريقة المبتدعة.

قال بعض السلف: "لو كان صاحب البدعة إذا جلست يُحدثك ببدعته؛ حذرته وفررت منه، ولكن يُحدثك بأحاديث السنة فِي بُدُوِّ مَجلسه، ثُمَّ يُدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك، فمتَى تَخرج من قلبك؟!!".اهـ.

ومؤلف الكتاب الذي أتَّحدث عنه -وهو الدكتور عبد الحميد هنداوي- سلك المسلك نفسه، فإنه جعل حديثه وكلامه باسم أهل السنة والجماعة،

ما فِي هذا الكتاب وأمثاله، كما أن الدكتور بكر أبو زيد -حفظه الله- معروف بعلمه، وسلفية معتقده، وحسن منهجه، هكذا أحسبه، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا.

ومنهج أهل السنة والجماعة، بل ذهب إلَى أبعد من ذلك، فإنه تكلم باسم السلف، ومنهج السلف، وأكثر النقول عن أئمة السلف؛ لكنه أوَّلَ بعض هذه النقول على غير معانيها الصحيحة فِي كتابه هذا.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فأصل خراب الدين والدنيا؛ إنَّما هو التأويل الفاسد الذي لَمْ يُرِده الله ورسوله ﷺ بكلامه، ولا دل عليه أنه مراده".اهـ.

*** إذن فملخص ما جاء فِي المقدمة:**

أ- الإشادة ببعض من عُرفوا بِمنهجهم المنحرف، وإظهارهم على أنَّهم علماء يقتدى بِهم.

ب- الانتماء الفكري لِجماعة الإخوان المسلمين.

ج- التلبيس على الناس بالكتابة باسم منهج أهل السنة والجماعة، ومعتقد أهل السنة والجماعة، وهم من أبعد الناس عن ذلك.

ثانيًا: أنه قسَّم معنَى الجماعة فِي منهج السلف إلَى معنيين: حسي وعلمي، وزعم أن الأقوال الواردة عن السلف الصالِح فِي معنَى الجماعة تدل على هذا، ورتب على هذا أمورًا خاطئة، وسأنقل بعض كلامه.

يقول (ص١٥): "الأقوال الواردة عن السلف فِي معنَى الجماعة ترجع عند التحقيق إلَى قولين اثنين:

القول الأول: إن الجماعة هم الذين فِي طاعة من اجتمعوا على تأميره، وهو الإمام الموافق للكتاب والسنة، وهذا هو المعنَى الحسي للجماعة، وأحيانًا يسمى السياسي.

القول الثاني: إن الجماعة هم من كان على ما كان عليه النَّبِي ﷺ وأصحابه سواء وُجِد الإمام، أو لَمْ يُوجد، وهذا هو المعنَى العلمي أو الروحي للجماعة".

ويقول عن الإمامة: "هي حَمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي فِي مصالِحهم الأخروية ...".

إلَى أن يقول: "ومن خلال النظر فِي واقع المسلمين، نتبين أن المسلمين اليوم ليس لَهم جَماعة بالمعنَى الحسي للجماعة؛ وذلك لعدم اجتماعهم على إمام موافق للشرع قد اجتمعت عليه بيعة أهل الحل والعقد، ولا يوجد كذلك إمام مستخلف، ولا متغلب على الخلافة يَحمل الكافة على مقتضى الشرع، ومن ثَم فليس للمسلمين اليوم جَماعة، ولا إمام بالمعنَى الحسي".

ويقول أيضًا: "الجماعات الإسلامية المعاصرة -باستثناء الجماعات الشاذة عن أصول أهل السنة والجماعة كالتكفير مثلاً- يتحقق لَها وصف ملازمة جَماعة المسلمين بالمعنَى؛ وذلك لملازمتها فِي الجملة أصول أهل السنة والجماعة فِي العقيدة والمنهج...".

إلَى أن يقول: "لزوم الجماعة بالمعنَى العلمي فِي واقعنا المعاصر لا يشترط له الدخول فِي جَماعة من الجماعات الحالية، وإنَّما يتحقق ذلك بلزوم ما أجْمع عليه أهل الحل والعقد، ولزوم ما كان عليه النَّبِي ﷺ فِي العقيدة والمنهج، ويكون ذلك بِمتابعة علماء السنة والجماعة بغير تَحيز، ولا تقصد لِجماعة بعينها من الجماعات ...".

ويقول أيضًا: "لزوم الجماعة بمعناها الحسي في واقعنا المعاصر يكون بلزوم ما أجْمع عليه أهل الحل والعقد في الأمة، أو لزوم ما اتَّفق عليه جُمهورهم ...".

ويقول في (ص١٠١): "فالحق أن من يستقرئ واقع المسلمين اليوم، يستطيع أن يتبين أن المسلمين اليوم جَميعًا في مشارق الأرض ومغاربها ليس لَهم جَماعة حسب المعنَى الأول للجماعة، وهو الحسي، أو ما يسميه البعض بالمعنَى السياسي، بمعنَى: أنَّهم ليسوا مُجتمعين على طاعة إمام واحد، وبالتالي فإنَّهم ليس لَهم إمام أو خليفة، وذلك لأن كلا الأمرين ملازم للآخر، بحيث إذا وجد الإمام وجدت الجماعة، وإذا وجدت الجماعة وجد الإمام، فهما أمران متلازمان لا يوجد أحدهُما دون الآخر؛ إذ إنه لا جَماعة بلا إمام، وذلك بالمعنَى الحسي للجماعة، أما ملازمة الجماعة بمعنَى ملازمة المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فإن هذا المعنَى باقٍ إلَى قيام الساعة ...".

إلَى أن يقول: "فالمسلمون الآن جَميعًا[1] بلا جَماعة ولا إمام، وقد يعترض البعض على هذا بوجود دولة مثل دولة أفغانستان؛ إذ إن لَها حكومة إسلامية وراية إسلامية قائمة على الجهاد في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله مُحمَّد رسول الله، ومواجهة قُوى الكُفر والطغيان الْمُحادِّين لله تعالَى، ولكن الحق أن دولة أفغانستان -وإن كانت مسلمة- كانت نتاج جهاد إسلامي رائع ... إلا أن دولة أفغانستان لَمْ تُعلن أنَّها دولةُ الخلافة، ولَمْ يُعلن رئيسها

(١) لاحظ كلمة: "جَميعًا".

أنه خليفة للمسلمين، ولا طلب بيعة أهل الحل والعقد له، ولا بايعه أهل الحل والعقد من المسلمين، فمثل هذا ليس خليفة ولا إمامًا للمسلمين يقينًا، حَتَّى وإن كان مستحقًّا للإمامة مستجمعًا لصفاتِها.

ولو حدث أن دعا إلَى نفسه وتَمت له البيعة لأمكننا أن نقول: إن المسلمين قد صارت لَهم دار خلافة، وصار لَهم جَماعة وإمام يَجب أن يرجعوا إليه، وأن يأتَمروا بأمره، وينتهوا بنهيه وتكون الهجرة إليه واجبة ...".

إلَى أن يقول: "ولكن الحقيقة الَّتِي يؤيدها الواقع أن ذلك لَمْ يَحدث، ومن ثَمَّ فإن التوصيف الصحيح لِجماعة المسلمين فِي أفغانستان أنَّها جَماعة من المسلمين الْمجاهدين فِي سبيل الله، يَجوز للمسلم أن يهاجر إليها وأن يعمل تَحت رايتها، كما يَجوز أن يعمل مع غيرها من الجماعات الَّتِي تعمل لنصرة دين الله ...".

إلَى أن يقول: "ومن ثَم فإذا تقرر أن دولة مثل أفغانستان المسلمة ليست دولة الخلافة، ورئيسها ليس هو خليفة المسلمين، فمن باب أولَى يكون حكم الدول الَّتِي هي دونَها مِمَّن تعلن تطبيق شرع الله[1] والالتزام به على الجملة، وإن كانت تشوبُها بعض الشوائب، خاصة وأنه ليس هناك دولة من الدول تعلن أنَّها دولة الخلافة، أو يعلن رئيسها أنه خليفة المسلمين أو يبايعه الناس على ذلك؛ فإن هذا لَمْ يَحدث فِي بلد من البلدان، ولو على مستوى القطر نفسه، وإنَّما هي ملكية وراثية، أو انتخابات على الرئاسة لا على الخلافة.

---

(١) يا تُرى أين هذه الدول الَّتِي تطبق شرع الله سوى المملكة العربية السعودية؟!!

وما دام وصف الجماعة منتفيًا عن تلك الدول الَّتِي لا يُخالف أحد أنَّها دول إسلامية مثل دولة أفغانستان، أقول[١]: ما دام وصف الجماعة منتفيًا باتِّفاق عن هذه الدول[٢] الَّتِي تعلن الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهجًا؛ لأنَّها لَمْ تدع للخلافة ولا بويعت بِها؛ فمن باب أولَى أن ينتفي وصف الجماعة عن تلك الدول العلمانية ...".

إلَى أن قال: "هذا وينبغي أن يفهم أنه مع انتفاء وصف الجماعة عن تلك الدول الَّتِي تعلن التزامها بالإسلام التزامًا تامًّا عقيدة وشريعة ومنهجًا ما لَمْ تعلن إقامة الخلافة؛ فلا ينتفي عنها وصف الجماعة بِمعنَى الملازمة لِما كان عليه النَّبِي ﷺ وأصحابه[٣]، وأن ذلك لا يَمنع دخول المسلم فيها، والالتزام بِها، بل إن ذلك يبقى مستحبًّا بقدر التزام هذه الدولة بشريعة الإسلام ومنهجه على الحقيقة ...".

ثُمَّ إنه يقرر كما فِي (ص١٠٦-١٠٧) بأن من كان له بدار الكفر دور دعوي أو جهادي وهو قادر على إقامة دينه؛ فهذا يبقى حكم هجرته إلَى هذه الدولة الَّتِي تُعلن الالتزام بالإسلام على الحقيقة يبقى على الجواز فقط؛ لأن هذه الدولة لَمْ تعلن أنَّها دولة الخلافة، لذا فلا يتعين عليه الهجرة إليها دون غيرها، بل يكون مقامه فِي هذه الحال فِي داره الَّتِي هي من ديار الكفر

---

(١) الكلام للمؤلف.

(٢) من أين له الاتفاق الذي زعمه؟!

(٣) أي: المفهوم العلمي لا الحسي على ما بينه، أنه لا اعتبار بوجود إمام، أو أمير، أو رئيس دولة، ما لَمْ يكن خليفة لعموم المسلمين.

داعيًا إلَى الله ... جائز كذلك، خاصة إذا كان ذلك مع جَماعة المؤمنين؛ إذ لا فضل لِجماعة على جَماعة، إلا أن تكون جَماعة الخلافة. اهـ.

بل إنه ذكر فِي (ص ٨٥-٨٦) أنه لا يَجوز عقد الإمامة لشخصين فِي وقت واحد، وإن اتسعت دار الإسلام، ونقل ذلك عن بعض العلماء.

فأنت ترى أنه لا يفرق بين الدولة المسلمة الْمُحكمة للشريعة، وبين أي جَماعة من الجماعات الدعوية؛ لأنه لا يرى شرعية الدولة المسلمة ولا إمامتها ما لَمْ تعلن الخلافة.

*** ويُمكن تلخيص الْمَلحوظات على ضوء قراءتِي للكتاب فيما يلي:**

أولاً: أنه زعم أن المنقول عن السلف يدل على أن للجماعة معنيين:

أ- حسي.

ب- ومعنوي. كما تقدم ذكره.

ولا يَخفى أن هذا التقسيم ليس ثابتًا عن السلف، إنَّما الثابت هو قولُهم: "ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه" وليس التقسيم الذي ذكره.

ثانيًا: أنه ربط الشرعية لأي دولة مسلمة بوجود الخلافة العظمى، فإذا لَمْ يَدْعُ رئيس الدولة أو ولِي أمرها الناس إلَى البيعة العظمى، ولَمْ يُبايع على ذلك فتنتفي الإمامة عنه وعن دولته؛ وبالتالِي لا تلزم بيعته ولا طاعته؛ وإنَّما يتعاون معه كما يتعاون مع أي جَماعة تدعو إلَى الإسلام، يتعاونون جَميعًا من أجل إيْجاد الإمام ودولة الخلافة.

وهذا الذي ذكره من ربط الشرعية لأي دولة مسلمة بوجود الخلافة،

وأنه ليس هناك من دولة من الدول تعلن أنَّها دولة الخلافة، أو يعلن رئيسها أنه خليفة، أو يبايعه الناس على ذلك، وأن ذلك لَمْ يَحدث فِي بلد من البلدان، ولو على مستوى القطر نفسه، وإنَّما هي ملكية وراثية، أو انتخاب على الرئاسة، وبالتالِي فلا دولة ببيعة شرعية ولا إمام.

هذا الذي ذكره مُخالف لقول النَّبِيﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتِي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم»**. والطائفة هي ليست كل الناس، بل هي بعض الناس.

ودل الحديث على أنَّها على الحق إلَى قيام الساعة، هذا يدل على وجود هذه الجماعة بإمامها.

وأيضًا ما ذكره مُخالف للإجماع، ومُخالف للواقع:

أما مُخالفته للإجْمَاع:

فقد قال الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب: "الأئمة مُجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمامة فِي جَميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلَى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحدًا من العلماء ذكر أن شيئًا من الأحكام لا يصلح إلا بالإمامة العظمى".اهـ. الدرر السنية فِي الأجوبة النجدية (٢٣٩/٧).

وقد ذكر الإمام الصنعانِي كلامًا مثل المنقول عن الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب وقال: "إنه لَمْ يَجتمع الناس على خليفة فِي جَميع البلاد الإسلامية من أثناء

الدولة العباسية، بل استقل كل إقليم بقائم يقوم بأمورهم".

وقد ذكر هذا المعنَى الإمام الشوكانِي، وقال: "وأما بعد انتشار الإسلام، واتساع رقعته، وتباعد أطرافه فمعلوم أنه صار فِي كل قطر أو أقطار الولاية إلَى إمام أو سلطان، وفِي القطر الآخر إمام، ولا ينعقد لبعضهم أمر ولا نَهي فِي قطر الآخر وأقطاره الَّتِي رجعت إلَى ولايته، فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، وتَجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي تنفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر فإذا قام من ينازعه فِي القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته وبايعه أهله؛ كان الحكم فيه أن يُقتل إذا لَمْ يتب، ولا يَجب على أهل القطر الآخر طاعته، ولا الدخول تَحت ولايته لتباعد الأقطار، فإنه قد لا يبلغ إلَى ما تباعد منها خبر إمامها أو سلطانِها ولا يدري من قام منهم أو مات، فالتكليف بالطاعة -والحال هذا- تكليف بِما لا يُطاق، وهذا معلوم لكل من له اطلاع على أحوال العباد والبلاد ... فاعرف هذا فإنه المناسب للقواعد الشرعية والمطابق لِما تدل عليه الأدلة، ودع عنك ما يقال فِي مُخالفته، فإن الفرق بين ما كانت عليه الولاية الإسلامية فِي أول الإسلام وما هي عليه الآن أوضح من شَمس النهار، ومن أنكر هذا فهو مباهت لا يستحق أن يُخاطب بالحجة لأنه لا يعقلها". اهـ. "السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار" (٤/٥١٢).

وعلى هذا فإنه يثبت للأئمة المتعددين ما يثبت للإمام الأعظم يوم أن كان موجودًا فيقيمون الحدود ونَحوها[1] ويُسمع ويُطاع لَهم، وليس شرطًا

---

(١) "معاملة الحكام فِي ضوء الكتاب والسنة" (ص ٢٨).

أن يكون الواحد منهم ينادي بالخلافة العظمى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحِمه الله-: "والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد والباقون نوابه، فإذا فُرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها وعجز من الباقين أو غير ذلك فكان لَها عدة أئمة؛ لكان يَجب على كل إمام أن يقيم الحدود، ويستوفي الحقوق ...". "مَجموع الفتاوى" (٣٥/١٧٥-١٧٦).

أما مُخالفته للواقع: فكما تقدم أنه من العصر العباسي وإلَى اليوم لَمْ يَجتمع المسلمون بكافة أقطارهم تَحت خليفة واحد.

إذن فربط الشرعية للدولة المسلمة بوجود الخلافة العظمى أمر غير مُسلَّم ومُخالف للإجْمَاع والواقع، والنَّبِي ﷺ قد أخبر أن الخلافة ثلاثون سنة، ثُمَّ يكون ملكًا عضوضًا، وأما ما نقله المؤلف عن بعض العلماء من عدم جواز تعدد الأئمة، فإن المقصود به تعدد الخلفاء فِي الإمامة العظمى، أو فِي دولة واحدة، بعد مبايعة أحدهم، وثبوت ذلك له.

ثالثًا: أنه أوَّلَ النصوص الشرعية الَّتِي تأمر بطاعة ولِي الأمر، وتُحذر من الخروج عن طاعته على أن المراد بِها الإمام الأعظم، ولا يَخفى ما يترتب على هذا التأويل من مفاسد: من أعظمها تأويل النصوص على خلاف ما تدل عليه، ومنها: تسويغ الخروج على ولِي الأمر ما لَمْ يكن خليفة لعموم المسلمين، وعدم اعتبار بيعته، وشرعية إمامته ولزوم طاعته، وغير ذلك من المفاسد، وقد تقدم كلام ابن القيم -رحِمه الله- على أن التأويل للنصوص هو أصل خراب الدين والدنيا.

رابعًا: أنه قرر أن الجماعات الدعوية المعاصرة هي على منهج أهل السنة والجماعة فِي الجملة باستثناء جَماعة التكفير، وبالتالِي على المسلم الانضواء تَحت فكرها ومنهجها، وإن لَمْ يكن منتسبًا إليها.

ولا يَخفى ما فِي هذا من تلبيس وتدليس، فحال الجماعات وتعددها، وتباين مناهجها، واختلاف عقائدها شاهد على مُخالفتها لعقيدة أهل السنة والجماعة خصوصًا فِي باب الحاكمية وباب طاعة ولِي الأمر المسلم وغير ذلك، وتعدد الجماعات نفسه ليس من الدين؛ لأن الدين أمر أن يكون المسلمون أمة واحدة، وجَماعة واحدة.

خامسًا: مساواته للدولة المسلمة الَّتِي تَحكم الشرع، ولَها ولِي أمر بالجماعات الدعوية، بل بأقل من ذلك، فإنه ذكر جواز وجود جَماعة من المؤمنين، ولو كانوا فِي بلد الكفار يدعون إلَى الإسلام وأنَّهم مثل أي جَماعة أخرى، ولا فضل لِجماعة على جَماعة إلا أن تكون جَماعة الخلافة، هكذا قال.

ولا يَخفى ما فِي هذا الأمر من خطأ، وما يترتب على ذلك من مفاسد، من أعظمها: عدم اعتقاد البيعة لولِي الأمر فِي أي قطر من الأقطار ما لَمْ يكن خليفة لعموم المسلمين.

سادسًا: أنه قرر عدم وجود خليفة، أو إمام للمسلمين، وعلى المسلم أن يتعاون مع الجماعات الموجودة، ويأخذ برأي أهل الحل والعقد إذا لَمْ يكن منتسبًا لإحدى الجماعات.

ولا يَخفى أن هذا الأمر يَجعل من السهل على المنتسب إلَى الجماعات

الدعوية ولو فكريًّا فِي حل[1] من طاعة ولِي أمره فِي القطر الذي هو فيه.

والكتاب من حيث الجملة دعوة إلى فكر جَماعة الإخوان المسلمين، الذين يزعمون بأنَّهم يسعون لإيْجاد الدولة المسلمة، والخليفة المسلم، ولا يرون شرعية البيعات الموجودة فِي الدول الإسلامية، ولكن كما ذكرت أن هذا الكاتب مثل غيره من الكُتَّاب المنتمين لفكر هذه الجماعة والجماعات المتولدة عنها، لبَّسوا على كثير من الناس بكون كتاباتِهم تطرح باسم أهل السنة والجماعة، ومنهج أهل السنة والجماعة، ومعتقد أهل السنة والجماعة؛ لإدخال الجماعات الإسلامية فِي جَماعة واحدة؛ مِمَّا جعل كتاباتِهم تروج، وينخدع بِها من لا علم عنده، وكثيرًا ما يَجعلون كلامهم مُجملاً مُحتملاً، وأشبه ما يكون بالكلام السياسي، ولا يَخفى خطورة هذا المسلك، وهو الإجْمَال وعدم التوضيح والبيان فيما يَحتاج إلَى ذلك.

يقول الإمام ابن القيم -رحِمه الله-: "إن هؤلاء المعارضين للكتاب والسنة بعقلياتِهم الَّتِي هي فِي الحقيقة جهليات إنَّما يبنون أمرهم فِي ذلك على أقوال مشتبهة مُحتملة تَحتمل معانِي متعددة، ويكون ما فيها من الاشتباه فِي المعنَى والإجْمال فِي اللفظ يوجب تناولها بِحق وباطل، فبما فيها من الحق يُقبل ما فيها من الباطل؛ من أجل الاشتباه والالتباس ... فإن البدعة لو كانت باطلاً مَحضًا لَما قُبلت، ولبادر كل أحد إلَى ردها وإنكارها ..... ولكنها تشتمل

(١) أي: يكون من السهل عليه ترك البيعة والطاعة، وينتقل لأخرى؛ لأنه لا فرق بين جَماعة ودولة ما لَمْ تكن جَماعة الخلافة.

على حق وباطل، ويلتبس فيها الحق بالباطل...". اهـ. انظر: "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" (٣/٩٢٥-٩٢٨).

وهناك كتب أخرى لا تقل خطورة عن هذا الكتاب، وسلكت المسلك نفسه فِي كثير من الأمور، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- كتاب: "أهل السنة والجماعة مَعالِم الانطلاقة الكبرى" لِمحمد عبد الهادي المصري.

٢- "الطريق إلَى جَماعة المسلمين" لِحسين مُحمَّد علي جابر، والذي قال فيه (ص١١): "هدف البحث أن أُبيِّن للأمة الإسلامية أن جَماعة المسلمين غير موجودة، وأن واجب المسلمين كافة إقامتها حَتَّى تقوم دولة الإسلام وتترعرع".

٣- كتاب: "الثوابت والمتغيرات" للدكتور صلاح الصاوي.

٤- كتاب: "جَماعة المسلمين مفهومها، وكيفية لزومها" للدكتور صلاح الصاوي أيضًا، وهذا الكتاب الأخير يعتبر أصلاً لكتاب "كيف الأمر إذا لَمْ تكن جَماعة" الذي تَحدثنا عنه، فإنه بنَى كثيرًا من كلامه على ما ذكره الصاوي، ولا يَختلف عنه إلا فِي الأسلوب، وفِي القليل من الأمور من باب وجهات النظر.

وهذه الكتب الأربعة والكتب الَّتِي بِمعناها تسعى كما يقول أصحابُها إلَى إيْجاد جَماعة المسلمين، ومن ثَم إمامهم ودولتهم، كما أنَّهم يَجعلون الجماعات الإسلامية خطوات مرحلية فِي الطريق إلَى جَماعة المسلمين؛ كما أنَّهم لا يرون صحة أي بيعة فِي أي قطر من الأقطار الإسلامية، وإن كانت

تعبيراتُهم تَختلف فِي التعبير عن ذلك من باب التلبيس والخداع؛ كما أنَّهم يرون أن النصوص الشرعية الَّتِي توجب طاعة ولِي الأمر، وتُحذر من مُخالفته أو الخروج عليه، إنَّما هي فِي الإمام الأعظم الذي يكون خليفة لعموم المسلمين، وليس لِمن كان دون ذلك ولو كان يَحكم بلدًا إسلاميًّا بشرع الله.

يقول الصاوي (ص١٢٢) **فِي كتابه: "جَماعة المسلمين"**: "الأصل فِي واقعنا المعاصر هو التزام الطاعة لِجماعة أهل الحل والعقد، ويتحقق الانتساب إلَى الجماعة فِي إطارها السياسي بالانتظام فِي الصف الإسلامي العام، والالتزام المرحلي بالطاعة لتجمع من التجمعات القائمة، والسعي من خلاله لإقامة جَماعة المسلمين[1] ويَختار من هذه التجمعات ما يكون فيه أرضى لله، وأعبد له، وأنفع لدينه وعباده المؤمنين".

ويقول فِي معرض رده على من يرى عدم شرعية التجمعات إلا بعد التمكين ونصب الإمام، يقول: "إن كان مقصودهم أن الجماعة المرادة فِي النصوص هي جَماعة المسلمين فذاك، ولكن لا يعنِي تَحريْم التعاون على البر والتقوى ..إلخ".

فهو يرى النصوص الشرعية الواردة فِي الإمامة وفِي الطاعة إنَّما تكون لِجماعة الخلافة، أي: الإمامة العظمى.

---

(١) فالبيعات الموجودة فِي الدول ليست واجبة، وليست ملزمة للشخص المبايع، وإنَّما هي مرحلة زمنية، ويتحلل منها بكفارة يَمين إذا اقتضى الأمر ذلك -كما يزعم- كما سيأتِي بعد أسطر من كلامه.

ومفهوم كلامه: أن وجود دولة إسلامية ولو كانت تَحكم بالشريعة ما لَمْ تكن هي دولة الخلافة فلا تدخل فِي هذا المعنَى.

وبعدما قرر أن الجماعة المرادة بلزوم الطاعة هي جَماعة الخلافة، وليس إلَى تَجمُّع آخر مهما كان، يقول (ص١٢٥): "لا يعنِي هذا انْحلال عقد التجمعات القائمة".

ويقترح -أي: الصاوي- عدة أمور منها: إعادة النظر فِي فقه هذه التجمعات من حيث البيعة وحدود الطاعة ونَحوه.

ويقول: "فهذه التجمعات لا تستند فِي تأسيسها إلَى النصوص الواردة فِي لزوم الجماعة، ووجوب البيعة فِي السنة المطهرة إلا على سبيل الاستئناس، وإنَّما إلَى النصوص العامة الَّتِي تَحض على التعاون على البر والتقوى، وتنهى عن الفشل والتنازع ...".

إلَى أن يقول: "والبيعة المعقودة لِهذه التجمعات بِمثابة النذر أو العهد، ويكون التحلل منها عند الاقتضاء بكفارة يَمين ...".اهـ.

وكلامه وإن كان فيه إجْمال مقصود بناء على الأصل الذي ذكرناه سابقًا فِي منهج هؤلاء، إلا أنه يُفهم منه أن أي بيعة ولو كانت لدولة مسلمة إنَّما هي بيعة مرحلية مؤقتة، يُمكن التحلل منها بكفارة يَمين، وهذا المعنَى جعل كثيرًا من الشباب المسلم المتحمس الغيور على دينه -بغير فقه ولا بصيرة- لا ينظر إلَى البيعة المعقودة فِي بلده النظرة الَّتِي يقتضيها الشرع من لزوم الطاعة فِي المعروف لولِي الأمر، وعدم الخروج عليه بالسنان أو اللسان أو أي وسيلة

أخرى تؤدي إلَى ذلك، بل جعل النظرة إلَى أن وجوده -أي: وجود الإمام- مثل وجود من يقود جَماعة من الجماعات، يتعاون معه حسب المصلحة إلى أن يوجد الإمام أو الخليفة المزعوم.

وعلى هذا المنوال سار مُحمَّد أحمد الراشد فِي مؤلفاته، لاسيما كتابه المسمى: "المسار" وكذلك جَمال سلطان، وعبد الرحمن عبد الخالق، ومُحمَّد قطب، وفتحي يكن، والقرضاوي، والبيانونِي، وعلى هذا المنوال سارت الْمَجلات المتحدثة باسْمهم: كـ السنة، والبيان، والسمو، والْمُجتمع، والأصالة وغيرها.

وتعتبر مَجلة "السنة" هي من مصادر الأخبار الَّتِي يستقي منها "شباب الصحوة" أخبار العالَم، وقد جَمعت فِي عشها البريطانِي رويضات الزمن، وتَجرأت على النيل من السنة وعلمائها مع أن اسمها "السنة" -وهي مليئة بالبدع- وحقيقة بأن تُسمى بالبدعة كما قال علامة اليمن الشيخ مقبل الوادعي -رحِمه الله-.

ثانيًا: نقد كتاب الثوابت والمتغيرات للصاوي[١]

قال الشيخ الدكتور حَمد بن إبراهيم العثمان فِي كتابه الْمَاتع: (زجر المتهاون بضرر قاعدة المعذرة والتعاون) قال تَحت عنوان: "تأصيل آخر فاسد": وقريب من التوسعة فِي المسائل المختلف فيها والإلزام بالمتفق عليه: التوسعة فِي الظنيات والإلزام فِي القطعيات، وهذا ما بنَى عليه الدكتور/ صلاح الصاوي كتابه "الثوابت والمتغيرات".

وسَمى المسائل القطعية بالثوابت، والظنية بالمتغيرات، ومع تلازم تأصيله مع التأصيل المذكور فقد جعل من جُملة الأمارات على ظنية النص وقوع الخلاف فيه، وأدرج في المتغيرات جُملة من مسائل العقيدة لوقوع الخلاف فيها.

وقد جعل الصاوي بذلك مرد المتغير إلَى أنظار الباحثين فِي النصوص! وهذا تَحكم لا وجه له؛ إذ مناط المتغير فِي الأحكام الشرعية يرجع إلَى البيئة والزمان والمكان.

قال الصاوي[٢]: "والمقصود فِي هذا الفصل: أن نُميِّز الثوابت من المتغيرات

---

(١) من إصدارات المنتدى الإسلامي ببريطانيا.

(٢) أحال الشيخ العثمان على "الثوابت والمتغيرات" (ص٤٥)، وهو فِي الطبعة الجديدة (ص٥٠).

والقطعيات من الظنيات فِي ذلك كله حَتَّى لا نتجاوز مُحكمًا مقطوعًا به تَحت دعوى التحديث أو الإحياء أو تتهادج صفوفنا بسبب الخلاف فِي ظنِّي متشابه تَحت دعوى السلفية والتمسك بالأصول والْمُجافاة عن أهل البدع". اهـ.

وفسَّر الصاوي القطعي "الثابت" بالنص الصحيح الذي لا معارض له، أو الإجماع الصريح الذي لا منازعة فِي ثبوته إلا منازعة تُعَدُّ من قبيل الزلة أو الفلتة الَّتِي لا يُعتد بِها ويعول عليها. اهـ[1].

قال الشيخ حَمد: "وإذا تأملت تفسير الصاوي للقطعي والظنِّي فإنك تعلم أنه لَمْ يأت بأمر يطَّرد، فوقوع الخلاف فِي النص لا يسلبه صفة القطعية، فكثير من مسائل الفروع قطعية، وإن كان فيها خلاف[2]، ثُمَّ إن القطع والظن ليسا وصفًا للقول فِي نفسه، بل هو أمر إضافِي حسب حال المعتقد".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فكون المسألة قطعية أو ظنية أمر إضافِي بِحسب حال المعتقدين، وليس هو وصفًا للقول فِي نفسه، فإن الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة أو بالنقل المعلوم صدقه عنده، وغيره لا يعرف ذلك لا قطعًا ولا ظنًّا، وقد يكون الإنسان ذكيًّا، قوي الذهن، سريع الإدراك علمًا وظنًّا، فيعرف الحق ويقطع به ما لا يتصور غيره ولا يعرفه علمًا ولا ظنًّا، فالقطع والظن يكون بِحسب ما وصل إِلَى الإنسان من الأدلة، وبِحسب قدرته على الاستدلال، والناس يَختلفون فِي هذا وهذا، فكون المسألة قطعية أو ظنية ليس

---

(١) وأحال على (ص ٣٤)، وهو فِي الطبعة الجديدة (ص ٣٨).

(٢) انظر: "زجر المتهاون" (ص ٨٠)، نقلاً عن المسودة لآل تيمية (ص ٤٤٢).

هو صفة ملازمة للقول المتنازع فيه، حَتَّى يقال: كل من خالفه قد خالف القطعي، بل هو صفة لِحال الناظر المستدل المعتقد، وهذا مِمَّا يَختلف فيه الناس، فعلم أن هذا الفرق لا يطرد ولا ينعكس". اهـ[١].

وكتاب "الثوابت والمتغيرات"[٢] فيه أمور تستدعي تَحذير القارئ منها؛ إذ أسرف مؤلفه -غفر الله له- كثيرًا فِي الاعتذار لعبَّاد القبور والأولياء والصالِحين، وجره ذلك إلَى تأويلات سَمجة، وتقسيمات باطلة، فتراه قد جعل الاستغاثة بالأولياء من التوسل المختلف فيه وجعل غاية ما فِي الطواف بالقبور أنه بدعة وليست شركًا، والتمس العذر لَهم بذلك بأنه طواف تَحية، وليس طواف عبادة -كذا قال-.

وما عَلِمَ هذا أن الطواف بكل حال عبادة، وأنه لَمْ يرد فِي شيء من الشرع الطواف إلا بالبيت العتيق، ثُمَّ وَصْفُ الطواف بالتحية لا يُخرجه عن كونه عبادة؛ بل إنه يزيد ذلك تأكيدًا؛ لأنه نزَّل الضريح منْزلة الكعبة، فشرع لتحيته الطواف[٣].

---

(١) "زجر المتهاون" (ص ٨١)، نقلاً عن منهاج السنة (٥/٩١).

(٢) الكلام ما زال للشيخ حَمد.

(٣) وأحال الشيخ حَمد على الثوابت (ص ٢١٩)، وفِي الطبعة الجديدة (ص ٢٢٢).

وقد قال الشيخ العلامة صالِح الفوزان معلقًا على كلام الصاوي: "والطواف خاص بالكعبة لا يَجوز الطواف بشيء غيرها، فمن أجازه فقد شرع فِي دين الله ما لَمْ يشرعه، ومن استباح ذلك فهو كافر". انظر: "زجر المتهاون" (ص ٨١) هامش رقم (١).

ويقول الصاوي بعد الاتِّفاق على أصل اعتبار التأويل عند إجراء الأحكام:

قد يقع النِّزاع فِي اعتبار التأويل فِي مسألة بعينها كاعتبار ما يتأوله الصوفية فِي النذور الَّتِي تُقدم إِلَى أصحاب القبور على أنه نذر لله والثواب لأوليائه، وفِي الدعاء الذي يتوجهون به إِلَى أصحاب القبور على أن المقصود به طلب الشفاعة من الولي إِلَى الله، وأن الميت فِي قبره يسمع كما ذهب إِلَى ذلك كثير من أهل العلم، وفِي الطواف بالأضرحة على أنه طواف تَحية، وليس طواف عبادة، فقصاراه أن يكون بدعة لا شركًا، وفِي طلب المدد أنه طلب للدعاء والشفاعة إِلَى الله فيؤول إِلَى التوسل المختلف فيه.اهـ[1].

وعَذَرَ المؤلف أيضًا من سجد للأولياء لقيام شبهة التوقير قائلاً: "ولِهذا يَختلف من سجد للأولياء يظن ذلك من باب التوقير الواجب لَهم، وأنه يُثاب عليه صاحبه باعتباره قربة إِلَى الله، وبين من سجد لبقر من الهندوس، أو للنار من الْمَجوس ونَحوه، فإن الشبهة فِي الأول قائمة، واحتمال الجهل قريب ومتوجه، وأما فِي الثانية فإن الأمر جد مُختلف والعذر فيه ليس متوجه؛ إذ لَمْ ترد شريعة قط بتعظيم الأبقار أو النار، ولكن وردت الشرائع بِمحبة الصالِحين وتوقيرهم، وفِي التبرك بآثارهم خلاف معتبر[2].

---

(١) "زجر المتهاون" (ص ٨٢) نقلاً عن "الثوابت والمتغيرات" (ص ٢١٩)، وهو فِي الطبعة الجديدة (٢٢٢).

(٢) **علق الشيخ صالِح الفوزان على هذا بقوله:** "هذا كذب، فليس الخلاف فِي ذلك معتبرًا؛ لأنه ليس مع المخالف دليل أصلاً، أو شبه دليل". انظر: "زجر المتهاون" (ص ٨٢، هامش رقم ٢).

وقال: بل جاءت الشرائع السابقة بسجود إخوة يوسف ليوسف، وسجود أبويه له، ومن قبل ذلك سجود الملائكة لآدم سجود تَحية، وليس سجود عبادة، والتدرج من التوقير المشروع إلَى التبرك الممنوع مُحتمل الوقوع، واحتمال اللبس قريب فِي ذلك، فتأمل.اهـ.

واستخف المؤلف بالسلفيين[١]، وعظَّم من شأن من يسميهم "الْحَركات الْجِهَادية" فقال: "أما المذاهب العلمية فهي حركات إحيائية تسعى غالبًا داخل إطار إسلامي قائم للدعوة إلَى عدد من الأصول العلمية والعملية، ترى أن اعتقادها من مقتضيات الإيْمان ولا تواجه خصومة حاضرة مع أحد من غير المسلمين، ولا تَملك برنامَجًا مُحددًا لتغيير[٢] الواقع، فالإطار الذي تتحرك فيه الحركات الجهادية يَختلف عن الإطار الذي تتحرك فيه المذاهب العلمية"[٣].

---

(١) ما زال الكلام للشيخ حمد.

(٢) القوم مولعون بالمصطلحات الثورية، كالانقلاب والتغيير، والمواجهة، والعنف، والتعبئة، وضد من؟ ضد المسلمين فِي الغالب كما هو حال الخوارج قديْمًا.

(٣) يقصد بالعلمية السلفية الصحيحة، وهو والإخوان كثيرو الانتقادات لَها.

يقول الشيخ حَمد العثمان فِي كتابه "زجر المتهاون" (ص ٨٤): "وهذا الإفك المفترى لا ينطلي على بصير متجرد عن الهوى، فالسلفيون وحدهم فِي هذا العصر الحديث هم الذين أقاموا الدين الصحيح والدولة".

ثُمَّ ذكر دعوة الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب، ومناصرة الإمام مُحمَّد بن سعود لَها مثالاً على ذلك، وقال: "أما الحركات الجهادية الَّتي يُمجدها الصاوي وأمثاله، وتَمتلك برنامَجًا واضحًا -زعموا- فلا أقامت دينًا ولا أبقت دنيا، بل ذاق المسلمون الأَمَرَّيْن منها، وآل أمرهم إلَى شر عظيم مِمَّا كانوا فيه قبل تَهورات "الحركات الجهادية"، فأي الفريقين أحق بالفخر إن كنتم تعلمون؟!!".اهـ. كلامه.

إلَى أن يقول: "فالحركات الجهادية[١] تعبئ الأمة بِمختلف طوائفها للوقوف فِي وجه خطر يستهدف أصل وجودها، ويسعى لاجتثاث شأفتها، ومعقد ولائها وبرائها هو الالتزام الْمَجمل بالإسلام، والاستعداد للمشاركة فِي الجهاد.

أما المذاهب العلمية فإن حركتها تتجه فِي الأصل إلَى من ثبت له عقد الإسلام لدعوته إلَى التزام اختياراتِها العلمية والعملية[٢]، وخصوماتُها تنعقد على ما تراه من البدع والْمُحدثات، ودائرة ولائها وبرائها هي الالتزام باختياراتِها الخاصة، والتجافي عن اختيارت المذاهب الأخرى". اهـ كلامه.

قال الشيخ حَمَد: "قلت: وهذا الإفك المفترى لا ينطلي على بصير متجرد عن الهوى، فالسلفيون وحدهم فِي هذا العصر الحديث هم الذين أقاموا الدين الصحيح والدولة، دعوة الإمام الْمُجدد مُحمَّد بن عبد الوهاب بالكتاب الهادي، وسيف الإمام مُحمَّد بن سعود -رحِمه الله- الناصر.

أما الحركات الجهادية الَّتِي يُمجدها الصاوي[٣]، وتَملك برنامَجًا واضحًا -زعموا- فلا أقامت دينًا[٤] ولا أبقت دنيا[٥]، بل ذاق المسلمون الأَمَرَّين منها وآل أمرهم إلَى شر أعظم مِمَّا كانوا فيه قبل تَهور الحركات الجهادية، فأي

(١) سَموها جهادية، وإلا فالصحيح أنَّها ليست جهادية، وإنَّما هي ثورية.
(٢) والسلفيون حقيقة لا يُلزمون أحدًا إلا بالكتاب والسنة. من تعليق الشيخ حَمد العثمان (ص٨٣).
(٣) وأمثاله من منظري الإخوان وغيرهم.
(٤) لمخالفتها السنة ووقوعها فِي البدعة فِي كثير من توجهاتِها.
(٥) للفتن الكثيرة الَّتِي أثارتْها داخل البلاد الإسلامية.

الفريقين أحق بالفخر إن كنتم تعلمون؟!

وفِي الكتاب أمور كثيرة تَحتاج إلى تَحرير وتنبيه، لا تتسع هذه الرسالة المختصرة لذلك؛ فلعل الله يُيسر من يقوم بالواجب"اهـ[١].

قلت: والأمر كما قال الشيخ حَمد -حفظه الله- وأنا أذكر بعض هذه الأمور الَّتِي تَحتاج إلَى تَحذير وتنبيه فِي كتاب "الثوابت والمتغيرات"، ولعل الله أن ييسر من يقوم بالواجب أكثر فيحذِّر وينبه على الأخطاء الَّتِي وقع فيها الدكتور الصاوي فِي مؤلفه هذا ومؤلفاته الأخرى هو وأمثاله؛ فإنَّها قد حوت مُخالفات عقدية تضر بالدعوة الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة، وفق فهم سلف الأمة، فمن ذلك:

يقول الصاوي فِي (ص١٩): "والأصل فِي ذلك كله أن الحركات الإسلامية اليوم بِمثابة الجيوش الإسلامية[٢] الَّتِي ينبغي أن تنتظم فيها الأمة كلها على اختلاف نِحلها ومشاربِها؛ لدفع فتنة الكفر والردة، ودرء خطرهما عن دار الإسلام، فهي البديل عن الدولة الإسلامية الَّتِي كانت تُجند المسلمين كافة إذا داهم العدو دار الإسلام، ولا تَحجب أحدًا مِمَّن ثبت له عقد الإسلام من الاشتراك فِي هذا الجهاد، ولا تَمنعه من الغنيمة والفيء ما دامت يده مع المسلمين.

---

(١) "زجر المتهاون" (ص ٧٩-٨٤).

(٢) لكونه لا يرى شرعية البيعات القطرية الموجودة فِي العالَم الإسلامي، وأن البيعة المعتبرة عنده وعند الإخوان عمومًا هي إذا كانت للسلطان الأعظم الذي يَحكم جَميع بلاد المسلمين.

ويقول تَحت عنوان: "لزوم جَماعة أهل الحل والعقد إذا انتظم عقدها، واجتمع أمرها فِي بلد من البلاد" (ص ٢٣٧):

"إذا شغر الزمان عن الإمام، وخلا عن حاكم يَحمل الأمة[١] على مقتضى النظر الشرعي، وأقيمت الحكومات على أساس العلمانية، وتَحكيم القوانين الوضعية، فالأمور موكولة إلَى أهل الحل والعقد فِي الأمة، وهم أهل العلم وأهل القدرة الذين يفزع لَهم فِي المهمات والمصالِح العامة مِمَّن لا يزالون على أصل التزامهم بالإسلام، وإيْمانِهم بشريعته، وإنكارهم على الخارجين عليها، ودعمهم للدعوة إلَى تَحكيمها.

فإذا اجتمعت كلمة هؤلاء، وانتظم أمرهم حول متبوع مطاع؛ صار اتباعهم فريضة مُحكمة، وصار السعي من خلالِهم لإقامة الدين واجبًا متعينًا لا حيلة لأحد فِي دفعه، وهؤلاء حينئذٍ يُمثلون الجماعة الَّتِي جاءت النصوص بلزومها، وحذَّرت من مفارقتها، وتوعدت الخارج عليها"[٢].

إلَى أن يقول فِي (ص ٢٣٨):

"والأصل فِي ذلك كله: ما تَمهد فِي الأصول من أن السلطة للأمة كما أن السيادة للشرع فِي الْمُجتمع الإسلامي، فالأمة هي وحدها صاحبة الحق

---

(١) وهذا يؤكد ما ذكره مرارًا من أن أهل الحل والعقد فِي نظره هم البديل للحكام عند عدم وجود الخليفة الأعظم.

(٢) تأويل للنصوص الَّتِي تأمر بطاعة ولِي الأمر الحاكم المسلم على أن المقصود بِها من يقود الجماعة أو التنظيم.

فِي تولية حكامها وفِي مراقبتهم وفِي عزلِهم عند الاقتضاء"[١].

ومِمَّا يؤكد أن الغاية عندهم تبرر الوسيلة: عقد البيعة للأحزاب والجماعات وتعددها والتعامل معها إذا كان ذلك يُحقق لَهم مصلحة.

يقول الصاوي فِي (ص٢٤٨) **تَحت عنوان**: **"تقييد البيعة والتقايل منها، والْجَمع بين أكثر من بيعتين فِي وقت واحد"**:

"الأصل فِي البيعة الَّتِي تُعطى للجماعات الإسلامية: أنَّها اتِّفاق رضائي يهدف إلَى التأكيد على ما أوجبه الله ورسوله من التعاون على البر والتقوى، والتزام صاحبها بالتعاون مع فريق من الناس على ما انتصبوا للقيام به من الدعوة والجهاد، وهي لا تَجب ابتداء على كل أحد، ولا تلزم إلا من التزم بِها، وفِي الحدود الَّتِي يتم الاتِّفاق عليها.

وعلى هذا يُمكن النظر فِي أمر تقييد هذه البيعة بزمن أو بلد، أو التقايل منها عند الاقتضاء، أو الجمع بين أكثر من بيعتين لِجماعتين إن لَمْ يكن بينهما تعارض، ولَمْ يؤد الجمع بينهما إلَى الإضرار بإحداهما، وكل ذلك من موارد الاجتهاد، وعلى الجماعات والأفراد أن يَختاروا من ذلك ما يرونه مُحققًا لِمصلحة الدعوة والجهاد فِي الزمان والمكان الذي يراد فيه إمضاء هذه الاجتهادات.

ولا يُحتج على ذلك بأن البيعات الَّتِي أعطيت فِي تاريخ الإسلام لَمْ تعرف التقييد ولا التعدد؛ لأن القياس هنا مع الفارق، فالبيعات العامة هي الَّتِي

---

(١) هذه هي الديْمقراطية الَّتِي ينادي بِها الإخوان، وهي تعني الخروج على السلطة الَّتِي لا يرونَها تُحقق أغراضهم ومطالبهم، فأين الاتباع للشريعة؟!

تكون على عموم النظر فِي مصالِح المسلمين، ويَجب الدخول فيها على الأمة كافة، ويَحرم فيها التعدد[١].

أما هذه البيعات فهي رضائية اتفاقية، مصدرها العقد، ونطاقها المهام الَّتِي عُقدت من أجلها، ونفوذها فِي حق الذين ارتضوا بِها وتعاقدوا عليها، ولِهذا فإن لَهم أن يضعوا لَها من الشروط والقيود ما يشاءون، شريطة ألاَّ يُخالفوا فِي ذلك شرطًا فِي كتاب الله وإلا كان شرط الله أحق، وقضاؤه أوثق".

ويقول فِي (ص٢٦٤-٢٦٥) مشيرًا إلَى عدم الإنكار على الأخطاء والْمُخالفات الَّتِي تقع منهم أو مِمَّن يدور فِي فلكهم مهما عظمت فيقول:

"عدم التورط فِي إدانة الفصائل الأخرى العاملة للإسلام إدانة علمية، تَحت شعار الغلو والتطرف، مهما تورطت هذه الفصائل فِي أعمال تبدو منافية للاعتدال والقصد والنضج، فإن كان لابد من حديث للتعليق على بعض هذه الأعمال الفجة، فليبدأ أولاً بإدانة الإرهاب الحكومي فِي قمع الإسلام، والتنكيل بدعاته، والذي كان من نتائجه الطبيعية هذه الأعمال الَّتِي تبدو غالية وحادة، والَّتِي تُمثل رد فعل متوقع لِما تُمارسه الحكومات من تطرف فِي معاداتِها للإسلام، وغلو فِي رفضها لتحكيم شريعته، وأنه لا سبيل إلَى حسم هذه التداعيات وسد الذريعة إلَى التطرف من الفريقين إلا بتحكيم الشريعة وإقامة كتاب الله فِي الأمة، فيردع الغلاة والجفاة.

وذلك لأن الإدانة المطلقة لِهذه الأعمال الجهادية ستكرس -بطبيعة الحال-

---

(١) فهو يُجوِّز التعدد فِي الإمارة للجماعات، ولا يُجوِّزها للدول.

الخصومة مع هذه الفصائل، وتَملأ ساحة العمل الإسلامي بالفتن والتهارج، اللهم إلا إذا كان ذاك -كما سبق- بتنسيق مسبق وتوزيع متبادل للأدوار.

وإن الجاهلية لأحرص ما تكون على استنطاق الإسلاميين فِي هذه الْمَجالس، لإدانة الأعمال الجهادية الَّتِي تقوم بِها الفصائل الأخرى، تَحت شعار نبذ الإرهاب ومُحاربة التطرف، وسوف تُمارس من الضغوط فِي ذلك ما لا يقوى على لأوائه الصابرون، وقد تتهمهم بالتواطؤ مع المتورطين فِي هذه الأعمال، إن لَمْ يصدر عنهم إدانة لَها وبراءة ظاهرة من أصحابِها، وهي بذلك تُحقق أهدافها بكل دقة، فتشقق التيار الإسلامي وتؤجج الفتن بين فصائله من ناحية، وتنكل بِهذه الاتِّجاهات الجهادية بكل شرعية من ناحية أخرى.

ومن هنا تأتِي ضرورة الحرص البالغ والدقة المتناهية فيما يصدر عن الإسلاميين فِي هذه الْمَجالس من تصريْحات ومقولات تَمس إحدى هذه الفصائل.

هذا، ولا يبعد القول بأن مصلحة العمل الإسلامي قد تقتضي أن يقوم فريق من رجاله ببعض الأعمال الجهادية[1] ويُظهر النكير عليها آخرون[2]،

---

(١) أي: التدمير والتفجير مِمَّا يظن به نكاية للنظام القائم.

(٢) من باب تبادل الأدوار بتنسيق مسبق كما ذكر، ويندرج تحت قاعدة: الغاية تبرر الوسيلة، ولكي لا ينكشف الأمر فبعضهم ينكر التفجيرات والتدمير الذي قام به البعض، والبعض يؤيد، مِمَّا يدل على أن لِجماعة الإخوان المسلمين وما تولَّد منها جناحان: أحدهُما: فكري سياسي، والآخر: عسكري، ويكون بينهما تبادل للأدوار، وقد يقع ذلك بِمسميات مُختلفة حسب الزمن، وحسب الحال ، وحسب البلد الذي =

ولا يبعد تَحقيق ذلك عمليًّا إذا بلغ العمل الإسلامي مرحلة من الرشد، أمكنه معه أن يتفق على الترخيص فِي شيء من ذلك، ترجيحًا لِمصلحة استمرار رسالة الإسلاميين فِي هذه الْمَجالس مع غير تشويش ولا إثارة".اهـ. كلام الصاوي.

ويقول حول عدم استثارة العامة فيما فيه مضرة بِهم من باب المصلحة (ص٢٧٢): "ولِهذا لابد من التفريق فِي هذه الأعمال بين النظام وبين الأمة، وحصر دائرة الصراع مع هذه الأنظمة العلمانية فحسب، والحذر كل الحذر من أن تَمتد دائرة الصراع لتشمل فريقًا من الأمة، أو أن يفضي إلَى المساس بِمصالِح وطنية بَحتة تَمس أقوات الناس وأرزاقهم ومرافقهم الحيوية، فإنَّ هذا فضلاً عن حرمته شرعًا فِي ذاته لِمساسه بِمرافق عامة هي ملك للأمة وتعتبر أموالاً معصومة، يهيج العامة ضد العمل الإسلامي، ويعطي الطواغيت الفرصة لاستنفارهم ضد الحركة الإسلامية الَّتِي تكون فِي هذه الحالة فِي مقام التخريب والعدوان للمصالِح الوطنية".

ويقول فِي (ص٢٧٥): "فإذا تعلق الأمر بِمواجهة واستنفار عام ضد الطواغيت[1]؛ فيجب أن يكون الأمر فِي ذلك إلَى أهل الحل والعقد، وهم

تكون فيه، وهذا الذي ذكره من عدم الإنكار على الأخطاء المنافية للاعتدال مهما تورطت فيه -الجماعة- من أعمال، هذا مُخالف لتحكيم الشريعة، فكيف يطالب بتحكيم الشريعة من لا يَحكم على نفسه وأتباعه وجَماعته؟! وكيف يُجوِّز لَهم ما يُحرم على غيرهم، ويُحرم على غيرهم ما يُجوِّز لَهم؟! وهل هذا إلا تلاعب بالدين وبعقول الأتباع؟!

(١) الطواغيت يقصد بِهم جَميع حكام المسلمين، ولذلك لَمْ يستثن فِي كتابه كله حاكمًا واحدًا على الأقل، وكذلك فعل كُتَّاب ومفكرو وقادة الجماعات الإخوانية، فلا عبرة =

كل متبوع مطاع فِي ساحة العمل الإسلامي مِمَّن يفزع إليهم فِي المهمات والمصالِح العامة، وهؤلاء يتمثلون فِي الواقع فِي قادة فصائل العمل الإسلامي، وفِي غيرهم من أهل العلم وأهل القدرة مِمَّن لَهم قبول عام فِي الأمة، ولا يزالون على ولائهم للإسلام وانتسابِهم إلَى الشريعة، وإيْمانِهم بضرورة العمل لإقامة الدولة الإسلامية"[١].

ويقول تَحت عنوان: "التحالفات المرحلية مع بعض الاتِّجاهات العلمانية المسالِمة" (ص٢٧٩): ".... ولكن المصلحة قد تقتضي فِي مرحلة الإصلاحات الجزئية التنسيق المرحلي مع بعض الاتِّجاهات العلمانية المعتدلة[٢][٣]؛ لإمضاء أمر هو مَحل قبول من الناس كافة، فقد يعوز العمل الإسلامي فِي بلد من البلاد إلغاء الأحكام العرفية وقوانين الطوارئ، وهو مطلب جَماهيري عام، فلا حرج عليه فِي هذه الحالة أن يُجيش لنصرة هذا المطلب الاتِّجاهات الدينية والعلمانية كافة[٤]، ويكون عمله هذا من جنس حلف الفضول، وسائر الأحلاف

بقيمة ومنْزلة من لا يوافقهم حَتَّى وإن حكَّم الشريعة! وهذه سِمة أهل الأهواء كما أخبر عنهم النَّبِي ﷺ أنه يتجارى بِهم الهوى كما يتجارى الكَلَب بصاحبه.

(١) لأنه لا توجد فِي نظرهم دولة إسلامية على وجه الأرض.

(٢) من هنا نعرف سر البيان الذي وقَّعه بعض رموز الصحوة فِي بلادنا باسم المثقفين السعوديين مع بعض من كانوا يسمونَهم العلمانيين فِي الرد على بيان المثقفين الأمريكيين.

(٣) ويدل تحالفهم مع العلمانيين عند الحاجة: أن المسألة من أصلها سياسية متسترة بالدين، وإلا لوجب البراء من العلمانيين؛ لأنَّهم كفار مطلقًا فِي نظر هؤلاء.

(٤) اقرأه واربطه بِما سبق.

المشروعة الَّتي تكون على نصر المظلوم والضرب على يد الظالِم، وإشاعة العدل والتناصف ونَحوه، ومثل هذا فِي مَحل الاجتهاد والأمر فيه واسع، وقد سبقت مقالة ابن الأثير والنووي فِي جوازه والتفريق بينه وبين الأحلاف الممنوعة الَّتِي تكون على الفتن والقتال وما منع منه الشرع"[١].

*** التعامل عند القبض على بعضهم فِي أعمالِهم الَّتِي يسمونَها "جهادية":**

يقول فِي (ص٢٨٤-٢٨٥): "ومِمَّا يتصل بِهذه النقطة كذلك: المنهج الذي ينبغي اتباعه إذا انكشف أمر القائمين على هذه الأعمال، وسيقوا أسارى إِلَى معتقلات الجاهلية[٢]، هل يعلنون مسئوليتهم عن هذه الأعمال ويؤطرون الأدلة على مشروعيتها، ويوظفون ذلك فِي خدمة قضيتهم، وإقامة الحجة بِها على الناس كافة، وإن تضمَّن تغريرًا بأرواحهم وأموالِهم ونحوه، لما تَمهد من فضيلة التغرير بالنفوس فِي إعزاز الدين وإجلال رب العالَمين؟ أم يقيمون خطتهم على الإنكار والتجاهل، ويرسمون سياستهم فِي الدفاع على هذا الأساس؟ ولا شك أنَّ هذا وذاك من موارد الاجتهاد.

وقد يكون من عناصره: التفريق بين الأئمة البارزين الذين تحسب مواقعهم

---

(١) إذا اقتضت المصلحة، وليست المصلحة العامة بل مصلحتهم الخاصة بِجماعتهم، إذا اقتضى ذلك فإنَّهم يتحالفون حَتَّى مع من يرون كفرهم ولا يُجيزون ذلك لغيرهم كما حصل فِي أزمة الخليج الثانية فإنَّهم على مُختلف فئاتِهم وتَجمعاتِهم ورموزهم وقادتِهم وقفوا صفًا مع الظالِم إذ ذاك الوقت.

(٢) يقصد بِها كل من يُخالفهم من الحكام، فيوردون الأدلة الواردة فِي الكفار ويَحملونَها على مُخالفيهم، وتارة يسمونَهم بأهل الجاهلية وتارة بالطواغيت.

على الدعوة، ويَجب أن يعلِّموا الناس الصدق والنصيحة، كما يعلِّموهم التوحيد والأحكام الشرعية، وبين العامة الذين قد يسوغ فِي حقهم الترخص ما لا يسوغ فِي حق هؤلاء.

وقد يكون من عناصره كذلك: التفريق بين من يرجى بلاؤه فِي الإسلام ويتوقع منه النكاية بالمشركين فِي المستقبل، فهذا الذي يَحسن له أن يترخص رعاية لِهذه المصالِح، وبين غيره مِمَّن لا يرجى منه ذلك، فيحسن فِي حقه الثبات والمواجهة.

ولِهذا يذكر القرطبِي فيمن أُكره على كلمة الكفر: أنه إن كان بقاؤه يرعب العدو، وينفع المسلمين بقوته فالتلفظ بكلمة الكفر أولَى، وإلا كان الصبر على القتل وعدم النطق بالكفر أولَى".

إلَى أن يقول: "ويذكر السيوطي فِي "الأشباه والنظائر": أن تلفظ المكره بالكفر أو إتيانه بعمل الكفر يَحتمل أن يكون أفضل من صبره حَتَّى يُقتل، إذا كان المكره مِمَّن يتوقع منه النكاية فِي العدو والقيام بأحكام الشرع، وذلك كأن يكون عالِمًا بأحكام الشرع وليس فِي الناس مثله، وغير ذلك مِمَّن تقتضي المصلحة بقاؤه حيًّا.

وقد يكون من عناصره كذلك: الفروق الفردية بين شخص وآخر، والَّتِي قد تَجعل المواجهة متعينة فِي حق شخص، والترخص فِي حق شخص آخر، فهناك من يقوى على المواجهة وتفتنه تبعاتُها، وهناك من يضعف، وتقلقل إيْمانه الفتنة، والحمد لله أن جعل فِي ديننا فسحة، وجعل أصل الترخص مشروعًا فِي حق

الجميع، ولكن المقام الآن مقام الحديث عن الأفضلية، والمواقف الاستراتيجية، والأمر فِي ذلك واسع ولا تضييق فيه على أحد.اهـ"[١].

ومِمَّا ينادي به هو وغيره قولهم: "سلفية المنهج وعصرية المواجهة" حيث يقول تَحت هذا العنوان فِي (ص ٣١٨):

"والسلفية المنشودة هي سلفية المنهج، أي: العودة بأصول الفهم إلَى الكتاب والسنة، وقواعد الفهم المعتبر لدى القرون الثلاثة الأولَى، وذلك لنتمكن من خلال هذا المنهج من المواجهة السلفية المعاصرة لِمشكلات حياتنا المتجددة.

فلا يُقصد بالسلفية إذن مُجرد الاجترار لبعض المفاهيم أو القضايا العقدية الَّتِي واجه بِها سلفنا الصالِح انْحرافات عصرهم، وكانت فريضة الوقت يومئذٍ التخلي عن المعارك الطاحنة الَّتِي تدير الجاهلية رحاها فِي الْمُجتمعات المعاصرة، أو إغفالها طمسًا لِمعالِم الإسلام وإبادة خضراء المسلمين".

قلت: ولو كانوا حقًّا على هذا المنهج السلفي الصحيح لَما خالفوا معتقده ومنهجه فيما مضى ذكره وفِي غيره مِمَّا تنضح به كتبهم، وإنَّما هو تشويه للمنهج السلفي، وإبعاد له فِي الحقيقة عن الميدان الدعوي، وكم تسمت حركات بأنَّها سلفية جهادية وهي ليست سلفية على الحقيقة، وليست جهادية، وإنَّما هي تكفيرية خارجية تدميرية.

---

(١) وهذا كله يدور حول اتباع الوسيلة الَّتِي تُحقق لَهم الغاية، وتأويل النصوص الشرعية لتحقيق ذلك بِحجج واهية وتغرير بالأتباع.

نقد ونصيحة للإخوان من أحد زعمائهم المجربين

قال علي عشماوي فِي كتابه: "التاريخ السري لِجماعة الإخوان المسلمين" (ص ٣-٤): "أسباب كثيرة جعلتني مترددًا فِي أن يَخرج هذا الكتاب إلَى النور منها: الرغبة فِي الحفاظ على أسرار كثيرة عشتها وتفاعلت معها، ولَمْ أكن لأبيح لنفسي أن أخوض فيها بغير سبب قوي يَخدم غرضًا، ومنها أنني كنت أرى أن الوقت غير مناسب للنشر، فالكلمة ينبغي أن تُقال فِي أوانِها المناسب، وإلا مرت دون أن يلتفت إليها أحد أو يعيها قارئ.

وكان هناك سبب آخر يسوقه الْمُحيطون بِي: وهو خشيتهم عليَّ من انتقام موتور، ولكن هذا السبب لَمْ يكن يَمنعني أن أقول الكلمة الَّتِي أراها حقًّا -وفِي وقتها المناسب- مهما تَحملت فِي سبيلها من عنت ومشقة، واقتناعي التام أن الأمر كله بيد الله المطلع على النوايا، وأن البشر لن يستطيعوا أن يتدخلوا بشيء فِي التأثير على قدر الله، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

إن المرحلة المصيرية الَّتِي نعيشها فِي مصر والوطن العربِي والَّتِي ازداد فيها الخلط فِي الأمور إلَى الدرجة الَّتِي اختلط فيها الحابل بالنابل، وعتمت فيها الرؤى، وتشابكت الطرق؛ وضاع الشباب وسط هذا الضجيج العالِي

من التيارات الفكرية -وخاصة الدينية منها- وزاد فِي غبش الرؤية ضيق الحياة الاقتصادية الذي دفع بالشباب إلَى اليأس وتلمس أي طريق يغيبون فيه عن واقعهم الأليم.

والساحة مليئة بالتيارات المختلفة الَّتِي خرج الكثير منها من عباءة "الإخوان المسلمين" وإن كان كل فِي وادٍ بعيد -فكريًّا وتنظيميًّا- وزاد الخلاف بين الجماعات، وزادت زاوية الانْحراف عن الهدف -وهو الدين الحنيف- ونسوا حديث الرسول ﷺ: «**تَختلف أمتِي إلَى بضع وسبعين شعبة كلهم فِي النار إلا شعبة واحدة: من استمسك بكتاب الله وسنتِي**». واعتقد كل أنه على الحق، واتَّهم الآخرين بالبطلان، ووقف الإخوان المسلمون يرفعون شعارهم الشهير بين الجماعات والهيئات الإسلامية: "دعونا نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه"، وهو شعار يُحاولون به الإمساك بِموقع الريادة وتوجيه دفة الأمور إلَى صالِحهم دون مُحاولة الوقوف لتصحيح المسار، أو تلافي السلبيات، أو تقويْم الانْحراف الذي استفحل أمره فِي مَجال الحركة الإسلامية حَتَّى أصبحت توصم بالعنف أو الإرهاب فِي كل بلاد الدنيا، وكان سبب هذا كله وقوع الكثيرين إما فِي إفراط شديد، وإما فِي تفريط مُخل.

لِهذا كله فإنني أرى أنه قد آن الأوان لأقف مُحذرًا وفاتِحًا المنافذ للشمس والْهواء النقي أن يدخل إلَى سراديب الجماعة الَّتِي عفن هواؤها وتعطنت رائحتها، وحَتَّى تكون تَجربتِي معهم نذيرًا للشباب أن يتلمس خطاه، وأن يرى مواقع أقدامه قبل أن يخطئ وألاَّ يلغي عقله ولا كيانه ليعطي السمع والطاعة لأي أحد كان .. فقد وهبنا الله العقل تكريْمًا للإنسان، فلا

ينبغي أن نتنازل عنه حَتَّى لا يلعب بأقدارنا أحد أيًّا كان وتَحت أي شعار.

وبداية فإنني أعتبر أن الإخوان كانت "أم" التنظيمات الإسلامية فِي العالَم العربِي؛ لأنَّها أقدمها، وهي الَّتِي "فرخت" بقية التنظيمات بعد ذلك، وبداية الانْحرافات جاءت من داخل الإخوان أنفسهم.

إنَّ مشواري مع الإخوان بدأته من عام (١٩٥١م) وحَتَّى خرجت من السجن -أي: ثلاثة وعشرون عامًا- لا أنفي عن نفسي أية مسئولية تجاه ما حدث، ولكنِّي أقدمه -كما قلت- لشبابنا الذي بات تتقاذفه تيارات ترتدي ثوب الإخوان ولا يعرفون عن أهدافها شيئًا، ويلقون بأنفسهم فِي خضم أهوال لا ينبغي لَهم أن يتورطوا فيها".اهـ.

وقال أيضًا فِي (ص ٤٨-٤٩): "**أمراض التنظيمات السرية:**

وهذه تندرج تَحتها بعض النقاط:

١- **الإحساس بالملكية**، وهو من أخطر الأمراض الَّتِي تنشأ داخل المنظمات السرية، ويعنِي: إحساس أحد المسئولين بِملكية الْمَجموعة الموضوعة تَحت قيادته؛ لأنه هو الذي أتى بِهم واختبرهم وعلَّمهم ودربَهم.

٢- **عدم وجود ضوابط للديْمقراطية**، أي: أنَّ الأمر قائم على السمع والطاعة المطلقة، فالعمل السري لا يَحتمل المناقشات الكثيرة والتردد فِي اتِّخاذ القرارات، وهذا مِمَّا يوجد الإحساس بالتسلط عند المسئولين وضيقهم من المناقشة.

٣- **عدم اكتشاف فساد القيادة بسهولة**[1]، فالجو السري المنضبط هو خير

---

(١) **وقد وضَّح علي عشماوي هذه النقطة بقوله فِي** (ص ٨١): "وكان مِمَّا قاله -سيد قطب-: =

مناخ لتغطية القائد الفاسد، وعدم كشفه فِي الوقت المناسب، وإذا اكتُشف فهناك مُخاطرة من إبعاده خوفًا من كشف التنظيم.

٤- **عدم التعود على العلنية**، وهذا ممَّا يَجعل الأفراد منعزلين عن الْمُجتمع لا يشاركون فيه لإحساسهم أن هناك انفصالاً فكريًّا وعقائديًّا بينهم وبينه، ممَّا يبعدهم أكثر عن المشاركة العلنية فِي أمور الْمُجتمع واعتبار أتفه الأمور من الأسرار، والخوف من الحديث عما فِي نفوسهم مع غير المنتمين إليهم خوفًا من ردود فعل المستمع حَتَّى لو كان الكلام عاديًّا وموضوعيًّا.

٥- **الشك فِي السلطة**، والشك الدائم فِي نوايا رجال السلطة هي إحدى سِمات المنتمين إلَى تنظيمات سرية وعدم الثقة بِهم حَتَّى وإن تَحدثوا بإخلاص وفِي أمور موضوعية.

أن الأستاذ البنا كان يعلم أن الجماعة مستهدفة من الخارج، ومن القوى المعادية للإسلام، وأنَّهم أدخلوا إلَى الجماعة بعض أعضائهم أو جندوا من داخل الجماعة أفرادًا يعملون لصالحهم، على سبيل المثال ذكر أن الدكتور مُحمَّد خَميس حميدة كان ماسونيًّا بدرجة عالية من الماسونية، وقد وصل إلَى أن أصبح وكيل عام الجماعة، وأن الحاج حلمي المنياوي كان مُمثلاً للمخابرات الإنجليزية داخل الجماعة.

والواقع: أن مسألة اختراق الجماعة من أعلى عن طريق الماسونية أو المخابرات الإنجليزية وغيرها كان أمرًا غريبًا علينا، إلا أن بعض الإخوان الآخرين غير الأستاذ سيد قطب قد أشاروا إلَى هذا الأمر، مثل الأستاذ مُحمَّد الغزالي فِي كتابه: "من معالِم الحق فِي كفاحنا الإسلامي الحديث" وقد سَمعنا كلامًا كثيرًا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه إلَى جَماعة الإخوان، ولكن لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الْهَيئات الكافرة بالإسلام أن تَخنق جَماعة كبيرة على النحو الذي فعلته؟" (ص ٢٢٦).

٦- **الإحساس بالْخَطر**؛ ورجال التنظيمات السرية يعيشون ومعهم دائمًا الإحساس بالخطر وعدم الثقة والاطمئنان إلَى أي جهة أو فرد، وهذا الإحساس مع طول المدة مرهق جدًّا ومدمر للنفس".

أقوال علماء السنة
في جماعة الإخوان المسلمين

- فتوى سَماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحِمه الله-:

سئل -رحِمه الله-: أحسن الله إليك، حديث النَّبيﷺ فِي افتراق الأمم، قوله: «ستفترق أمتِي على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها فِي النار إلا واحدة ..» الحديث.

فهل جَماعة "التبليغ" على ما عندهم من شركيات وبدع، وجَماعة "الإخوان المسلمين" على ما عندهم من تَحزب وشق للعصا على ولاة الأمر ..... هل هاتان الفرقتان تدخلان فِي الفرق الهالكة؟

الْجَواب: تدخل فِي الاثنتين والسبعين، ومن خالف عقيدة أهل السنة والجماعة دخل فِي الاثنتين والسبعين، المراد بقوله:«أمتِي». أي: أمة الإجابة، أي: استجابوا لله وأظهروا اتباعهم له، ثلاث وسبعون فرقة، الناجية السليمة: الَّتِي اتبعته واستقامت على دينه، واثنتان وسبعون فرقة فيهم الكافر، وفيهم العاصي، وفيهم المبتدع أقسام.

السائل: يعنِي هاتان الفرقتان من ضمن الاثنتين والسبعين؟

الْجَواب: نعم، من ضمن الثنتين والسبعين[١].

وسئل -رحِمه الله-: سَماحة الشيخ، حركة "الإخوان المسلمين" دخلت المملكة منذ فترة، وأصبح لَها نشاط بين طلبة العلم، ما رأيكم فِي هذه الحركة؟ وما مدى توافقها مع منهج السنة والجماعة؟!

الْجَواب: حركة "الإخوان المسلمين" ينتقدها خواص أهل العلم؛ لأنَّهم ليس عندهم نشاط فِي الدعوة إلَى توحيد الله، وإنكار الشرك، وإنكار البدع، لَهم أساليب خاصة ينقصها عدم النشاط فِي الدعوة إلَى الله، وعدم التوجه إلَى العقيدة الصحيحة الَّتِي عليها أهل السنة والجماعة.

فينبغي للإخون المسلمين أن يكون عندهم عناية بالدعوة السلفية، الدعوة إلَى توحيد الله، وإنكار عبادة القبور، والتعلق بالأموات، والاستغاثة بأهل القبور كالحسن والحسين والبدوي، وما أشبه ذلك، يَجب أن يكون عندهم عناية بِهذا الأصل الأصيل، بِمعنَى لا إله إلا الله الَّتِي هي أصل الدين، أول ما دعا إليه النَّبِي ﷺ فِي مكة: دعا إلَى توحيد الله، إلَى معنَى لا إله إلا الله، فكثير من أهل العلم ينتقدون على الإخوان المسلمين هذا الأمر، أي: عدم النشاط فِي الدعوة إلَى توحيد الله، والإخلاص له، وإنكار ما أحدثه الجهال من التعلق بالأموات، والاستغاثة بِهم، والنذر لَهم، والذبح لَهم، الذي هو الشرك الأكبر.

وكذلك ينتقدون عليهم عدم العناية بالسنة، وتتبع السنة، والعناية بالحديث الشريف، وما كان عليه سلف الأمة فِي أحكامهم الشرعية، وهناك أشياء

---

(١) من شريط أحد دروس "المنتقى" فِي مدينة الطائف قبل وفاته بسنتين -رحِمه الله-.

كثيرة أسْمَع الكثير من الإخوان ينتقدونَهم فيها، ونسأل الله أن يوفقهم ويعينهم ويصلح أحوالَهم[١].

- فتوى مُحدِّث الشام، العلامة السلفي، الشيخ مُحمَّد ناصر الدين الألبانِي -رحِمه الله- قال: "ليس صوابًا أن يُقال: إن "الإخوان المسلمين" هم من أهل السنة؛ لأنَّهم يُحاربون السنة"[٢].

- فتوى العلامة السلفي، الشيخ مُحمَّد بن عثيمين -رحِمه الله- فِي حكم تعدد الْجَماعات:

سئل -رحِمه الله-: هل هناك نصوص فِي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فيهما إباحة تعدد الْجَماعات أو الإخوان؟

الْجَواب: "ليس فِي الكتاب ولا فِي السنة ما يُبيح تعدد الأحزاب والجماعات، بل إن فِي الكتاب والسنة ما يذم ذلك، قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال تعالَى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣].

ولا شك أن هذه الأحزاب تتنافَى مع ما أمر الله به بل ما حثَّ عليه فِي قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢].

وقول بعضهم: إنه لا يُمكن للدعوة أن تقوى إلا إذا كانت تَحت حزب.

---

(١) نقلاً عن مَجلة "الْمجلة" عدد (٨٠٦).

(٢) من شريط فتوى حول جماعة "التبليغ" و"الإخوان" من تسجيلات منهاج السنة فِي الرياض.

نقول: هذا ليس بصحيح؛ بل إن الدعوة تقوى كلما كان الإنسان منطويًا تَحت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ متبعًا لآثار النَّبِي ﷺ وخلفائه الراشدين[١]".

- فتوى فضيلة الشيخ العلامة صالِح بن فوزان الفوزان -حفظه الله-:

سئل -حفظه الله-: هل هذه الْجَماعات تدخل فِي الاثنتين والسبعين فرقة الْهَالكة؟

فقال: نعم، كل من خالف أهل السنة والجماعة مِمَّن ينتسب إِلَى الإسلام فِي الدعوة أو فِي العقيدة، أو فِي شيء من أصول الإيْمَان؛ فإنه يدخل فِي الاثنتين والسبعين فرقة ويشمله الوعيد، ويكون له من الذم والعقوبة بقدر مُخالفته.

وسئل: ما حكم وجود مثل هذه الفرق: التبليغ، والإخوان الْمُسلمين، وحزب التحرير، وغيرها فِي بلاد المسلمين عامة؟

فقال: هذه الجماعات الوافدة يَجب ألاَّ نتقبلها؛ لأنَّها تريد أن تنحرف بنا وتفرقنا، وتَجعل هذا تبليغيًّا، وهذا إخوانيًّا وهذا كذا ... لِمَ هذا التفرق؟ هذا كفر بنعمة الله ﷻ، ونَحن على جَماعة واحدة وعلى بينة من أمرنا، لِماذا نستبدل الذي هو أدنَى بالذي هو خير؟! لِماذا نتنازل عما أكرمنا الله ﷻ به من الاجتماع والألفة والطريق الصحيح، وننتمي إِلَى جَماعات تفرقنا وتشتت شَملنا وتزرع العداوة بيننا؟! هذا لا يَجوز أبدًا[٢].

---

(١) من كتاب: "جَماعة واحدة لا جَماعات" للشيخ ربيع بن هادي مدخلي -حفظه الله-.

(٢) من كتاب: "الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة".

- فتوى فضيلة الشيخ العلامة صالِح اللحيدان -حفظه الله-:

قال: "الإخوان وجَماعة التبليغ ليسوا من أهل المناهج الصحيحة، فإن جَميع الجماعات والتسميات ليس لَها أصل فِي سلف هذه الأمة، وأول جَماعة وجدت وحملت الاسم جَماعة الشيعة تسموا بالشيعة، أما الخوارج فما كانوا يسمون أنفسهم إلا بأنَّهم المؤمنون"(١).

- فتوى فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن غديان -حفظه الله-:

قال -حفظه الله-: "البلاد هذي كانت ما تعرف اسم جَماعات، ولكن وفد علينا ناس من الخارج، وكل ناس يؤسسون ما كان موجودًا فِي بلدهم.

فعندنا مثلاً ما يسمونَهم بِجماعة "الإخوان المسلمين"، وعندنا مثلاً "جَماعة التبليغ"، وفيه جَماعات كثيرة، كل واحد يرأس له جَماعة، يريد أن الناس يتبعون هذه الجماعة، ويحرم ويَمنع اتباع غير جَماعته، ويعتقد أن جَماعته هي الَّتي على الحق، وأن الجماعات الأخرى على ضلالة.

فكم فيه حق فِي الدنيا؟ الحق واحد.

كما ذكرت لكم أن الرسول ﷺ بيَّن افتراق الأمم، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها فِي النار إلا واحدة. «قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابِي**».

كل جَماعة تضع لَها نظام، ويكون لَها رئيس، وكل جَماعة من هذه

---

(١) فتاوى العلماء فِي الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين، تسجيلات منهاج السنة السمعية بالرياض.

الجماعات يعملون بيعة، ويريدون الولاء لَهم.

فيفرقون الناس -يعني: البلد الواحدة- تَجد أن أهلها يفترقون فِرق، وكل فرقة تنشأ بينها وبين الفرق الأخرى عداوة، فهل هذا من الدين؟ لا، ليس هذا من الدين؛ لأن الدين واحد، والحق واحد، والأمة واحدة، الله -جل وعلا- يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ما قال: كنتم أقسامًا، لا، قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفِي الْحَقِيقة: إن الجماعات هذه جاءتنا وعملت حركات فِي البلد، حركات سيئة؛ لأنَّها تستقطب وبِخاصة الشباب؛ لأنَّهم ما يبون -أي: لا يريدون- الناس الكبار هذولا -أي: هؤلاء- قضوا منهم ما لَهم فيهم شغل!

لكن يَجون -أي: يأتون- أبناء المدارس فِي المتوسط وأبناء المدارس فِي الثانوي وأبناء المدارس فِي الجامعات، وهكذا بالنظر إلَى البنات أيضًا.

فيه دعوى الآن لِجماعة الإخوان المسلمين، وفيه دعوى لِجماعة التبليغ حَتَّى فِي مدارس البنات.

فلماذا لا يكون الإنسان مع الرسول ﷺ؟! ..."[1].

- فتوى فضيلة الشيخ العلامة عبد الْمُحسن العبَّاد -حفظه الله-:

لَما سئل عن جَماعتَي التبليغ والإخوان المسلمين، قال -حفظه الله-: "هذه الفرق المختلفة الجديدة؛ أولاً هي مُحدثة، ميلادها فِي القرن الرابع عشر ما

(١) فتاوى العلماء فِي الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين، تسجيلات منهاج السنة بالرياض.

كانت موجودة، هي فِي عالَم الأموات وولدت فِي القرن الرابع عشر.

أما المنهج القويْم والصراط المستقيم فميلاده أو أصله من بعثة الرسول الكريْم ﷺ ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من حين بعثته عليه السلام، فمن اقتدى بِهذا الحق والهدى فهذا هو الذي سَلِمَ ونَجا، ومن حاد عنه فإنه منحرف.

تلك الفرق أو تلك الجماعات من المعلوم أن عندها صوابًا وعندها خطأ، لكن أخطاؤها كبيرة وعظيمة، فيحذر منها ويُحرص على اتباع الجماعة الذين هم أهل السنة والجماعة، والذين هم على منهج سلف الأمة، والذين التعويل عندهم إنَّما هو على ما جاء عن الله وعن رسوله -عليه الصلاة والسلام- وليس على التعويل على أمور جاءت عن فلان وفلان، وعلى طرق ومناهج أُحدثت فِي القرن الرابع عشر الهجري.

فإن تلك الجماعات أو الجماعتين وُجدتا ووُلدتا فِي القرن الرابع عشر، على هذا المنهج وعلى هذه الطريقة المعروفة الَّتِي هي الالتزام بِما كانوا عليه مِمَّا أحدثه من أحدث تلك المناهج وأوجد تلك المناهج، فالاعتماد ليس على أدلة الكتاب والسنة، وإنَّما هو على آراء وأفكار ومناهج جديدة مُحدثة يبنون عليها سيرهم ومنهجهم، ومن أوضح ما فِي ذلك أن الولاء والبراء عندهم إنَّما يكون لِمن دخل معهم، ومن كان معهم.

فمثلاً جَماعة الإخوان من دخل معهم فهو صاحبهم يوالونه، ومن لَمْ يكن معهم فإنَّهم يكونون على خلاف معه، أما لو كان معهم ولو كان من أخبث خلق الله ولو كان من الرافضة، فإنه يكون أخاهم ويكون صاحبهم،

ولِهذا من مناهجهم أنَّهم يَجمعون من هب ودب حَتَّى الرافضي الذي هو يبغض الصحابة ولا يأخذ بالحق الذي جاء عن الصحابة إذا دخل معهم فِي جَماعتهم فهو صاحبهم ويعتبر واحدًا منهم، له ما لَهم وعليه ما عليهم"[(١)].

- كلام معالِي الشيخ صالِح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزير الشئون الإسلامية -حفظه الله-:

قال -حفظه الله-: "وأما جَماعة الإخوان المسلمين: فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم: التكتم والخفا والتلون، والتقرب إلَى من يظنون أنه سينفعهم، وعدم إظهار حقيقة أمرهم، يعنِي: أنَّهم باطنية بنوع من أنواعها.

وحقيقة الأمر يَخفى، منهم من خالط بعض العلماء والمشايخ زمانًا طويلاً، وهو لا يعرف حقيقة أمرهم، ويُظهر كلامًا ويبطن غيره، ولا يقول كل ما عنده.

ومن مظاهر الْجَماعة وأصولِها: أنَّهم يغلقون عقول أتباعهم عن سَماع القول الذي يُخالف منهجهم، ولَهم فِي هذا الإغلاق طرق شتَّى متنوعة:

منها: إشغال وقت الشباب جَميعه من صبحه إلَى ليله حَتَّى لا يسمع قولاً آخر.

ومنها: أنَّهم يُحذِّرون مِمَّن ينقدهم، فإذا رأوا واحدًا من الناس يعرف منهجهم وطريقتهم وبدأ فِي نقدهم وفِي تحذير الشباب من الانْخراط فِي الحزبية البغيضة أخذوا يُحذرون منه بطرق شتَّى، تارة باتِّهامه، وتارة بالكذب

(١) فتاوى العلماء فِي الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين، تسجيلات منهاج السنة بالرياض.

عليه، وتارة بقذفه فِي أمور هو منها براء، ويعلمون أن ذلك كذب، ويقفون منه على غلط فيشنعون عليه، ويضخِّمون ذلك حَتَّى يصدوا الناس عن اتباع الحق والهدى، وهم فِي ذلك شبيهون بالمشركين، يعنِي: فِي خصلة من خصالِهم؛ حيث كانوا ينادون على رسول اللهﷺ فِي الْمَجامع بأن هذا صابئ، وأن هذا فيه كذا وفيه كذا حَتَّى يصدوا الناس عن اتباعه.

أيضًا مِمَّا يُميِّز الإخوان المسلمين عن غيرهم: أَنَّهم لا يَحترمون السنة، ولا يُحبون أهلها، وإن كانوا فِي الجملة لا يظهرون ذلك، ولكنهم فِي حقيقة الأمر ما يُحبون السنة، ولا يدعون لأهلها، وقد جربنا ذلك فِي بعض من كان منتميًا لَهم أو يُخالط بعضهم، فتجد أنه لَما بدأ يقرأ كتب السنة مثل صحيح البخاري، أو الحضور عند بعض المشايخ لقراءة بعض الكتب حذَّروه وقالوا: هذا لا ينفعك، وش ينفعك صحيح البخاري؟ ماذا تنفعك هذه الأحاديث؟ انظر إِلَى العلماء هؤلاء ما حالُهم؟ هل نفعوا المسلمين؟ المسلمون فِي كذا وكذا، يعنِي: أَنَّهم لا يقرون فيما بينهم تدريس السنة ولا مَحبة أهلها فضلاً عن أصل الأصول ألا وهو الاعتقاد بعامة.

من مظاهرهم أيضًا: أَنَّهم يرومون الوصول إِلَى السلطة، وذلك بأَنَّهم يتخذون من رءوسهم أدوات يَجعلونَها تصل، وتارة تكون تلك الرءوس ثقافية، وتارة تكون تلك الرءوس تنظيمية، يعنِي: أَنَّهم يبذلون أنفسهم ويعينون بعضهم حَتَّى يصل بطريقة أو بأخرى إِلَى السلطة وقد يكون مغفولاً عن ذلك، يعنِي: إِلَى سلطة جزئية، حَتَّى ينفذون من خلالِها إِلَى التأثير، وهذا يتبع أن يكون هناك تَحزب، يعنِي: يقرِّبون منهم من فِي الجماعة ويبعدون من

لَمْ يكن فِي الجماعة، فيقال: فلان ينبغي إبعاده، ولا يُمكَّن من هذا، لا يُمَكَّن من التدريس، لا يُمكَّن من أن يكون فِي هذا، لِماذا؟

والله هذا عليه ملاحظات، ما هي هذه الملاحظات؟

قال: ليس من الشباب، ليس من الإخوان، ونَحو ذلك.

يعنِي: صار عندهم حب وبغض فِي الحزب أو فِي الجماعة، وهذا كما جاء فِي حديث الحارث الأشعري أن النَّبِي ﷺ قال: «**من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم**. قال: وإن صلى وصام؟ قال: **وإن صلى وصام، فادعوا بدعوة الله الَّتِي سَماكم بِها ربكم المسلمين والمؤمنين عباد الله**». وهو حديث صحيح.

كذلك ما جاء فِي الحديث المعروف أنه -عليه الصلاة والسلام- قال لِمن انتخى بِمهاجرين وللآخر الذي انتخى بالأنصار، قال: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!**». مع أنَّهما اسْمان شرعيان، المهاجري والأنصاري، ولكن لَما كان هناك موالاة ومعاداة عليهما ونصرة هذين الاسْمين، وخرجت النصرة عن اسم الإسلام بعامة صارت دعوى الجاهلية، ففيهم من خلال الجاهلية شيء كثير، ولِهذا ينبغي للشباب أن يُنَبَّهوا على هذا الأمر بالطريقة الحسنَى المثلى حَتَّى يكون هناك اهتداء إلَى طريق أهل السنة والجماعة وإلَى منهج السلف الصالِح كما أمر الله -جل وعلا- بقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥].

أيضًا من مظاهرهم، بل مِمَّا يُميزهم عن غيرهم: أن الغاية عندهم من الدعوة هو الوصول إلَى الدولة، هذا أمر ظاهر بيِّن فِي منهج الإخوان بل فِي

دعوتِهم، الغاية من دعوتِهم هو الوصول إلَى الدولة، أما أن يُنجَّى الناس من عذاب الله -جل وعلا- وأن تُبْعَث لَهم الرحمة بِهدايتهم إلَى ما ينجِّيهم من عذاب القبر وعذاب النار وما يدخلهم الجنة؛ فليس ذلك عندهم كثير أمر ولا كبير شأن، ولا يهتمون بذلك؛ لأن الغاية عندهم إقامة الدولة، ولِهذا يقولون: الكلام فِي الحاكم يَجمع الناس، والكلام فِي أخطاء الناس ومعاصيهم يفرق الناس، فابذلوا ما به تَجتمع عليكم القلوب، وهذا لا شك أنه خطأ تأصيلي ونية فاسدة، فإن النَّبِي ﷺ بيَّن أن مسائل القبر ثلاث: يُسأل العبد عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه ﷺ، فمن صحب أولئك زمنًا طويلاً وهو لَمْ يعلم ما ينجيه إذا أُدخل فِي القبر فهل نُصح له؟ وهل حُبَّ له الخير؟ إنَّما جُعل أولئك ليستفاد منهم للغاية، ولو أحبوا المسلمين حق الْمَحبة لبذلوا النصيحة فيما ينجيهم من عذاب الله، علَّموهم التوحيد، وهو أول مسئول عنه"[1].

(١) فتاوى العلماء فِي الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين، تسجيلات منهاج السنة بالرياض.

شرق الحركيين ببلاد التوحيد[١]

يقول الشيخ عبد الْمَالك: أنا جزائري، والجزائر من بلاد الْمغرب، ومنذ أن قويت النعرات الجاهلية فِي المسلمين، وهم يفتك بعضهم ببعض؛ بِحيث لا يَجوز للمغربِي أن يذكر المشرقي إلا بسوء، ولا يَجوز للمشرقي أن يذكر المغربِي إلا بسوء، وقد ضج المصلحون بِهذا الوضع المزري، بعد أن حفل تاريْخنا بِهذه السيئة منذ أمد، وتفاقم الأمر بعد أن غدت مَملكة المسلمين أقاليم مُمزقة، فرمى كل ذي إقليم أهل الإقليم الآخر بِما يراه مناسبًا لإشفاء غيظه منه، وتناهى الأمر فِي التمزق عند الاختلاف العقدي، ولاسيما بعد اعتماد حكومة بلاد الحرمين عقيدة السلف اعتمادًا رسْميًّا منذ دعوة الْمُجدد الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه الله- مُخالفين فِي ذلك العقائد التقليدية[٢] الَّتِي توارثها كثير من المسلمين من بعد القرن الرابع، مِمَّا خوَّل لِهؤلاء الطعن فِي أولئك، ويكفي لأن يقال: "فلان وهابِي!" حَتَّى يكون جرحًا لا برء فيه، بل كأنه يدخل عندهم تحت قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:١١٦].

---

(١) هذا منقول بنصه من كتاب "تَخليص العباد من وحشية أبِي القتاد" للشيخ عبد المالك بن أحمد رمضانِي الجزائري.

(٢) **يقصد**: العقائد المبتدعة الَّتِي أُحدثت فِي المسلمين بعد القرن الرابع.

على الرغم من أنني من أهل المغرب، وعلى الرغم من ذاك الإرهاب التاريْخي السياسي العقدي؛ فإنني أقول غير مبالٍ بغير الحق: لقد شهد القريب والبعيد، والصديق والعدو، ما حققه التوحيد والحكم بالشريعة من أمن في البلاد السعودية، إلا أن الحاقدين على هذه الدولة، وعلى دعوة الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- يأبون ذلك، وبدلاً من أن تَحظى منهم هذه الدولة بالتشجيع؛ لأنَّها تعلن أن شريعتها هي شريعة الإسلام، فإنَّهم دأبوا على تشجيع كل من يعمل على إسقاطها وأيّما خبر يسمع ضدها صدَّقوه ولو لَمْ تقم عليه أدنَى البيِّنات، لاسيما وهم لا يفترون عن التباكي على ضياع الخلافة الإسلامية، فإذا بهم لا يرون الحسنات إلا سيئات!!

فتحت مَجلة "الأنصار" الَّتي يكتب فيها هذا المشبوه[1] وأنا أقلِّب صفحاتها؛ إذ وقعت عيني على تكفيره للدولة السعودية، بل واستباحة دماء ولاتها، بل ما وجدته شرق بدولة شرقه بها، من كثرة ما يذكر مثالبها.

فقلت في نفسي: إن الذي يكفِّر هذه الدولة لابد أن يكفِّر سائر الدول؛ لأنه ممَّا لا يُختلف فيه أن بلاد التوحيد والسنة -الَّتي هي بلاد الحرمين- إذا لَمْ يشفع لَها توحيدها الصافي الذي تدعو إليه رسْميًّا وتبثه في العالَم باعتزاز، فلن يشفع لغيرها من الحكومات دينها حَتَّى تَخرج من دائرة الكفر الَّتي حصرها فيها هذا المشبوه!

ومن كلماته الَّتي سطَّرها في هذه الْمَجلة فيما تقدم تصويره، العدد (١١٩)

---

(١) **يقصد**: أبا قتادة الفلسطيني.

فِي (ص١٠) بتاريخ الخميس ٢٤/ جُمادى الأولى/١٤١٦هـ، وهو يتحدَّث عن جَماعته، فذكر أنَّها: "لا ترى فرقًا بين حكومة السعوديين -آل سعود- المرتدين، وبين حكومة نَجيب الأفغاني فكلاهُما فِي حكم الله تعالَى سواء، وليس أحدهما أولَى بالقتال من الآخر"[1]. وقريب منه فِي العدد (١٣٤) فِي (ص٥)، بتاريخ الخميس ١٢/رمضان/١٤١٦هـ، وقد مرَّ.

---

(١) فِي هذا تَحريض صريح للقيام بثورة ضد الدولة السعودية قياسًا على الدولة الأفغانية الأولَى، فلا يفوتك أن تلحظ هنا هذا النفس الأفغاني الداعي إلَى إراقة الدماء فِي كل البلاد الإسلامية الأخرى، بزعم أن لا فرق بين القيام على الدولة الأفغانية الأولَى، وبين القيام على الدول الموجودة اليوم على الأراضي المسلمة، ولذلك كنت سَمعت الشيخ الألباني -رحِمه الله- يومًا يذكر أنه كان للأفغان عمارة خُصِّصت للعرب الذي يأتون للقتال ضد الروس، فيثبطونَهم عن ذلك ويَحثونَهم على أخذ دورة تدريبية فِي "التكفير" على أيدٍ مصرية متخصصة، حَتَّى إذا أينعت ثِمارهم واشتدت أعوادهم، غيَّروا وجهتهم، وتَحركوا -أوتوماتيكيًّا- نَحو بلادهم المسلمة -الَّتِي جاءوا منها- مستدلين على ذلك بأن القتال يبدأ مع أقرب عدو، وقالوا لَهم: إن بلادكم الَّتِي أتيتم منها أولَى بِجهادكم لَها.

ولذلك قرأت بعض ما كتب على الإنترنت "لقاء من خلف القضبان" وهو لقاء بين "نداء الإسلام" والتكفيري المدعو: أبِي مُحمَّد المقدسي، قال فيه: أعتقد بأن جهاد المرتدين المبدلين لأحكام الله الْمُحاربين لدين الله وأوليائه المتسلطين على أَزِمَّة الأمور فِي بلاد المسلمين أولَى من قتال اليهود لقوله تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣]. فهؤلاء هم الذين يلوننا مباشرة ...". اهـ. ومن تتبع ما جرى فِي ديار المسلمين من بلاء فِي هذا العصر عرف أثر هذا النَّفس الأفغاني، وتلك نتيجة الجهاد المنحرف!

إنَّ الذي يسترعي الانتباه ويستدعي العجب: هو زعمه أن الله تعالَى قد حكم بتكفير آل سعود، وذلك فِي قوله: "فكلاهما فِي حكم الله سواء".

قلت: أَوَحْي بعد رسول الله ﷺ؟!

انظر، كيف يَجرؤون على الله ﷻ، مع أن رسول الله ﷺ كان ينهى مُجتهدي الصحابة أن يدَّعوا أن حكمهم الذي اختاروه هو حكم الله، مع أنَّهم أقدر الناس على النظر فِي دين الله، ففي صحيح مسلم (١٧٣١) عن بريدة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه فِي خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثُمَّ قال: **اغزوا باسم الله، فِي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله .. إلَى قوله ﷺ: وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنْزلهم على حكم الله فلا تنْزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا**».

هؤلاء جند الله يقينًا، على الرغم من ذلك فإنه لا يصلح لَهم أن يدَّعوا أن حكمهم الذي اجتهدوا فيه هو حكم الله، مَخافة أن يُخطئوا فيُنسب خطؤهم لله، فكيف بِهؤلاء الذين لا يُعرفون بعلم ولا باجتهاد؟! بل فكيف بِما خالفوا فيه جَميع علماء عصرهم؟!!

كبهيمـــة عميـــاء قـــاد زمامهـــا ... أعمى على عوج الطريق الْحَائـــر

وله كلمات أخرى فِي تكفير الدولة السعودية، وهو كغيره من المرضى بورم "حب السلطة" وعقدة "الحاكمية" لا يتمالك إذا ذكر هذه الدولة مع أنه لو كان يعقل لعلم أن هذه الدولة خير دولة على وجه الأرض اليوم، وإن

رغمت أنوف الحركيين، وهي تصرِّح -بلا خفاء- أن شريعتها هي شريعة الإسلام اليوم، والحدود المقررة فِي كتب الفقهاء والمستمدة من الكتاب والسنة هي حدودها، وتجلُّ العلماء إجلالاً لَمْ نره عند غيرها، بل لقد علمت عن كثب أنَّها تُحب ألا تصدر إلا عن رأي منهم ومشورة.

ثُمَّ لو عقل المشبوه موضع قدميه لعلم أن وجود آل سعود فِي الحكم خير له وللناس من غيرهم؛ لأن البلاد تُحيط بِها أطماع الذئاب الجائعة من المبتدعة المتربصين، ولو كانت فِي أيدي الخرافيين، أو فِي أيدي الحاقدين على الصحابة، أو فِي أيدي الفلاسفة، أو غيرهم من المنحرفين عن السنة والجماعة، لرأيتم عودة الأوثان إلَى الحرمين، والرقص والزنا عند الكعبة تَحت ستار الذكر الجماعي الذي لا يفرق فيه بين ذكر وأنثى، وغيرها من المنكرات الْمُحققة والمعروفة لدى القوم!

إن المدرسة السعودية لا تدرس عقائد ابن الراوندي، أو الجهم بن صفوان، أو الجعد بن درهم، أو عقائد ماركس، أو الأخلاقيات العفنة لفرويد، وإنَّما تدرس كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومُحمَّد بن عبد الوهاب، وغيرهما من الأثبات من أهل العلم -رحِمهم الله جَميعًا-.

والطالب السعودي وغير السعودي يُفرض عليه فيها حفظ "الأصول الثلاثة"، و"القواعد الأربع"، و"العقيدة الواسطية"، فضلاً عن نصيب غير قليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ..

ومِمَّا لا ينبغي أن يَخفى على بصر المنصفين: أن البلاد السعودية ترفل فِي

عهد آل سعود فِي ثوب من الأمن والاستقرار ورغد العيش ما لَمْ يُعرف فِي العهود الَّتِي سبقتهم، إلا أن ترجع إلَى العصور الأولَى، ولَمْ يكن هذا إلا ثَمرة من ثِمار تَحكيم الشريعة كما قال تعالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٦].

أفأعمتك السياسة وعقدة الحاكمية عن أن ترى هذه الْمَحاسن الَّتِي مِمَّا خصهم الله به فِي هذا الزمان دون غيرهم بإطلاق؟!!

فلا دولة الروافض تقوم بِمعشار هذا، ولا دولة "الإخوان المسلمين" فِي أفغانستان والسودان؛ لأن هؤلاء جَميعًا لا يَهتمون بِحق الله الذي هو التوحيد، بل لا يعرفونه!

إن أمثالك من كافري النعمة الذين يتظاهرون بالاستدلال بكلام ابن تيمية وابن القيم ومُحمَّد بن عبد الوهاب -رحِمهم الله جَميعًا- لعل أدنَى حسناتها عليهم أنَّهم لَمْ يقرءوا كتب هذين الإمامين إلا من طبعات آل سعود!

ثُمَّ من يستطيع أن يُحصي عدد الملايين من كتب التوحيد والسنة الَّتِي وزعتها المملكة داخل البلاد وخارجها من يوم مَجيء هذه الدولة.

بل لعل أبا قتادة من المستفيدين من معوناتِهم للأفغان يوم الروس، وإن كان هو فيه من المخلفين كما مر، لكن وجب عليه أن يعرف لذي النعمة نعمته، وألا يكون أحد أكلتها وكافري نعمتها، وإلا صدق فيه وفِي بعض أبناء الجزيرة المشاغبين قول القائل:

فواعجبًا مِمَّن ربيت طفلاً ... أُلقِّمه بأطراف البنانِ
أعلِّمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

ولا ريب أنه من الخطأ بِمكان أن يُدَّعى لَهم الكمال، بل النقص حاصل، بل كم كان يعجبني أن أسْمع بعض المسئولين يعترف بالتقصير؛ لأن أقلَّ ما فِي ذلك أنه دليل على التواضع، ومهما لبَّس الشيطان وخوَّف من مثل هذا التواضع، فإنه لا ينتج عنه إلا الرفعة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**ما تواضع أحد لله إلا رفعه**». رواه مسلم.

أنا لا ألزمه بِمدح آل سعود ولا هم ألزموا أحدًا بذلك، ولكن بأي دين أو عقل قال فِي مَجلة "الأنصار" العدد (١٣٣) فِي (ص ٦) بتاريخ (٥/رمضان/ ١٤١٦هـ): "هل قاتل أهل التوحيد من أجل أن يكون أخبث أهل الأرض من آل سعود هم حكام مكة والمدينة؟!!".

قال الله تعالَى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩].

فهرس الموضوعات

الْمُقدمة ٥
وسطية الإسلام ٢١
مسميات أهل السنة والجماعة ٢٣
مذهب السلف هو المذهب الحق ٢٥
ولِمَاذا كان الحق مع أهل السنة والجماعة ٢٧
الأصل الذي سار عليه أهل السنة والجماعة من صحابة رسول الله ﷺ
إلى اليوم ٢٩
جواب الشيخ الْمُحدِّث ناصر الدين الألبانِي -رَحِمَه الله- ٣٣
تقريظ سَمَاحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز -رَحِمَه الله- ٥٤
تعليق العلامة الشيخ مُحمَّد العثيمين -رَحِمَه الله- على كلمتَي الألبانِي
وابن باز ٥٩
تَحذير سَمَاحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ من الدعوات
الَّتِي تكفر الْمُجتمعات المسلمة وتدعو إلى الخروج على الأئمة ٦٢
مقال فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ٦٤
بيان من هيئة كبار العلماء في التكفير والتفجير ٦٩

فكر التكفير قديْمًا ٧٧
التنظيم لإقامة الدولة عند الخوارج مُمثلاً بالإباضية ٨٠
خلاصة لمسالك الدين حسبما رسَمَها وأوردها صاحب الفكر
السياسي ٨٩
فكر التكفير حديثًا ٩١
جَماعة الإخوان المسلمين ٩٦
القطبيون ٩٨
السرورية ٩٩

كيف تغلغل فكر الإخوان في بلادنا

كلام الدكتور مُحمَّد العوين ١٠٢
مقال الأستاذ يوسف أبا الخيل ١١٥
مقال الدكتور علي بن سعد الموسى ١٢١
كلام الشيخ عبد الْمَالك الجزائري ١٢٤
التنظيم السري والبيعة عند الإخوان المسلمين عمومًا والقطبيين
خصوصًا ١٢٦
بعض الخطط والمناهج الَّتِي رسَمَها الإخوان لأتباعهم من أجل إيْجَاد
الدولة المزعومة ١٣٤
استعمال العنف إذا شعروا بالقوة أو لَم يتحقق لَهم ما خططوا له ١٤٨

نماذج من كلام بعض قادة ورموز ومفكري
جماعة الإخوان المسلمين ومن تأثر بهم

حسن البنا مؤسس جَمَاعة الإخوان المسلمين ١٥١
أبو الأعلى المودودي ١٦٣
سيد قطب فكره وبعض ردود العلماء عليه ١٦٥
مُحمَّد قطب ١٧٦
صلاح الصاوي ١٧٨
مُحمَّد أحْمَد الراشد ١٧٩
مُحمَّد سرور بن نايف زين العابدين ١٨٠
عبد الله ناصح علوان ١٨٥
عبد الرَّحْمَن عبد الْخَالق ١٨٦
يوسف القرضاوي ١٨٨
فتحي يكن ١٩١
أبو قتادة الفلسطيني ١٩٢
أيْمَن الظواهري، وأسامة بن لادن ١٩٩
تَحذير العلماء من فكر أسامة وأمثاله ٢٠٦
نَماذج من كلام بعض دعاة الصحوة ٢١١
ادعاء الإخوان المسلمين العلم بالواقع وتكذيب الواقع لذلك ٢٢٣
وأخيرًا: هل الإخوان المسلمون يريدون الدين أم يريدون الدولة
-الحكم-؟ ٢٢٦

نقد لبعض المؤلفات التي تؤصل للمنهج الإخواني

لاسيما تلك التي تقوم على نقض البيعة وهدم

كيان الدولة؛ لأنها ليست شرعية في نظرهم

أولاً: كتاب: "كيف الأمر إذا لَم تكن جَمَاعة، درسات حول الْجَماعة والْجَمَاعات ٢٣٠

ثانيًا: نقد كتاب الثوابت والمتغيرات للصاوي..... ٢٥٣

نقد ونصيحة للإخوان من أحد زعمائهم الْمُجربين..... ٢٦٩

أقوال علماء السنة في جماعة الإخوان المسلمين

فتوى سَمَاحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٢٧٤

فتوى فضيلة الشيخ العلامة مُحمَّد ناصر الدين الألبانِي ٢٧٦

فتوى فضيلة الشيخ العلامة مُحمَّد بن عثيمين فِي حكم تعدد الْجَمَاعات ٢٧٦

فتوى فضيلة الشيخ العلامة صالِح بن فوزان الفوزان..... ٢٧٧

فتوى فضيلة الشيخ العلامة صالِح اللحيدان..... ٢٧٨

فتوى فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن غديان ٢٧٨

فتوى فضيلة الشيخ العلامة عبد الْمُحسن العباد ٢٧٩

كلام معالي الشيخ صالِح بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الشئون الإسلامية ٢٨١

شرق الحركيين ببلاد التوحيد ٢٨٥

الفهرس ٢٩٣

فكر التكفير

قديمًا وحديثًا

وتبرئة أتباع مذهب السلف من الغلو والفكر المنحرف

دار الإمام أحمد